al-Suyūṭī

Tuhfat al-majālis

كتاب

تحفة المجالس . ونزهة المجالس

تأليف

العلامة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

المتوفي سنة ٩١١ هجريه

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

﴿ سنة ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ ﴾

على نفقة الحاج محمد أفندي دربال التونسي التاجر بالفحامين بمصر

(طبع بمطبعة السعاده بجوار محافظة مصر)

بسم الله الرحمن الرحيم

(وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم)

الحمد لله الذي أوضح سبيله القويم • وأنار صراطه المستقيم • وتفضل بالاحسان العميم • وجعل فى سير الاولين • وقصص الماضين • عبرة لذوي الاعتبار • وتذكرة لاولى الابصار • والصلاة والسلام على أشرف مبعوث محمد المختار • وعلى آله وأصحابه الاخيار •

(وبعد) فانه لما وجدت النفس تميل الى مطالعة أخبار من تقدّم • ومراجعة آثار من ضرب بربع عمره وتهدم • أحببت ان اجمع كتاباً يشتمل على ذكر شيء من فضل العقل وفضل العلم وذكر جملة من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر الخلفاء الامويين والخلفاء العباسيين والقضاة والكرم والشعر والمتطفلين والمتلصصين وأخبار النساء والعشاق والحكايات والنوادر وغير ذلك على وجه الاختصار • دون الاطناب والاكثار • ليكون (تحفة المجالس ونزهة المجالس) اقتداء بمن في هذا الفن الف • واتباعا لمن وضع أمامي وصنف

وقد قال بعض الحكماء الكتاب خير جليس • وآنس أنيس •

آدم لاتنشف الارض دماً وانبت الشوك فقال لاتنشف الارض دم شيء الادم الجلل لرقة تكون فيه ـ وفى التوراة إن آدم عليه السلام طاف على امرأته حواء فولدت له غلاماً سماه شيثاً من أجل أنه خلق من عند الله مكان هابيل وولد لآدم أربعون ولداً في عشرين بطنا وأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في أحدي وعشرين ورقة وهو أول كتاب كان في الدنيا جرى الله تبارك وتعالى على الالسنة كلها وحدثني زيد بن اخزم قال حدثني يحيى بن كثير قال حدثنا عثمان بن سعد الكاتب عن عق عن أبي أن آدم صلاة الله عليه لما احتضر اشتهى قطفا من قطف الجنة فانطلق بنوه ليطلبوه فلقيتهم الملائكة فقالوا أين تريدون يابني آدم فقالوا ان أبانا اشتهى قطفا من قطف الجنة فقالوا ارجعوا فقد كفيتموه فانتهوا اليه وقد قبضوا روحه وغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلى عليه جبريل عليه السلام والملائكة خلف جبريل وبنوه خلف الملائكة ودفنوه وقالوا هذه سنتكم في موتاكم يابني آدم قال وهب وحفر له في موضع من أبي قبيس يقال له غار الكنز فلم يزل آدم عليه السلام في ذلك الغار حتى كان زمن الغرق فاستخرجه نوح عليه السلام وجعله في تابوت معه في السفينة فلما نقص الماء وبدت الارض لاهل السفينة رده نوح الى مكانه ووجدت في التوراة ان جميع ما عاش آدم تسعمائة وثلاثون سنة وقال وهب عاش الف سنة

﴿ شيث بن آدم عليه السلام ﴾

قال وهب كان شيث بن آدم اجل ولد آدم وأفضلهم واشبههم به وأحبهم اليه وكان وصى ابيه وولي عهده وهو الذى ولد البشر كلهم واليه أنهت انساب الناس وهو الذي بني الكعبة بالطين والحجارة وكانت هنالك خيمة لآدم وضعها الله له من الجنة فأنزل الله جلّ ذكره على شيث خمسين صحيفة وعاش تسعمائة سنة واثني عشر سنة (وولد شيث وولد ولده الى ادريس) ولد لشيث انوش وبنون وبنات ولد لانوش قينين وولد لقينين مهلايل وولد لمهلايل اليارد وولد اليارد اخنوخ وهو ادريس عليه السلام

﴿ ادريس عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه ان ادريس النبي عليه السلام كان رجلاً طويلاً ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد وكانت احدى قدميه أعظم من الاخرى وكانت في صدره نكتة بيضاء من غير برص وكان دقيق الصوت دقيق المنطق قريب الخطى اذا مشى وانما سمي ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله وسنن الاسلام وانزل الله جل ذكره عليه ثلاثين صحيفة وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها وكان من قبله يلبسون الجلود واستجاب له ألف انسان ممن كان يدعوه فلما رفعه الله اختلفوا بعده واحدثوا الاحداث الى زمن

نوح عليه السلام قال وهو أبو جد نوح ورفع وهو ابن ثلثمائة وخمس وستين سنة (ولد ادريس) وولد لادريس عليه السلام متوشلخ على ثلثمائة سنة من عمره وولد لمتوشلخ لمك وولد للمك غلام فسماه نوحاً عليه السلام

﴿نوح عليه السلام﴾

قال وهب ان نوحاً أول نبي نبأه الله تعالى بعد ادريس وكان نجاراً الى الادمة وهو دقيق الوجه في رأسه طول عظيم العينين غليظ الفصوص دقيق الساقين كثير لحم الفخذين دقيق الساعدين ضخم السرة طويل اللحية عريضها طويلاً جسيماً وكان في غضبه واشتهاره شدة فبعثه الله عزّ وجلّ الى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاماً ثلاثة قرون من قومه عايشهم وعمر بينهم فلا يجيبون ولا يتبعه منهم الا قليل كما قال الله تعالى وفي التوراة واوحى الله اليه ان اصنع الفلك وليكن طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وارتفاعها ثلاثين ذراعاً وليكن بابها في عرضها وادخل الفلك انت وامرأتك وبنوك ونساء بنيك ومن كل شيء من اللحم اثنين اثنين ذكوراً وأناثاً فاني منزل المطر على أهل الارض اربعين يوماً واربعين ليلة فاتلف كل شيء خلقته على الارض وان تحمل تابوتاً لتحمل فيه جسد آدم وتجعل التابوت من خشب الشمشاد وتجعل معك زاد سنة ففعل نوح وارسل الله جلّ ذكره ماء الطوفان على الارض

في سنة ستمائة من عمر نوح في سبعة عشر يوماً من الشهر الثاني ولبثت السفينة في الماء مائة وخمسين يوماً ثم ارسل الله ريحاً فنشفت الارض فسكن الماء وانسدت ينابيع الغوط الاكبر وميازيب السماء واستقرت في الشهر السادس على جبل فردوا وفي الشهر العاشر رأى رؤس الجبال فلما ان كان في سنة ستمائة سنة وسنة في اول يوم من الشهر الاول نضب للماء عن الارض فكشف نوح غطاء الفلك فرأى وجه الارض وفي سبعة وعشرين يوماً من الشهر الثاني جفت الارض هذا ما في التوراة وقال وهب ذكر لنا ان السفينة استقلت في عشر خلون من رجب وكانت في الماء مائة وخمسين يوماً ثم استقرت على الجودي وهو جبل بارض الجزيرة شهراً وخرج الى الارض في عشر خلون من المحرم وفي التوراة ان الله جل ذكره أمر نوحا ان يخرج من الفلك ومن معه فخرجوا وابتنى نوح مذبحاً لله وقدم قربانا على المذبح فانتشأ الله على القربان ريح الرحمة وبرك نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا واكثروا واملؤا الارض ولتكن هيبتكم على دواب الارض وكل طير السماء وانوان البحر ولكن لا تاكلوا لحماً فيه نفسة ومن يهريق دما من البشر يهراق دمه من اجل ان آدم عليه السلام على صورة الله جل وعز وقال لنوح ان آية ميثاق الذي أوثقكم به ان لا افسد الارض بالطوفان قوسي الذي جعلت في الغمام فاذا رأيتم ذلك فاذكروا ميثاقي وذهب وهب ان نوحاً دخل الفلك وولده الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واربعون رجلاً واربعون امرأة ولما خرجوا بنوا قرية بقردى سموها ثمنين لانه

كان فيها ثمانون بيتاً لكل انسان ممن آمن معه بيت فهى الى اليوم
تسمى بسوق ثمانين وقرب قربانا وصام شهر رمضان وهو أول من
صامه قال وانما سمى الماء طوفانا لانه طفا فوق كل شيء قالوا وكان
بين موت آدم عليه السلام الى ان غرقت الارض الفا سنة ومائة سنة
واثنان واربعون سنة وفى التوراة ان نوحاً عاش بعد الطوفان ثلثمائة
وخمسين سنة وكان عمر نوح تسعمائة وخمسين سنة وقال وهب كان عمره
الف سنة لانه بعث الى قومه وهو ابن خمسين سنة ولبث يدعوهم الى
ان مات تسعمائة وخمسين سنة (ولد نوح عليه السلام) وفى التوراة انه
ولد لنوح سام وحام ويافث بعد خمسمائة سنة من عمره وأما المتخلف
عنه الذى قال له يابني اركب معنا فهو يارم ولم أر له فى التوراة ذكراً
فالناس جميعاً من هؤلاء الثلاثة حدثنى سهل بن محمد قال حدثنى
الاصمعى عن مسلمة بن علقمة المازنى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لكعب لاي ابن آدم كان النسل فقال ليس لواحد منهما نسل أما
المقتول فدرج واما القاتل فهلك نسله فى الطوفان فالناس من بني نوح
ونوح من بنى شيث بن آدم وفي التوراة ان نوحا لما خرج من السفينة
غرس كرماً ثم عصر من خمره فشرب وانتشى فتعرى في جوف قبته
فابصر حام ابو كنعان عورة ابيه فاطلع على ذلك اخويه فاخذ سام
وحام رداء فالقياه على عواتقهما فغشيا على اعقابهما فواريا عورة ابيهما
وهما مدبران فاستيقظ نوح من نومته وعلم ما فعل به ابنه الاصغر
فقال ملعون كنعان عبد عبيد يكون لاخوته وقال مبارك سام ويكثر

الله يافث ويحل في مسكن سام ويكون كنعان عبداً لهما انتهى

﴿ حام بن نوح عليه السلام ﴾

قال وهب ان حاما بن نوح كان رجلاً أبيض حسن الوجه والصورة فغير الله لونه وألوان ذريته من أجل عورة أبيه وانما انطلق وتبعه ولده فنزلوا على ساحل البحر فكثرهم الله وأنماهم فهم السودان وكان طعامهم السمك فحددوا أسنانهم حتى تركوها مثل الابر حتى كان السمك يلصق بهـا ونزل بعض ولده المغرب فولد حام كوش بن حام وكنعان بن حام وقوط بن حام فأما قوط بن حام فسار فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده وأما كوش وكنعان فأجناس السودان والنوبة والزنج والقران والزغارة والحبشة والقبط والبربر من أولادهما

﴿ يافث بن نوح عليه السلام ﴾

وأما يافث بن نوح فمن ولده الصقالبة وبرجان والاشبان فكانت منازلهم أرض الروم قبـل ومن ولده الترك والخزر ويأجوج ومأجوج

﴿ سام بن نوح عليه السلام ﴾

وأما سام بن نوح فسكن وسط ارض الحرم وما حوله واليمن الى حضرموت الى عمـان الى البحرين الى عالج ويبرين ووبار والدو والدهناء فمن ولده ارم وارفخشذ بن سام فمن ولد أرفخشذ قحطان بن

عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وابنه يعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن وهو أبو اليمن كلهم وهو أول من حياه بتحية الملك أنعم صباحا وأبيت اللعن (ولد أرفخشد) يقطر بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح ويقطن هو أبو جرهم بن يقطن وجرهم بن عم يعرب وكانت جرهم ممن سكن اليمن وتكلم بالعربية ثم نزلوا مكة فكانوا بها وقطنوا بني عم لهم ثم أسكنها الله اسماعيل عليه الصلاة والسلام فنكح في جرهم فهم أخوال ولده (ومن ولد ارم بن سام بن نوح) عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكانوا ينزلون الاحقاف من الرمل فأرسل الله عز وجل اليهم أخاهم هودا (ومن ولد ارم بن سام بن نوح) ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وهو ابن عم عاد وكانوا ينزلون الحجر فأرسل الله عز وجل اليهم أخاهم صالحاً (ومن ولد ارم بن سام بن نوح) طسم وجديس ابنا لاوذ بن ارم بن سام ابن نوح ونزلوا اليمامة وأخوهما عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح نزل بعضهم الحرم وبعضهم الشام ومنهم العماليق أمم تفرقوا في البلاد ومنهم فراعنة مصر والجبابرة ومنهم ملوك فارس وأهل خراسان وأخوه أميم بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح نزل أرض فارس فأجناس الفرس كلهم من ولده (ومن ولد ارم بن سام بن نوح) ماش بن ارم ابن سام بن نوح نزل بابل فولد نمرود بن ماش وهو الذي بنا الصرح ببابل وملك خمسمائة سنة وفي زمانه فرق الله الالسنة فجعل في ولد سام تسعة عشر لساناً وفي ولد حام سبعة عشر لساناً وفي ولد يافث ستة

وثلاثين لساناً ويقال ان النبط من ولد ساروج بن أرغو بن فالغ بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح وان نمروداً هو أرغو ساروج بن أرغو والانبياء كلها عجميها وعربيها والعرب كلها يمنيها ونزاريها من ولد سام بن نوح عليه السلام

﴿ هود عليه السلام ﴾

قال وهب هو هود بن عبد الله بن رباح بن جاوب بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وكان أشبه ولد ارم بآدم عليه السلام خلا يوسف وكان رجلا آدم كثير الشعر حسن الوجه وكانت عاد ثلاث عشرة قبيلة ينزلون الرمل وبلادهم أخصب بلاد وأكثرهم وديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار وعمان الى حضرموت اليمن فلما سخط الله عز وجل عليهم جعلها مفاوز وغيطاناً ولما اهلك الله قومه لحق هود ومن آمن معه بمكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا وكان هود رجلا تاجراً

﴿ صالح عليه السلام ﴾

قال وهب ان الله عزّ وجل بعث صالحاً الى قومه حين راهق الحلم وكان رجلاً احمر الى البياض سبط الشعر وكان يمشي حافياً ولا يتخذ حذاء كما كان يمشي المسيح ولا يتخذ مسكنا ولا بيتا ولا يزال مع ناقة ربه حيث توجهت وهو صالح بن عبيد بن عاص بن ارم بن سام ابن نوح وكانت منازل قومه بالحجر بينها وبين قرح ثمانية عشر ميلاً وقرح

هي في وادي القرى ولما قال له قومه ائتنا بآية اتي بهم هضبة ولما
رأته تمخضت كما تمخض الحامل وانشقت عن الناقة وعاقر الناقة هو
احمر ثمود الذي يضرب به المثل في الشؤم واسمه قراد بن سالف
وكان احمر اشقر ازرق سناطاً قصيراً والعاقر الآخر مصرع بن مهرج
وكان رجلاً نحيفاً طويلاً اهوج أهيف مضطرباً ولما عقرت الناقة صعد
فصيلها جبلاً ثم رغا فاتاهم العذاب قال غير وهب فلما اهلكهم الله قال
صالح لمن معه ياقوم ان هذه دار قد سخط الله على اهلها فاظعنوا
عنها والحقوا بحرم الله وامنه فاهلوا من ساعتهم بالحج واحرموا في
العباء وارتحلوا قلائص حمراً مخطمة بحبال من ليف ثم انطلقوا يلبون
حتى وردوا مكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا فقبورهم في غربي الكعبة بين
الندوة والحجر وكان صالح رجلاً تاجراً

﴿ ابراهيم عليه السلام ﴾

هو ابراهيم بن تارح بن ناحور بن اشرع بن ارغو بن فالغ بن
عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح هكذا قال وهب وقابلت
بهذه النسبة ما في التوراة فوجدتها موافقة الا اني وجدت مكان اشرع
شاروغ قال وهب ابراهيم أول من ضاف الضيف وأول من ثرد الثريد
واطعمه المساكين وهو أول من قص شاربه واستحد واختتن وقلم
اظفاره واستاك وفرق شعره وتمضمض واستنثر واستنجى بالماء قال وهو
اول من شاب وهو ابن مائة وخمسين سنة وذلك ان سارة لما ولدت اسحاق

قال الكنعانيون أما تعجبون لهذا الشيخ والعجوز وجدا غلاماً لقيطاً فتبنياه وصور الله جل ذكره اسحاق على صورة ابراهيم فلم يكن يفصل بينهما فوسم الله ابراهيم بالشيب ووجدت في التوراة انه ولد لتارح أبي ابراهيم ناحور وهارون فولد لهارون لوط وسارة وملكا ومات هارون ونكح ناحور ملكا بنت هارون وكانت سارة عاقرا لم تلد فساق تارح ابنه ابراهيم ولوطاً ابن ابنه وخرج معهم الى أرض حران فحلوا ثم مات تارح في أرض حران قال ان أول من بني حران اخوان لابراهيم يقال لهما حاران وبهما سميت حران وقاهر وهو أبو ربقا امرأة اسحاق وقال وهب كان بين نوح وابراهيم الفا سنة ومائة سنة وأربعون سنة والذي حاج ابراهيم في ربه هو نمرود بن كنعان وهو أول من تجبر وقهر وغضب وسن سنن السوء وأول من لبس التاج ووضع أمر النجوم ونظر فيها وعمل بها وأهلكه الله جل ذكره ببعوضة دخلت في خياشيمه فعذب بها أربعين سنة ثم مات قال وهب ملك الارض مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين وأما الكافران فنمرود وبخت نصر وسيملكها من هذه الامة خامس قال ولما أنجى الله جل ذكره ابراهيم من النار خرج من أرض بابل الى الارض المقدسة وسارة وابن أخيه لوط وكان آمن به في رهط معه من قومه واتبعوه حتى وردوا حران فأقاموا بها زماناً حتى خرجوا الى الأردن فدفعوا الى مدينة فيها جبار من الجبابرة من القبط يقال له صادوف وهو الذي عرض له في سارة حتى منعها الله منه ومتع

سارة بها جرام اسماعيل وكانت قبطية قال وهب وخرج ذلك الجبار من تلك المدينة وورثها الله ابراهيم فأثرى بها وانمى الله ماله فقاسم لوطا فأعطاه نصفه وأنزل الله على ابراهيم عشرين صحيفة وفى التوراة ان سارة تزوجت ابراهيم وقالت ان الله قد حرمنى الولد فأدخل بأمتى لعلنا أن نتعدى منها قال وهب وهبتها له وفى التوراة ان هاجر ولدت اسماعيل وابراهيم ابن ست وثمانين سنة وولدت سارة اسحاق وابراهيم ابن مائة سنة وان ابراهيم اختتن وهو ابن تسعة وتسعين سنة وختن اسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة وختن معه من أولاد الغرباء وان سارة عاشت مائة وسبعة وعشرين سنة ثم ماتت فى جيرون قرية الجبابرة فى أرض كنعان وتزوج ابراهيم امرأة من الكنعانيين يقال لها قنطورا فولدت له أربعة نفر وتزوج أخرى يقال لها حجورا فولدت له سبعة نفر فكان جميع أولاد ابراهيم ثلاثة عشر رجلا وعاش ابراهيم مائة وخمسة وسبعين سنة قال وهب عاش مائتى سنة وقبره فى مزرعة جيرون وكان اشتراها وفيها قبرت سارة

﴿ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ﴾

قال وأمر الله عزّ وجلّ ابراهيم عليه السلام بالمسير الى مكة باسماعيل وأمه واخبره انه قد بوأه البيت الحرام وانه يقضى على يديه عمارته وينبط لاسماعيل سقايته فسار به وبامه وتركها هناك وجاءت رفقة من جرهم فنزلوا بشعاب مكة واعطوا اسماعيل سبعة اعنز فكانت

اصل ماله فنشأ اسماعيل مع اولادهم وتعلم الرمي ولحق بلسانهم ثم خطب اليهم فزوجوه امرأة منهم قال ابن اسحاق هي بنت مضاض بن عمرو الجرهمي فولدت لابراهيم اثني عشر عظيماً منهم قيذر ونبت والنساب يختلفون في نسب معد بن عدنان فبعضهم يقول هو من ولد قيذر وبعضهم يقول هو من ولد نبت وكان نبت بكر اسماعيل وهو ولي البيت بعده ثم ولي بعد نبت مضاض بن عمرو الجرهمي جد نبت لامه ولما كثر ولد اسماعيل ضاقت عليهم مكة فانتشروا في البلاد فكانوا لا يدخلون بلداً إلا اظهرهم الله على اهلها وهم نفوا العماليق وعاش اسماعيل مائة وتسع وثلاثين سنة ودفن في الحجرة وفيه دفنت هاجر امه

﴿ اسحاق بن ابراهيم عليهما السلام ﴾

واسحاق هو الذبيح على ذلك اكثر اهل العلم ووجدته في التوراة الذبيح قال وحدثني محمد بن خالد قال حدثنا مسلم بن قتيبة قال حدثنا مبارك قال حدثنا الحسن عن الاحنف عن العباس بن عبد المطلب قال الذبيح اسحاق قال وحدثني ابو الخطاب قال حدثنا ابو داود عن شعبة عن ابي اسحاق عن ابي الاحوص عن عبد الله قال الذبيح اسحاق قال وحدثني ابو الخطاب قال حدثنا ابو داود عن يزيد عن عطاء عن سماك بن حرب عن محمد بن المنتشي عن مسروق قال الذبيح اسحاق قال حدثنا غير واحد عن محمد بن يوسف وغيره عن عمرو بن حماد عن اسباط عن السدي عن ابي مالك عن ابي

صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة ابراهيم بطولها وتمامها ان الذبيح اسحاق وبلغني عن ابن المبارك عن يونس عن الزهرى عن عمرو بن ابي سفيان قال سمعت كعبا يحدث ابا هريرة ان الذبيح اسحاق وقال قوم ان الذبيح اسماعيل وحدثني اسحاق بن ابراهيم قال حدثنا يحيى بن اليمان عن اسرائيل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال الذبيح اسماعيل وحدثني محمد بن عبيد الله قال حدثنا مسلم بن ابراهيم عن الحجاج بن الحجاج عن الفرزدق الشاعر قال سمعت ابا هريرة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الذبيح اسماعيل وفي التوراة ان اسحاق تزوج رفقا بنت ناحور بن تارح وهي ابنة عمه قال وهب هيا رفقا بنت ناهر بن آزر بنت عمه فولدت له عيصو ويعقوب توءمين في بطن واحد فخرج عيصو ثم خرج بعده يعقوب ويده عالقة بعقبه فسر بيعقوب وعاش اسحاق مائة وثمانين سنة ولما مات قبره ابناه في المزرعة التي اشتراها ابراهيم عند قبر ابراهيم

﴿ عيصو بن اسحاق بن ابراهيم ﴾

وكان عيصو رجلا أحمر أشعر الجلد كان عليه خواتم من شعر وكان صاحب صيد وهو أبو الروم وكان الروم رجلا أصفر في بياض شديد الصفرة ومن ذلك سميت الروم بني الاصفر وتزوج عيصو بنت عمه اسماعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيصو وخمسة آخرين

فكل من في أرض الروم اليوم فهو من نسل هؤلاء الرهط وبعض الناس يزعمون ان الاشبان من ولده وعمر عيصو مائة وسبعة وأربعين سنة وكذلك عمر يعقوب ودفنا في المزرعة عند قبر أبيهم

﴿ يعقوب بن سحاق بن ابراهيم عليهم السلام ﴾

ويعقوب هو اسرائيل الذي ولد الاسباط كلهم وكان رجلا أسمر أزهر شخيناً رزيناً لايكاد يبرح القبة وكذلك قيل في التوراة وكان اسحاق أمره أن لاينكح امرأة من الكنعانيين وان ينكح امرأة من بنات خاله لا بان بن فاهر بن آزر وكان مسكنه العراق فتوجه اليه يعقوب فادركه الليل في بعض الطريق فبات متوسداً حجراً فرآى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً الى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله تبارك وتعالى اليه انى انا الله لا اله الا أنا الهك واله آبائك وقد ورثتك هذه الارض المقدسة وذريتك من بعدك وباركت فيك وفيهم وجعلت فيكم الكتاب والحكم والنبوة ثم أنا أحفظك حتى أردك الى هذا المكان وأجعله بيتاً تعبدني فيه وذريتك فهو بيت المقدس فصار الى خاله فخطب اليه ابنته راحيل وكانت له ابنتان ليا وهي الكبرى وراحيل وهي الصغرى فقال له ألك مال ازوجك عليه قال يعقوب تزوجنى راحيل وهي شرطي ولها أخدمك قال له خاله ذلك بيني وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفاه بشرطه دفع اليه ابنته الكبرى ليا وادخله عليها ليلاً فلما أصبح وجد

غير ما شرطه لخاله وهو في نادي قومه فقال له غررتني وخدعتني واستحللت عملي سبع سنين ودلست لي غير امرأتي فقال له خاله يا بن اختي اردت ان تدخل على خالك العار والسبة وهو خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمني سبع حجج أخرى حتى أزوجك أختها وكان الناس حينئذ يجمعون بين الاختين الى ان بعث الله عزّ وجلّ موسى عليه السلام وانزل عليه التوراة فرعى له سبع سنين فدفع اليه راحيل فولدت ليا اربعة من الاسباط روبيل ويهودا وسمعان ولاي وولدت له راحيل يوسف وأخاه يامين واخوات لهما وكان لابان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب متين فوهبتا الامتين ليعقوب فولدت له كل واحدة منهما ثلاثة رهط من الاسباط ثم فارق يعقوب خاله وعاد حتى نزل اخاه عيصو وعاش يعقوب في ارض مصر سبع عشرة سنة وكان عمره مائة سنة وسبعاً واربعين سنة ودفن عند قبر ابراهيم عليه السلام

﴿ يوسف بن يعقوب عليهما السلام ﴾

وكان بين دخول يوسف مصر الى ان دخلها موسى بن عمران اربعمائة عام وعاش يوسف بعد موت ابيه ثلاثاً وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وفي التوراة انه عاش مائة وعشر سنين وولد ليوسف ابنان افرائيم وهو جد يوشع بن نون بن افرائيم والآخر ميشا فولد ميشا ابناً يقال له موشى قبل موسى بن عمران ويزعم

اهل التورئة أنه هو الذي طلب الخضر عليهما السلام

﴿ شعيب وبلعم والخضر ﴾

وذكر وهب ان شعيبا وبلعم كانا من ولد وهط آمنوا لابراهيم يوم احرق وهاجروا معه الى الشام فزوجهم بنات لوط قال ولم تكن مدين قبيلة شعيب ولكنها امة بعث اليهم ولما اصاب قوم شعيب ما اصابهم لحق شعيب والذين آمنوا معه بمكة فلم يزالوا بها حتى ماتوا قال واسم الخضر قلياء بن ملكا بن فالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وكان ابوه ملكا

﴿ أيوب عليه السلام ﴾

قال وهب هو أيوب بن عوص بن رعويل وكان ابوه ممن آمن لابراهيم يوم أحرق وكان أيوب في زمن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وكان صهره وكانت تحته بنت ليعقوب يقال لها بنت يعقوب وهي التي ضربها بالضغث وكانت أم أيوب بنت لوط النبي عليه السلام وكانت لها البثنية

﴿ موسى وهارون عليهما السلام ﴾

قال وهب هو موسى بن عمران بن ناهث بن لاوى بن يعقوب ابن اسحاق بن ابراهيم ولم يكن بين آل يعقوب وأيوب نبي حتى كان موسى عليه السلام وكان موسى عليه السلام جعدا آدم طويلا كأنه من رجال شنوءة وكان هارون أطول منه واكثر لحماً وأبيض جسماً

وأغلظ الواحاً وأسن من موسى بثلاث سنين وكانت فى جبهة هارون شامة وفى أرنبة أنفه شامة وعلى طرف لسانه شامة ولا يعرف أحد قبله ولا بعده كانت على طرف لسانه شامة وهي العقدة التي ذكرها الله وكانت مريم أختهما اسن منهما وكانت تحت كالب بن يوفنا بن فارس بن يهودا بن يعقوب واسم أم موسى اباخته قال وفرعون موسى هو فرعون يوسف عمر أكثر من أربعمائة عام واسمه الوليد بن مصعب وغيره يذكر هذا ويذكر ان ذاك غيره واسم امرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقارون بن صافر بن قاهث بن لاوى ابن عم موسى بن عمران والسامري هو موسى بن ظفر ويقال انه من أهل فاجرما وكان من بني اسرائيل من بني عم أم موسى قال وقبض هارون وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة وعمر موسى بعده ثلاث سنين وهو فى سنه يوم مات وخلفه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب

﴿ اشماويل بن لصفا ﴾

قال هو اسماعيل بالعربية واسم أمه حنه وهو من بني اسرائيل ولم يكن بينه وبين يوشع بن نون نبي وهو الذى ذكره الله فى القرآن حين قال وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

(طالوت) قال وهب هو ابن سبط بن يامين بن يعقوب وكان مسكيناً وكان راعي حمير وخرج من قريته يطلب حماراً له فنزل باشماويل فأعلمهم أنه ملكهم وانه من سبط بن يامين فقالوا قد علمت

أنه لم يكن من هذا السبط ملك ولا فيه نبوة فقال لهم اشاويل أو أنتم أعلم بذلك ام الله الم تعلموا أن الله حين بعثه عليكم قد عرف نسبه

﴿ داود وسليمان وولده ﴾

ثم استخلف الله بعد اشاويل داود بن ايشى وكان سابع سبعة اخوة له هو اصغرهم وكان يرعى على ابيه وكان فيه قصروزرق وقرع في ناحية من رأسه وكان تزوج بنت طالوت وكان شرط على طالوت ان يقتل جالوت فولدت له ايسالوم وهو بكره وهو الذي خرج على ابيه وأراد نزعه من الملك ثم تزوج امرأة اوريا بعد ان قتل فولدت له سليمان بن داود ولم يزل الملك والنبوة بعد سليمان في ولده واولادهم الى الاعرج من ولد ولده وكان عرجه من عرق النسا فطمعت الملوك في بيت المقدس لزمانته وضعفه وأنه لم يكن نبياً فسار اليه ملك الجزيرة وكان يقال له لنقز ويسكن برية الثوثار وهي برية سنجار في مدينة يقال له الحضر مبلية من حجارة وكان لنقز يعبد الزهرة فنذر لئن ظفر ليذبحن ابنه للزهرة وكان بخت نصر يومئذ كاتبه فارسل الله عليهم ريحاً فاهلكت جيشه وافلت هو وكاتبه حتى وردا الحضر فقتله ابنه وغضب له بخت نصر فاغتره حتى قتله وملك بعده وكان اول ملك بخت نصر وسار اليهم ملك الهند بعده فاهلكه الله وانقرض ولد سليمان ونظراؤهم

━━━━━━━━

﴿ سبخاريب وبخت نصر وارمياء النبي عليه السلام ﴾

وسار سبخاريب ملك الموصل وكان يسكن نينوى وملك اذربجان اليهم وكان اسمه شلما عاش وهو بالعربية سلمان الاعسر فاختلفا ووقعت الحرب بينهما حتى تفانوا وغنم بنو اسرائيل ماكان معهما وسار اليهم ملك الروم ومعه الاشبان والصقالب وملك الاندلس فتشاجروا أيضاً فاقتتلوا فأهلك الله بعضهم ببعض ثم أحدثوا وغيروا ورغب بعضهم عن بيت المقدس وضارعه بمسجد ضرارا فزلزل بهم ذلك المسجد وشدخوا بخشبة ثم غزاهم بعد ذلك بخت نصر فرغبوا الى الله وتابوا فرده الله عنهم بعد ان فتحوا للمدينة وجالوا في أسواقها فهذه المرة الاولى التي ذكرها الله فقال عز وجل (فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً ثم رددنا لكم الكرة عليهم) ثم أحدثوا بعد ذلك أيضاً فبعث الله عز وجل أرمياء النبي ليخبرهم بغضب الله عليهم فقام فيهم يوحي الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فبعث الله عند ذلك بخت نصر وهو الكرة الآخرة التي ذكرها الله عز وجل فقال (فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ماعلوا تتبيراً) فقتل منهم وصلب وأحرق وجدع وباع ذراريهم ونساءهم ومثل بهم كل مثلة وصارت منهم طائفة الى مصر ولجؤا الى ملكها فسار بخت نصر الى ملك مصر فاقتتلا فظفر به بخت نصر فأسره وأسر بني

اسرائيل وقتل جنوده ثم لحق بأرض بابل وأقام أرمياء بأرض مصر واتخذ جنينة وزرع فيها بقلا يعيش منه فأوحى الله اليه ان ذلك لها وشغلا عن الزرع والمقام بأرض الكفر وكيف تميمك أرض أوتحملك مع ما تعلم من سخطي على بني اسرائيل فلا يحزنك هذا البلاء الذي قضيته على بني ايليا وأهلها وانه ليس زمن العمران ولكنه زمن الخراب فاعمد الى جنينتك هذه فاهدم جدرها واتنف بقلها وغور نهرها والحق الينا فلتكن في بلادك حتى يبلغ كتابي أجله فخرج أرمياء مذعوراً خائفاً وذلك في زمن الثمار فركب أتانه وتزود سلة فيها عنب وتين واتخذ سقاء جديداً فملأه ماء وفتل حبلا فرس به أتانه ثم انطلق حتى اذا رفع له شخص بيت المقدس رأى خراباً عظيماً لا يوصف فقال انى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام وابتعث ملكا من ملوك فارس يقال لها كوشك فعمرها وأحياه الله وقيل له انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه الآية

﴿ عزير ودانيال ﴾

وكان في الاسارى الذين في يد بخت نصر دانيال وعزير فامادانيال الذي عبر رؤياه نزل منه بأفضل المنازل وكان قبره بناحية السوس ووجده أبو موسى الاشعري فأخرجه وكفنه وصلى عليه ثم دفنه وأما عزير فأقام لبني اسرائيل التوراة بعد ان أحرقت بعرفونها حين عادالى الشام فقالت طائفة من اليهود عزير ابن الله وهو الذي أكثر المناجاة

في القدر فحي اسمه من الانبياء فلا يذكر فيه وهو رسول

﴿ شعياء النبي عليه السلام ﴾

ومكثت بنو اسرائيل زماناً يطيعون الله وابتعث الله شعياء بن راموص نبياً ثم كثرت فيهم الاحداث والبدع فابتعث الله سبخاريب الملك فاقبل اليهم حتى نزل بساحتهم فتابوا الى الله وأنابوا فقبل الله منهم وسلط على عدوهم الطاعون فاصبحوا موتى وغنمهم الله عسكرهم بجميع ما فيه ولم يفلت منهم الا سبخاريب ملكهم وخمسة نفر معه ثم احدثوا بعد ذلك احداثاً ونبذوا كتاب الله وتنافسوا فشرد بهم وافناهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة ونزع منهم الملك والنبوة فليسوا في أمة من الامم الا وعليهم ذل وصغار الى يوم القيامة وشعياء هو الذي بشر بالنبي ووصفه وبشر بعيسى

﴿ حزقيل ﴾

هو حزقيل بن قوزى وهو الذى اصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فاماتهم الله ثم احياهم

﴿ الياس عليه السلام ﴾

هو من سبط يوشع بن نون بعثه الله الى اهل بعلبك وكانوا يعبدون صنما يقال له بعل وملكهم احب وامرأته ازبيل وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب فتحكم بين الناس وكانت قتالة للانبياء وقد قتلت منهم

بشراً كثيراً وهي بنت ملك سبا وعمرت عمراً طويلاً وتزوجها سبعة
من ملوك بني اسرائيل وهي قتلت يحيى بن زكريا وقال الله عزّ وجلّ
لالياس سلني اعطك فقال ترفعني اليك وتؤخر عني مذاقة الموت فرفعه
الله اليه بعد ان كساه الريش وجعله ارضياً سماوياً ملكياً يطير مع
الملائكة عليه وعليهم الصلاة والسلام

﴿ اليسع عليه السلام ﴾

وكان اليسع تلميذ الياس فدعاه له فنبأه الله بعده وايده بمثل
روح الياس

﴿ يونس بن متى ﴾

وبعث الله بعد الياس يونس بن متى الى اهل نينوى

﴿ زكرياء عليه السلام ﴾

هو زكرياء بن أذن وكان زكرياء بن أذن وعمران بن ماثان بن
يعاقيم من ولد داود النبي من سبط يهودا بن يعقوب وكانا في زمن
واحد فتزوج اشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران واسم أم مريم
حنة فكان عيسى ويحيى ابنا خالة وكان زكريا نجاراً وأشاعت اليهود
انه ركب مع مريم الفاحشة

﴿ عيسى ويحيى ﴾

وأما يحيى فان احب قتله بحيلة امرأته ازبيل في قتله وأما عيسى

فان أمه لما ولدته هربت به من أحب صاحب ازبيل الى مصر وحمله أمه الى هناك

﴿ يوسف النجار ﴾

وكان هذا خطبها وتزوجها فيما يذكر فى الانجيل فلما صارت اليه وجدها حبلى قبل ان يباشرها وكان رجلاً صالحاً فكره ان يفشي عليها ورأى ان يسرحها خفية فترآ آى له ملك الله فى النوم فقال يا يوسف بن داود ان امرأتك مريم سوف تلد نبياً يسمى عيسى وهو يحيى امته من خطاياهم وفى الانجيل ان الملك الذى خافته مريم على عيسى هرادس وكان عيسى ولد فى بيت لحم يهودا ولما مات هرادس رأى يوسف في النوم ان يذهب به وبامه الى ارض الجليل فانطلق فسكن فى قرية تدعى ناصرة فلذلك قيل نصارى (اصحاب الكهف) هم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح وضرب الله على آذانهم فيه فلما بعث الله المسيح اخبر بخبرهم ثم بعثهم الله بعد المسيح في الفترة بينه وبين محمد عليه الصلاة والسلام (ذو القرنين) هو رجل من الاسكندرية اسمه الاسكندر وكان حلم حلماً رأى فيه انه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقها وغربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين وكان فى الفترة بعد عيسى عليه السلام (جرجيس) هو من أهل فلسطين وكان قد أدرك بعض الحواريين وبعث الى ملك الموصل وهو بعد المسيح عليه السلام (لقمان الحكيم)

كان لقمان عبداً حبشياً لرجل من بني اسرائيل فاعتقه وأعطاه مالا وكان فى زمن داود النبي عليه السلام واسم أبيه ناران ولم يكن نبياً فى قول أكثر الناس وروى يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان لقمان النبي خياطاً قال وهب قرأت من حكمته نحواً من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاما أحسن منه ثم نظرت فرأيت الناس قد أدخلوه فى كلامهم واستعانوا به فى خطبهم ورسائلهم ووصلوا به بلاغاتهم

﴿ واما ذو الكفل ﴾

فلم أجد له فيما نقله وهب ذكراً وقال غيره هو من بني اسرائيل بعث الى ملك كان فيهم يقال له كنعان فدعاه الى الايمان وكفل له بالجنة فكتب له كتاباً ذكر فيه حق على الله فآمن بذلك الملك فسمى ذا الكفل بالكفالة (عدد الرسل) ذكر وهب عن ابن عباس قال أول المرسلين آدم عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وكانت الانبياء مائة الف وأربعة وعشرون الف نبي الرسل منهم ثلثمائة وخمسة عشر منهم خمسة عبرانيون وهم آدم وشيث ونوح وابراهيم وموسى صلاة الله عليهم وخمسة من العرب هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين وأول أنبياء بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى عليهما الصلاة والسلام (الكتب) قال والكتب التى أنزلت على الانبياء مائة كتاب وأربعة كتب على شيث خمسون

صحيفة وعلى ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشرون صحيفة وعلى موسى التـوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد الفرقان (التاريخ) عاش آدم الف سنة وفي التوراة انه عاش الف سنة الا سبعين سنة وكان بين موت آدم وبين الطوفان الفا سنة ومائتا سنة واثنان وأربعون سنة وبين الطوفان وبين موت نوح ثلثمائة وخمسون سنة وبين نوح وابراهيم الفا سنة وماثتاسنة وأربعون سنة وبين ابراهيم وموسى سبعمائة عام وبين موسى وداود خمسمائة عام وبين داود وعيسى الف ومائتا عام وبين عيسى ومحمد ستمائة عام وعشرون عاماً فهذا تاريخ على بعض الروايات وقال وهب كان بين نوح وآدم عشرة آباء وبين ابراهيم ونوح عشرة آباء وقرأت في الانجيل ان عدة القبائل من ابراهيم الى داود أربعة عشر قرناً ومن داود الى جالية بابل أربعة عشر قرناً والى المسيح أربعة عشر قرناً ووجدت في كتب سير العجم أن بين الاسكندر وبين أزدشير مدة ملوك الطوائف وهي اربعمائة وخمسة وستون سنة ثم ملك ازدشير ومن بعده من ملوكهم الى يزدجرد المقتول في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت مدتهم اربعمائة سنة ونيفاً وثلاثين سنة وكان بين الاسكندر وبين النبي صلى الله عليه وسلم نحو من تسعمائة سـنة والاسكندر بعد المسيح فيما ذكر وهب وفي هذا مخالفة لقوله ان بين عيسى ومحمد ستمائة وعشرين عاماً وغيره يذكر ان الاسكندر قبل المسيح والخبر في الانجيل عن جالية بابل أنها كانت بعد داود بأربعة عشر قرناً والنساب يذكرون أنها كانت قبل ابراهيم

وفي هذا من الاختلاف والتفاوت ماترى والله أعلم بالصواب اه

﴿ الباب الرابع في ذكر ﴾

(نبينا محمد صلى الله عليه وسلم)

روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الانصاري قال قلت يارسول الله بأبي انت وأمي اخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا أنسي ولا جني فلما أراد الله ان يخلق الخلق قسم ذلك النور اربعة اجزاء فخلق من الجزء الاول القلم ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول حملة العرش ومن الثاني الكرسي ومن الثالث باقي الملائكة ثم قسم الرابع اربعة اجزاء فخلق من الاول نور ابصار المؤمنين ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور ألسنهم وهو التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله (وروى) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فانا خيار من خيار من خيار فهو صلى الله عليه وسلم النبي العربي الابطحي الهاشمي القرشي نخبة بني هاشم

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

الذبيح ابن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد وانما سمي عبدالمطلب لان اباه هاشما قال لاخيه المطلب وهو بمكة ادرك عبدك بيثرب فمن ذلك سمي عبد المطلب وقيل ان عبد المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة دنية فكان يسئل عنه فيقول هو عبدي حياء ان يقول ابن أخي فلما ادخله الى مكة أظهر حاله انه ابن أخيه فلذلك قيل له عبدالمطلب وهو أول من خضب بالسواد من العرب وعاش مائة واربعين سنة (ابن هاشم) واسمه عمرو وانما قيل له هاشم لانه كان يهشم الثريد لقومه في سنة الجدب (ابن عبد مناف) واسمه المغيرة (بن كلاب) واسمه حكيم وقيل عروة (ابن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر) واسمه قريش واليه تنسب قريش فما كان فوقه فكناني لا قرشي (ابن مالك بن النضر) واسمه قيس (بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار) بكسر النون من النزر وهو القليل قيل لانه لما ولد ونظر أبوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحاً شديداً واطعم وقال هذا كله نزار أي قليل في حق هذا الولد فسمى نزاراً لذلك (ابن معد بن عدنان) قال ابن دحية اجمع العلماء على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه (وقد) ذكر الحافظ ابو سعد

النيسابوري بسنده عن كعب الاحبار ان نور النبي صلى الله عليه وسلم لما صار الى عبد المطلب وادرك نام يوماً في الحجر فانتبه مكحولا مدهوناً وقد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيراً لا يدري من فعل به ذلك فاخذه أبوه بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش واخبرهم بذلك فقالوا ان اله السموات قد أذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه بعدها هند بنت عمرو وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر ونور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وكانت قريش اذا اصابها قحط تأخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون به الى الله ويسألونه ان يسقيهم به الغيث فكان يغيثهم ويسقيهم ببركة نور محمد صلى الله عليه وسلم غيثاً عظيما (ولما قدم ابرهة) ملك اليمن الى هدم بيت الله الحرام وكان سبب ذلك ان ابرهة بن الصباح الاشرم كان سلطاناً قوياً شديد البأس جزيل المال وكان له فيل قوي اسمه محمود وافيال أخر فلما بلغه تعظيم العرب للبيت الحرام وقصدهم اياه وكان على دين النصرانية بنا كنيسة بصنعاء واجتهد في امرها وتحسينها حتى عملها طوبة من ذهب وأخرى من فضة وسماها القليس وامر ان يحجها كل من كان على دين النصرانية في كل عام تعظيماً لها وتكون بينهم كالكعبة بين العرب فلما تكملت وانتهت زخرفها وزينها قصدها رجل من العرب من كنانة يعبد الاصنام وكان قد لحقه غيرة على ذلك فلما وصل اليها صحب البوابين والخدام الموكلين بها ويخدمها وصار يمسي

ويصبح عندهم مدة الى ان غفلوا عنه فدخل الى صدر الكنيسة وقذر فيه فجاء بعض خدام الكنيسة فرأى صليعه فانتهره فهرب من بين يديه ولم يعلم له مكان فبلغ ذلك ابرهة فعظم عليه الامر جداً واقسم بالسير الى الكعبة وهدمها ومن وجده من العرب يقتله ثم جهز جيشا وسار ومعه العسكر وكان لا يقدم على عسكر الا هزمه فبلغ ذلك قبائل العرب فاحتمى أكثرهم وقابله بالحرب فمنهم من قتله ابرهة ومنهم من هزمه ولم يزل يفعل ذلك من ارض الحبشة حتى وصل مكة وكان عبد المطلب سيد قريش وكبيرهم في الجاهلية وأمر الاصنام التي يعبدونها في الكعبة مفوض اليه فلما سمع ذلك قال يا معشر قريش ان ابرهة استاق ابل قريش وغنمها وكان لعبد المطلب فيها اربعمائة ناقة فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير فاستدارت دائرة غرة نور رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبينه كالهلال واشتد شعاعها (ثم) ان ابرهة ارسل الى عبدالمطلب يقول انت رجل كبير القدر وقد وصفت لي بكل جميل وانك تقرى الضيف وتقري الوحش على رؤس الجبال وليس بيني وبينك أمر وقد سمعت ما تم لغيرك من العرب مني ومالي قصد سوى هدم هذا البيت فان راعتك رياستك وقومك ودعني واياه (فلما) سمع عبد المطلب رسالته قال للرسول ارجع فاستأذن له فاذن له ابرهة فمضى عبد المطلب اليه وكان جالساً على سرير الملك في خيمته بظاهر مكة فاستأذن عليه فاذن له فدخل عليه فلما عاينه ابرهة ارتاع

وحصلت له في قلبه هيبة عظيمة ونهض قائماً عن سريره وهمّ ان يجلسه الى جانبه فخشي من بعض خواصه وكره أن يجلسه تحت السرير فنزل وجلس معه على الارض ثم قال لترجمانه اقرئه مني السلام وقل له الملك يسألك هل لك من حاجة فقال عبد المطلب انى جئت لاسأل الملك في ان يعيد الى ابلي التى أخذها فأعاد الترجمان ذلك على الملك فقال الترجمان قل له ان الملك لما رآك عظمت في عينه لشخصك فلما ورد عليه هذا القول منك سقط وقارك عنده وذلك لانك تركت الحديث معه فى أمر البيت الذى تعتمر به أنت وبنوك وفي بقائه عزهم وعز دين العرب وتحدث معه فى الابل التى لاقدر لها بالنسبة اليه وأعاد الترجمان على عبدالمطلب القول فقال قل للملك لما كنت رب الابل تحدثت في أمرها والبيت له رب ان شاء مكن الملك وان شاء دفعه عنه فاكتفى أبرهة بهذا الجواب ووسم باعادة الابل الى عبدالمطلب فأعيدت ثم ركب أبرهة في جيشه وساق الفيل بين يديه فدنا وجلس من قريش الى اذن الفيل وقال ياحمود أنت فى حرم الله عز وجل وبجوار بيته المعمور فبرك الفيل خاضعاً ذليلاً فتقدم اليه الموكلون به وضربوه الضرب الوجيع ليقوم فما قام فلما أعياهم قالوا قم فارجع من حيث أتيت فقام فقصد بلاده فثنى خرفوه نحو الكعبة فبرك ثانياً فلما أعياهم أمره قال أبرهة لاحاجة لنا به دعوه ثم سار هو وجيشه غير بعيد فأرسل الله عليهم الطير الابابيل كل واحد فى منقاره حجر وفي رجليه حجران أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة فرمتهم بها فكانت تقع

الحجر على رأس الرجل فتخرج من دبره فهلكوا جميعاً لم يبق منهم غير واحد (فروي) أنه لما خلص ووصل الى بلادهم وذكر لهم الطير رفع لهم رأسه ليريهم من الطيور ما شاهده فرأى طيراً فوق رأسه فقال هذا هو فرماه بمنقاره بحصوة فهلك من ساعته (وروى ان النور) لما انتقل من عبدالمطلب الى ولده عبدالله فكان في وجهه رأته امرأة من العرب ذات مال وحسب وجمال فقالت هل لك في مال جزيل وتقع عليّ فقال لها سأنظر في أمرك ثم مضى الى آمنة ووقع عليها فحملت منه برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعى الى المرأة فنظرت الى وجهه فقالت ان السعد الذي رمته منك ظفر به غيري ثم سألته عما تقوله فأخبرها بما كان فقالت له لم يكن لي رغبة الا في خير نالته آمنة منك (وولد) صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الجمعة بعد طلوع الفجر سابع ربيع الاول عام الفيل وكان حمل آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب به ايام التشريق في منزل أبيه عبدالله بني عند الجمرة الوسطى وصدع بالرسالة في اليوم السابع والعشرين من رجب وقبض صلى الله عليه وسلم بالمدينة يوم الأثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة عن ثلاث وستين سنة (وولدت له فاطمة) صلاة الله عليها بعد المبعث بخمس سنين وتوفيت بعد ابيها بنحو مائة يوم وقيل ستة اشهر فتكون مدة حياتها ست عشرة سنة (وولد) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم الجمعة ثالث عشر رجب وروى سابع شعبان بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثين سنة وقبض قتيلاً

بالكوفة ليلة الجمعة لتسع ليال بقين من شهر رمضان سنة اربعين عن ثلاث وستين سنة ودفن بالمعري من تحت الكوفة بمشهده الآن وأمه فاطمة بنت اسد بن هاشم وهو واخوته اول هاشمي ولد بين هاشميين (وولد) الامام الحسن الذكي سيد شباب أهل الجنة بالمدينة يوم الثلاثاء منتصف شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة وقيل ثلاث وقبض يوم الخميس سابع صفر سنة تسع واربعين أو سنة خمسين من الهجرة عن سبع أو ثمان واربعين سنة (وولد الامام الحسين) رضى الله عنه سيد شباب أهل الجنة بالمدينة آخر شهر ربيع الاول سنة ثلاث من الهجرة وقتل بكربلاء يوم عاشوراء سنة احدى وستين عن ثمان وخمسين سنة (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسين عليه السلام يابني من زارني حيا أو ميتا أو زار أباك أو زار اخاك أو زارك كان حقا على ان ازوره يوم القيامة واخلصه من ذنوبه انتهى والله اعلم بالصواب

﴿ الباب الخامس ﴾

(في الخلفاء الامويين)

كانت دولة بنى امية وخلافتهم بالشام وعمالهم بمصر وغيرها فاولهم (معاوية) وآخرهم مروان بن محمد بن مروان الاول ومدتهم اثنان وتسعون سنة وبويع لمعاوية بالخلافة في ذي الحجة سنة اربعين في بيت المقدس وبقى فى الخلافة اربع عشرة سنة وتوفي عن ثمان وسبعين

سنة ودفن بدمشق وولى بعده ابنه (يزيد) فمكث فى الخلافة ثلاث
سنين وثلاثة أشهر ومات عن ثلاث وعشرين سنة وولى بعده ابنه
(معاوية) فمكث فيها ثلاثة اشهر وعشرين يوما وولى بعده (عبداللّه
ابن الزبير) فكانت مدة خلافته تسع سنين (ومروان) بن الحكم
فمكث مروان فى الخلافة سنة واحدة وقيل سمته زوجته وولى
بعده (عبد الملك بن مروان) وكان ملكه بالشام ومصر وعبد اللّه
ابن الزبير بالحجاز والعراق ثم ان عبد الملك انفذ الحجاج بن يوسف
الثقفى الى حرب عبد اللّه بن الزبير فحصره فى الكعبة ورماه بالمنجنيق
وقتله وتفرد عبد الملك بالخلافة فكان مجموع خلافته احدى وعشرين
سنة منها سبع سنين وسبعة أشهر قبل قتل عبد اللّه بن الزبير
وولى بعده (الوليد بن عبد الملك) فمكث فيها تسع سنين وتوفى
ودفن بدمشق وولى بعده (سليمان بن عبد الملك) وبقى سنتين
وثمانية أشهر وولى بعده (عمر بن عبد العزيز) بن عم سليمان
وبقى سنتين وخمسة أشهر وتوفى عن تسع وثلاثين سنة بدير سمعان
بأرض حمص وولى بعده (يزيد بن عبد الملك) بعهد من أبيه وأخيه
سليمان فمكث فيها أربع سنين وشهرا وولى بعده أخوه (هشام) بن
عبدالملك فمكث فى الخلافة عشرين سنة وولى بعده (الوليد) بن يزيد
ابن عبدالملك ومكث فى الخلافة سنة وشهرين ثم ذبح وولى بعده
(يزيد) بن الوليد فمكث فيها ستة أشهر الا أياما وولى بعده (ابراهيم)
ابن الوليد أخوه ومكث فى الخلافة شهرين الا أياما وولى بعده (مروان)

ابن محمد بن مروان الاول فمكث في الخلافة خمس سنين وشهراً ثم انقضى حديثه ومموته انقرضت دولة الامويين (ومن غرائب ما يحكى عن معاوية) ما ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون انه لما ولي الخلافة واستقرت له كان قد ولي عبدالله بن سلام على العراق وكانت أرينب بنت اسحاق زوجة عبدالله بن سلام وكانت من أجمل نساء وقتها وأحسنهن أدباً واكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها وبما هي فيه من الادب وحسن الخلق والخلق فافتتن بها فلما عيل صبره استراح في ذلك مع أحد خصيان معاوية وكان ذلك الخصي خاصاً بمعاوية يدعى برفيف فذكر ذلك لمعاوية وذكر له شغف يزيد بها وانه ضاق ذرعه بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبث له شأنه فقال معاوية فهلا يا يزيد فقال على ما تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الأمل قال له معاوية فاين حجاك ومروتك قال له يزيد قد عيل صبري والحجا ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلي به قال اكتم يابني امرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ امره فيك ولا بد مما هو كائن وكانت أرينب بنت اسحاق مثلاً في أهل زمانها لجمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه منها فكتب الى عبدالله بن سلام وكان استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر في كتابي لامر فيه حظك ان شاء الله ولا تتأخر عنه وأغذ السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام ابو هريرة وابو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فلما قدم عليه عبد الله بن سلام امر معاوية ان ينزل منزلاً قد هيأ له وأعد فيه نزله ثم قال لابي هريرة وأبي الدرداء ان الله قسم بين عباده نعماً أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها فحباني منها عزّ وجلّ بأتم الشرف وافضل الذكر وأوسع عليَّ في رزقه وجعلني راعي خلقه وأمينه في بلاده والحاكم في أمر عباده ليبلوني أأشكر أم اكفر وأول ما ينبغي للمرء ان يتفقده وينظر فيه من استرعاه الله أمره ومن لا غنى به عنه وقد بلغت لنا ابنة أريد انكاحها والنظر في تخالي من يباعلها لعل من يكون بعدي يبدي ويتبع فيه أثري فانه قد يلي هذا الملك بعدي من يغلب عليه زهو الشيطان وتشرفه الى تعطيل بناتهم ولا يرون لهن كفؤاً ولا نظيراً وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشي لدينه وشرفه ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أدنى الناس برعاية نعم الله وشكره وطلب مرضاته فيما خصه به منها لانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه وصهره قال معاوية فاذكروا ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير أني ارجو أن لا تخرج من رأيي ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لهما معاوية ودخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحي إياك منه وحضاك على المسارعة الى هواي فقولي لهما عبد الله كفء كريم وقريب حميم غير ان تحته اربنب بنت اسحاق وأنا خائفة ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فأتناول

منه ما يسخط الله فيه فيعذبني عليه ولست بفاعلة حتى يفارقها فلما ذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء وأعلماه بالذى امرهما معاوية جذل بذلك وفرح به ثم بعثهما الى معاوية خاطبين عليه فقال لهما معاوية اذ جاآه خاطبين منه قد تعلمان رضائي به وكنت قد اعلمتكما بالذى جعلت لها في نفسها من الشورى فادخلا عليها واعرضا الذي رأيت لها فدخلا عليها وأعلماها ذلك فقالت لهما كالذي قال لهما أبوها فاعلما عبد الله بن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعها منه الا فراق اريئب اشهدهما بطلاقها وبعث بهما اليها خاطبين واعلما معاوية بالذى كان من فراق عبد الله بن سلام زوجته اريئب بنت اسحاق طالباً لما يرضيها فاظهر معاوية كراهة لفعله فقال ما استحسنت له طلاقها ولا احببته فانصرفا في عافية ثم تعودان اليها وتأخذان رضاها ان شاء الله تعالى وكتب الى ابنه يزيد يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لاريئب بنت اسحاق فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها هربا من الامر ولنظر الى العذر وأخذ بقول لم يكن لى ان اكرهها وقد جعلت لها الشورى في نفسها فدخلا عليها واعلماها بطلاق عبد الله امرأته ليسراها وذكرا لها من فضله وكمال مروئه وكريم مجده فقالت لهما جف القلم بما هو كائن وانه في قريش لرفيع القدر وقد تعلمان ان التزويج جده هزل وهزله جد والاناة في الامور ارفق لما يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأني فيها كان الامر بحسن

العزاء خليقاً وبالصبر عليها حقيقاً والى سائلة عنه حتى اعرف دخيلة خبره ويصح لي الذي اريد عمله من امره وان كنت اعلم ان لا اختيار لاحد فيا هو كائن ومعاستكما بالذي يزينه الله في امره ولا قوة الا بالله قالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما اعلماه بقولها انشأ يقول

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب

وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لم طلق قبل ان يفرغ من طلبته ويوجب الذي كان من بغيته واستحث عبدالله أبا هريرة وأبا الدرداء فأتياها فقالا لها اصنعي ما أنت صانعة واستخيري الله فانه يهدي من استهداه قالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد خار فانه لايكل الي غيره من توكل عليه فقد استبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير دائم ولاموافق لما أريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فنهم الناهي عنه والآمر به واختلافهم أول ما كرهت فلما بلغه كلامها علم أنه مخدوع وقال ليس لامر الله راد ولا لما أبرمه صاد فان المرء وان كمل له علمه واجتمع له عقله واستذرابه وليس بدافع عن نفسه قدراً برأي ولا كيد ولعل ما سولوا به واستخذلوا لايدوم لهم سروره ولا يصرف عنه محذوره قال وذاع أمره وفشى في الناس خبره وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه بما صنع فلما بلغ ذلك معاوية قال لعمرى ماخدعته فلما انقضت أقراؤها وجه معاوية أبا الدرداء خاطباً لها على

ابنه يزيد تخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء انا قادم العراق وما ينبغي لذي نهى أن يبدأ بشيء ويؤثره على مهم من أموره قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة اذا دخل موضعاً هو فيه فأذا أديت حقه والتسليم عليه اقلبت لما جئت اليه فقصد الحسين فلما رآه الحسين قام له وصافحه اجلالا لصحبة جده صلى الله عليه وسلم ولموضعه من الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطباً على ابنه يزيد ارينب بنت اسحاق فرأيت على حقاً أن لا أبدأ بشيء قبل السلام عليك فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها اذا انقضت أقراؤها فلم يمنعني من ذلك الا تخير مثلك فقد أتى الله بك فأخطب رحمك الله علي وعليه لتتخير من يختاره الله لها وهي أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها واعطها من المهر مثل مابذل معاوية عن ابنه قال افعل ان شاء الله تعالى فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدر ولكل قدر سبباً وليس لاحد عن قدر الله مستخلص ولا للخروج عن علمه مناص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبدالله بن سلام اياك ولعل ذلك لايضرك ويجعل فيه خيراً كثيراً وقد خطبك أمير هذه الامة وابن مليكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما

وجئتك خاطباً عليهما فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو ان هذا الامر جاءني وأنت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم أقطعه دونك فأما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى بعد الله اليك وجعلته في يدك فاختر لى أرضاهما اليك والله شاهد عليك فاقض في قصري بالتحري ولا يصدنك عن ذلك تباع لهوى فليس أمرهما عليك خفياً ولا أنت عما طوقتك غبياً قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما أنا على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لاغنى به عنك فلا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف أنه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بداً من القول والاشارة قال لها أي بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الىّ لك وارضى عندي والله ارضى بخيرهما لك وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتى الحسين فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن على رضي الله عنهما وساق لها مهراً عظيماً وبلغ معاوية الذى كان من فعل أبي الدرداء في ذلك ونكاح الحسين ارينب فتعاظم ذلك عليه وقال من يرسل ذابلهوعمى يركب خلاف مايهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه بدرات مملوءة درا وكان ذلك أعظم ماله لديه وأحبه له وكان معاوية اطرحه وقطع عنه جميع روافده لسوء قوله فيه وتهمته انه خدعه فلم

يزل يجفوه حتى عيل صبره وقل ما في يديه ولام نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذكر ماله الذي كان استودعه زوجته ولا يدري كيف يصنع فيه واني يتوصل اليه وهو يتوقع جحودها لسوء فعله بها وطلاقه اياها على غير شيء انكره عليها فلما قدم العراق لقى حسيناً فسلم عليه ثم قال قد علمت ما كان من خبري وخبر اريئب وكنت قبل فراقي اياها قد استودعتها مالاً عظيماً وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها في طول صحبتها فتيلاً ولا أظن بها الا جميلاً فذاكرها امري واحضضها على رد مالي على فان الله يحسن عليك ذكرك فسكت عنه ولما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبدالله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويحمل النشر عنك في حسن صحبتك وما آنسه قديماً من امانتك فسرني بذلك وأعجبني وذكر انه قد استودعك مالا فادي اليه امانته وردى عليه ماله فانه لم يقل الا صدقاً ولم يطلب إلا حقاً قالت صدق استودعني مالا لا ادري ما هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه ما حوّل منه شيئاً الى يومه هذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى عليها الحسين خيراً وقال لا ادخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك ثم لقى عبد الله فقال ما انكرت مالك وزعمت انه كما دفعته اليها بطابعك فادخل عليها واقبض مالك قال عبد الله أو تأمر من يدفعه اليّ قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبريها منه اذا ادته اليك فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فادي اليه امانته فاخرجت اليه تلك البدرات فوضعتها بين يديه

وقالت هذا مالك فشكر واثنى عليها وخرج الحسين عنهما وقض عبدالله خواتم بدره وحثا لهامن ذلك فقال خذي فهذا قليلك مني واستعبرا جميعاً حتى علت اصواتهما بالبكاء أسفاً على ما ابتليابه فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذي سمع منهما فقال اشهدالله انها طالق ثلاثا اللهم قد تعلم اني لم استنكحها رغبة في مالها ولا جمالها ولكن اردت احلالها لبعلها فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق اليها فاجابته الى ذلك شكراً لما صنعه بهما فلم يقبله الحسين وقال الذي ارجو عليه من الثواب خير لي فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله بن سلام وبقيا زوجين الى ان فرق الدهر بينهما وحرمها الله على يزيد بن معاوية

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

ما ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون ان معاوية كان في مجلس له بدمشق مرتفع وكان مفتح الابواب لدخول النسيم من شدة حر ذلك اليوم فلما توسط النهار ولفح الهجير نظر معاوية الى رجل يمشي مجداً في مشيه حافياً يتلظى من الحر فقال لجلسائه هل خلق الله اشقى ممن يحتاج الى الحركة في مثل هذا الوقت فقال له بعضهم لعلّ له حاجة عند أمير المؤمنين فقال والله لئن كان كذلك لاردنّه عن طلبته كائنة ما كانت ياغلام قف بالباب فان طلبني هذا الاعرابي فلا تحجبه وأوصله اليّ فوافى الاعرابي الباب ينشد معاوية فاوصله الغلام اليه فقال له ممن الرجل قال من بني تميم قال ماجاء بك

في هذا الوقت قال جئتك مشتكياً وبك مستجيراً قال ممن قال من مروان بن الحكم عاملك وانشأ يقول

معاوي يا ذا الحلم والجود والفضل ويا ذا الندا والعلم والرشد والنبل
أتيتك لما ضاق في الارض مذهبي فياغوث لا تقطع رجائي من العدل
وجدلي بانصاف من الجائر الذى بلاني بشيء كان فى مثله قتلي
سباني سعدى وانبرى لخصومتي وجار ولم يعدل وغاصبني أهلي
وهمَّ بقتلي غير ان منيتي تناءت ولم استكمل الرزق من اجلي

فلما سمع معاوية وان النار تكاد تنقد من فيه قال مهلا يا أخا العرب هات قصتك وافصح عن أمرك قال يا أمير المؤمنين لى زوجة وهي ابنة عمي وأنا لها محب وبها كلف قرير العين طيب العيش وكانت لي صرمة من الابل أستعين بها على قيام حالي وكفاف اودي فأصابتنا شديدة أذهبت الخفير والظلف وبقيت لا أملك شيئاً فلما قل مابيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهاناً ثقيلا على وجه الارض قد ابعدني من كان يشتهي القرب مني ومن كان يرغب في زيارتي قد أزور عني فلما رأى أبوها ما بي من سوء الحال وقلة المال أخذها مني وطردني وأغلظ علي فأتيت الى عاملك مروان بن الحكم مستصرخا به راجياً نصرته فأحضر أباها وسأله عني فقال ما أعرفه قبل اليوم فقلت أصلح الله الامير ان رأي ان يحضرها ويسألها عن قول أبيها فليفعل فبعث اليها مروان وأحضرها مجلسه فلما وقفت بين يديه وقعت منه موقع الاعجاب فصار لى خصماً وعلى منكراً فانتهرني وأظهر لي الغضب وأمر

بي الي السجن فبقيت كأنما خررت من السماء من مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك أن تزوجني ابابها على الف دينار لها وعشرة آلاف درهم لك وأنا ضامن لك خلاصها من هذا الاعرابي فرغب أبوها في البذل وأجابه لذلك فلما كان من الغد بعث الي وأخرجني من السجن ونظر اليّ مغضباً وقال طاق طاق سعدي قلت كلا فسلط عليّ جماعة من أعوانه يعذبوني فلم أجد بداً من ذلك فنعلت فاعادني الى السجن فكنت فيه الي أن انقضت عدتها وتزوج بها فأطلقني وقد أتيتك لاجئاً بك مستجيراً وأنشأ يقول

في القلب مني نار والنار فيها استعارُ
والجسم مني سقيم فيه الطبيب يحارُ
وفي فؤادي جمر والجمر فيه شرارُ
والعين تهطل دمعاً ودمعها مدرارُ
وليس الا بربي ثم الامير انتصارُ

ثم خر مغشياً عليه يتلوى كالافعوان فقال له معاوية لقد تعدى مروان وظلمك وتخطي حدود الدين واجتري على حرم المسلمين وقال والله يا اعرابي لقد أتيتني بحديث لم أسمع بمثله ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى مروان قد بلغني أنك قد اعتديت على رعيتك وانتهكت حرمة من حرم المسلمين وتعديت حدود الدين وينبغي لمن كان والياً أن يغض بصره عن محارم الله ثم كتب اليه بعد كلام اختصرناه هذه الابيات .

وليت ويحك أمراً ليس تدركه　فاستغفر الله من فعل امريءٍ زاني
وقد أنانا الفتى المسكين منتحباً　يشكو الينا غراماً تلوَ أحزان
ان أنت خالفتني فيما كتبت به　لاجعلنك لحماً بين عقبان
طلق سعاد وارسلها معجلة　مع الكميت ومع نصر بن ذبيان

وطوى الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعي الكميت ونصر بن ذبيان وكان يستنهضها في مهمانه فأخذا الكتاب وسارا حتى قدما المدينة فلما الكتاب الى مروان فجعل يقرأه ويبكي واعلم سعدي بما جري وطلقها وجهزها مع الرسولين وكتب الى معاوية كتاباً مطولا رأينا الاقتصار منه على هذه الابيات اولى وهي

لا تعجلن أمير المؤمنين فقد　أوفي بنذرك في رفق واحسان
وما أتيت حراماً حين أعجبني　فكيف أدعى باسم الخائن الزاني
اعذرفانك لو أبصرتها شخصت　منك العيون الى تمثال انسان
فسوف تأتيك شمس ليس يعدلها　عند الخليفة من انس ولاجان

ودفع الكتاب اليها وسلمهما الجارية فلما وردوا دمشق وحضروا عند معاوية قال لقد أحسن مروان الطاعة ثم أمر باحضار سعدي فلما رآها رأى صورة لم يرمثلها حسناً وجمالاً وقداً واعتدالا فاستنطقها فوجدها أفصح خلق الله وأعذبهم منطقاً فقال علي بالاعرابي فدخل عليه وهو على غاية من سوء الحال فقال يا اعرابي هل لك عنها من سلوة وأعوضك عنها ثلاث جوار أبكار مع كل جارية الف دينار وأفرض لك في بيت المال ما يكفيك ويعينك على صحبتهن فلما سمع الاعرابي

كلام معاوية شهق حتى ظن موته فقال له معاوية ما بالك قال من بال وأسوأ حال استجرت بعدلك من جور مروان فمن استجير من جورك وأنشأ يقول

لاتجعلني جعلت فداك من ملك ... كالمستجير من الرمضاء بالنار
أردد سعاد على حيران مكتئب ... يمسي ويصبح في هم وتذكار
اطلق وثاقي ولا تبخل عليّ بها ... فان فعلت فاني غير كفار

ثم قال والله يا أمير المؤمنين لو أعطيتني ماحوته الخلافة ما اعتضت به عن سعدى فقال يا اعرابي أنت مقر بأنك طلقتها ومروان قد طلقها ونحن نخيرها فان اختارت سواك زوجناها لمن اختارت والادفعناها لك فهل أنت راض بهذا قال نعم قال معاوية يا سعدي ماتقولين أيما أحب اليك أمير المؤمنين في عزه وشرفه وسلطانه ونصره وما تصيرين اليه عنده أو مروان في عسفه وجوره أو هذا الاعرابي مع جوعه وفقره فأنشأت تقول

هذا وان كان في جوع واضرار ... أعز عندي من قومي ومن جاري
وصاحب التاج أو مروان عامله ... وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت والله يا أمير المؤمنين ما أنا منحازة عنه لحادث الزمان وغدر الليالي والايام وان لي معه صحبة قديمة لا تنسى ومحبة لاتبلى وأنا أحق من صبر معه على الضراء كما تنعمت منه في السراء فتعجب معاوية من عقلها ومروءتها وأمر لها بعشرة آلاف درهم وردها الى الاعرابي بعقد صحيح اه

﴿ ومن النقول عن يزيد بن معاوية ﴾

يحكى عن بعض شيوخ المدينة قال كانت عند عبد الله بن جعفر جارية مغنية يقال لها عمارة وكان قد شغف بحبها شغفاً شديداً فاتى فد عبد الله بن جعفر على معاوية وهي معه فاتفق ان يزيد بن معاوية دخل على عبد الله بن جعفر يوماً فنظر الى عمارة وسمع غناءها فعلق بها يزيد وأخذت بمجامع قلبه ووقعت في نفسه أعظم موقع وجعل لا يمنعه ان يبوح بما عنده من الوجد إلا خيفة ابيه مع يأسه من الظفر بها فلم يزل يكتم امرها الى ان مات أبوه ودارت الخلافة اليه فاستشار بعض من يثق من اصحابه وندمائه فى أمر عمارة فقيل له ان عبد الله بن جعفر لا يرام ومنزلته من ابيك ومنك ما علمت وهو لا يبيعها بشيء أبداً وليس في هذا الا الحيلة فقال انظروا الى رجلاً فصيح اللسان قوى الجنان فاتوه برجل عراقى عاقل اديب ذى ذكاء وحيلة فلما استنطقه ورأى عقله وفهمه فقال انى دعوتك لامر انظفرت به فهو حظوتك الى آخر الابد ثم أخبره بامره فقال يا أمير المؤمنين ليس يرام مثل عبد الله إلا بالحيلة والخديعة وان قدر واحد على ذلك فارجو ان أكون انا فاعنى بالمال فقال خذ ما شئت واحببت فأخذ واشترى من طرائف الشام وثياب مصر ومتاع العراق ومن الرقيق والدواب وغير ذلك ما احتاج اليه ثم توجه الى المدينة فاناخ بعرصة عبد الله بن جعفر واكترى منزلا بالقرب منه ثم ارسل اليه

يقول يا مولاي انا رجل من أهل العراق وقدمت بجارة وأحببت أن أكون فى جوارك وكنفك الى ان ابيع ما معى فأمر باكرامه والاحسان اليه فلما اطمأن العراق توجه الى عبد الله وسلم عليه وقدم له بغلة فارهة وثياباً من ثياب العراق وطيباً وغير ذلك مما يصلح له وسأله بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها منه ولا يخجله بردها فقبلها منه عبد الله وا كرمه اكراماً جزيلا ثم ان عبد الله صنع طعاماً حسناً وأحضر العراقى وأحضر عمارة وأمرها أن تغنى ففنت فلما سمعها كاد العراقى يفشى عليه فقال له عبد الله أرأيت مثل عمارة فقال لا والله ياسيدى ما رأيت ولا سمعت مثل غنائها ولا تصلح الا لك وما ظننت ان فى الدنيا مثلها فقال كم تساوى عندك قال ياسيدى أنا رجل من السواد اجمع الدراهم والدنانير ولو وجدتها بعشرة آلاف دينار لاخذتها فقال له عبد الله كنت تأخذ بعشرة آلاف دينار قال نعم فقال مازحاً أنا ابيعها لك بعشرة آلاف دينار قال قد قبلت قال هي لك ثم انصرف الى منزله فلم يشعر إلا بالمال وقد وافاه فرده عبد الله وقال انما كنت مازحاً أو ما علمت ان مثلى لا يبيع مثلها بما على وجه الارض فقال جعلت فداك ان الجد والهزل فى البيع واحد فاذا كنت انت مازحاً فانى مجد وقد ملكت الجارية وليست تحل لك بعد فقال عبد الله بئس الضيف انت ما طرقنا طارق أعظم علينا منك ثم أمر بتجهيز الجارية بما يصلحها من الثياب والطيب وغير ذلك وجهزها بثلاثة آلاف دينار وسلمها بما معها وقال هذه عوض عما

أهديت لنا وان كنت لجئتنا فيها فاقة المستعان فلم العراقي عليه وخرج من للدينة بعد ان ودعها مولاها وتباكيا فقال لها العراقي لما خرج بها يا عمارة انى لم اشترك لنفسي ومثلي لا يشتري مثلك بعشرة آلاف دينار وما كنت أقدم على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلبه أحب الناس اليه لنفسي فاستتري ولا تريني شيئاً من وجهك ثم مضى بها حتى ورد دمشق فتلقى الناس يحملون جنازة يزيد بن معاوية وقد استخلف ابنه معاوية فأقام الرجل يتلطف فى الدخول عليه حتى أذن له فلما مثل بين يدى معاوية بن يزيد شرح له القصة فقال له معاوية هي لك وكل ما معها وارحل من يومك ولا تقم فى شئ في الشام فرحل العراقي حتى قدم المدينة فنزل على عبدالله بن جعفر فدخل عليه بعض غلمانه فقال هذا ضيفك العراقي وقد انزل ببابك فقال لا أهلاً ثم انزلوه فلما نزل استأذن عليه فأذن له فلما دخل سلم وقبل يديه فقربه عبدالله ورحب به فقص عليه العراقي القصة من أولها الى آخرها ثم قال انها هدية منى اليك والله ما رأيت لها وجهاً ولا وضعت عليها يداً ثم بعث اليها فجاءت بما معها فلما رأت مولاها وسيدها عبدالله بن جعفر خرت على رجليه فأهوى اليها عبدالله وضمها الى صـــدره فصاح أهل الدار عمارة عمارة فجعل عبدالله يقول ودموعه تسيل ويحكم أحلم هـــذا أم يقظة اللهم انك تعلم انى تصبرت على فراقها وآثرت الوفاء وسلمت لامرك فرددتها على بمنك فلك الحمد الكثير وأقام العراقي عنده أياماً ثم باع عبدالله ضيعة له بثلاثة آلاف دينار ودفعها اليه بعد أن دفع له

ثمن الجارية ثم اعتذر اليه وأعلمه أنه لو وصله بكل مايملك مابلغ مكافأته ثم رحل العراقي الى بلده مشكوراً موفوراً اهـ

﴿ ومن المنقول عن عبد الملك بن مروان ﴾

قال مالك بن أبي عمارة كنت زماناً أجالس عبدالملك بن مروان وقبيصة بن مالك وعروة بن الزبير في ظل الكعبة أيام الموسم وكانوا يحدثون مرة فى الفقه ومرة فى أيام العرب وأخبارها ومرة فى أنسابها واشعارها فكنت لا أجد عند أحد منهم ماأجده عند عبدالملك بن مروان من الاتساع فى المعرفة والتصرف فى كل فن والحلاوة اذا تحدث وحسن الاستماع اذا حدث فتفرق أصحابنا ذات يوم وبقيت أنا وهو فقلت والله انى لمسرور لما أراه من حسن حديثك وافتنانك وتصرفك فى العلوم وإقبالك على جليسك بالعلوم فقال لي أن تمش قليلا فسترى العيون الى طامحة والاكف الى ممتدة فاذا كان كذلك فلا عليك ان تمد الىّ بركابك فلما أفضت الخلافة اليه أتيته فكان أول ماوقعت عيناه علىّ وهو عند الناس فعبس في وجهي فقلت كأنه لم يعرفنى أو عرفنى فاظهر لى انكاراً فلم أبرح حتى قضى مجلسه ودخل الى قصره فلم البث ان خرج الىّ حاجبه وقال أين مالك بن أبي عمارة فقلت وما تريد منه قال طلبك أمير المؤمنين فلما دخلت عليه مدّ يده الىّ قبلتها فقال تراءيت لى في موضع لم يجز فيه الا مارأيت من الاعراض والانقباض فالآن مرحباً بك وأهلاً فكيف كنت بعدي وكيف

مصـيرك فقلت كما يحب أمير المؤمنين فقال اذكر ما قلت لك فلت
أجل وهو الذي انهضني اليك قال والله ما هو ميراث ورثناه ولكني
حدثتك عن نفسي بشيء تموت به الى موضعي هذا بانى ما جادلت ذا
ود ولا قرابة قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث
حتى ينتهي هو ولا قصدت لكبيرة من محارم الله تعالى لذاتها وكنت
من عبد مناف في بيتها ومن بيتها في وسط القلادة وكنت ارجو ان
يرفعني الله بهذه الاحوال ثم قد فعل فله الحمد ثم قال ياغلام انزله
منزلا من منازلي فأخذ الغلام بيدي وأفضى بي الى ارحب منزل
وأوطأ رحل وأخفض عيش وأحسن حال بحيث يسمع كلامي واسمع
كلامه فاذا حضر غداؤه وقعد عليه مع بطانته جاء رسوله فقال لي
ان أمير المؤمنين جالس في بطانته فاذا شئت فانهض اليـه بلا رداء
فاذا رآني رفع منزلي واقبل عليّ بحدثني ويسألني عن الحجاز وعن
العراق فلم ازل كذلك حتى مضى له عشرين يوماً فتغديت في آخرها
يوماً عنده فلما اقام من مكان طعامه نهضت فقال على رسلك أيها
الرجل فجلست فقال أي الامرين أحب اليك المقام هنا ولك النصفة
في المعاشرة أم الشخوص ولك الحب والكرامة فقلت جئت من عند
أهلي على اني زائر أمير المؤمنين وعائد اليهم فان أمرني أمير المؤمنين
بالمقام اخترت فناءه على الاهل والولد قال لا بل أرى لك الرجوع الى
اهلك فانهم يتطلعون الى قدومك فتجدد بهم عهداً ويجددون بك مثله
والخيار في زيارتنا والمقام معهم اليك وقد أمرنا لك بعشرين الف دينار

وكسوناك وحلناك أترى أني ملأت يديك يا أبا فهر فضحكت وقلت أواك يا أمير المؤمنين تذكر ما كنت وعدت به قال أجل ولا خير فيمن لا يذكر اذا وعد ولا يفي اذا عهد فودع اذا شئت صحبتك السلامة وزودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك حيث ما توجهت فودعته وانصرفت بما أمر لي وكان آخر العهد به

﴿ ومن المنقول عن الوليد بن عبد الملك ﴾

قال أبو الفرج الاصبهاني في الاغاني اخبرني علي بن سليمان الاخفش في كتاب المتعالين قال حدثنا ابو سعيد السكري قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال عشقت أم البنين وضاحا فكانت ترسل اليه فيدخل اليها ويقيم عندها فاذا خافت وارته في صندوق عندها وأقفلت عليه فاهدى للوليد جوهر له قيمة فاعجبه واستحسنه فدعا خادماً له فبعث طعمة به الى أم البنين وقال قل لها ان الجوهر أعجبني فآثرتك به فدخل الخادم عليها مفاجأة ووضاح عندها فادخلته الصندوق وهو يرى فادى اليها رسالة الوليد ودفع اليها الجوهر ثم قال لها يامولاتي هبي لي منه حجراً فقالت لا يا ابن اللخنا ولا كرامة فرجع الى الوليد فاخبره فقال كذبت يا بن اللخناء وأمر به فوجئت عنقه ثم لبس نعليه ودخل على أم البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط وقد وصف له الخادم الصندوق الذي ادخلته فيه فجاء فجلس عليه ثم قال لها يا أم البنين ما أحب اليك هذا البيت من بين بيوتك كلها

فلم تختاريته فقالت اجلس فيه واختاره لانه يجمع حوائجي كلها فاشاولها منه كما أريد من قرب فقال لها هب لي صندوقاً من هذه الصناديق قالت كلها لك يا أمير المؤمنين قال ما أريدها كلها انما أريد منها واحداً قالت خذ أيما شئت قال هذا الذي جلست عليه قالت خذ غيره فان لي فيه أشياء أحتاج لها قال ما أريد غيره قالت خذه يا أمير المؤمنين فدعا بالخدم وأمرهم بحمله فحملوه حتى انتهى به الى مجلسه فوضعه فيه ثم دعا عبيداً له عجماً فأمرهم بحفر بئر في المجلس عميقة فنحي البساط وحفرت الى الماء ثم دعا بالصندوق فوضعه على شفير البئر ودنا منه وقال يا صاحب الصندوق انه بلغنا شيء ان كان حقاً فقد كفنناك ودفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك الى آخر الدهر وان كان باطلا فانما دفنا الخشب وما أهون ذلك ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الارض ورد البساط الى حاله وجلس الوليد عليه ثم ما رأى بعد ذلك اليوم لوضاح أثر في الدنيا الى هذا اليوم قال وما رأت أم البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما انتهى

﴿ ومن المنقول عن سليمان بن عبد الملك ﴾

ذكروا ان سليمان بن عبد الملك خرج ذات يوم للصيد وكان كثير التطير فبينما هو في بعض الطريق اذ لقيه رجل أعور فقال اوثقوه ومر مروان على بئر خربة فقال القوه في هذا البئر فان صدنا يومنا هذا أطلقناه والا قتلناه لتعرضه لنا مع ما قد علم من شدة تطيرنا فالقوه

في ذلك البئر فما رأى سليمان في عمره اكثر صيداً من ذلك اليوم فلما رجعوا ومروا على الشيخ امر باخراجه فلما وقف بين يديه قال له ياشيخ ما رأينا أسر ولا أير من طلعتك على قتال وأنا ما رأيت شراً من طلعتك على فضحك سليمان وأمر باطلاقه وأحسن اليه اه

﴿ ومن المنقول عن هشام بن عبدالملك ﴾

قيل بينما هشام بن عبد الملك ذات يوم في متنزه إذ نظر الى صبي تبعه الكلاب وأحالته الكلاب الى صبي اعرابي يرعى غنماً له فقال له هشام يا اعرابي دونك هذا الصبي فأتني به قال فرفع الاعرابي طرفه اليه وقال له يا جاهلا بقدر الاخيار • لقد نظرت الي باستصغار • وكلمتني باحتقار • فكلامك كلام جبار • وفعلك فعل حمار • فقال له هشام ويحك ما تعرفني قال قد عرفني بك سوء أدبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال ويلك أنا هشام بن عبدالملك فقال الاعرابي لاقرب الله دارك ولا حيا مزارك ما اكثر كلامك وأقل اكرامك قال فما استتم كلامه حتى أحدقت به الخيل والجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين قال هشام اقصروا عن السلام واحتفظوا بالغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه فقال عليّ بالغلام الاعرابي فأتي به فلما رأى كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وأبناء الدولة لم يكترث الغلام منهم ولم يسأل عنهم وحين أقبل الغلام أولا جعل ذقنه في صدره لينظر حيث

يقع قدماه الي أن وصل الي هشام فوقف بين يديه ونكس رأسه الى الارض وسكت عن الكلام فقال بعض الخدم ياكلب العرب ما منعك أن لاتسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه الصبي مغضباً وقال يا بردعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق ونهر الدرجة والتعويق • فقال له هشام وقد تزايد ما به من الغضب ياصبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك • وخاب فيه أملك • وانصرم فيه عمرك • وضاق فيه أمرك فقال الصبي والله ياهشام لئن كان في المدة تأخير • ولم يكن في الاجل تقصير لاضرني من كلامك لاقليل ولا كثير • فقال الحاجب بلغ من فعلك يا أخس العربان تخاطب أمير المؤمنين كلة بكلمة فقال له مسرعا بفيك الجندل • ولا ملك الويل والهبل • أما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله يجادل جدالا فن هو هشام حتى لا يخاطب خطاباً قال فعند ذلك قام هشام واغتاظ عليه وقال ياسياف على برأس هذا الغلام • فقد أكثر من الكلام • فيا لا يخطر على الاوهام • قال فأخذ الصبي • ونزل به في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال السياف يا أمير المؤمنين عبدك المذل بنفسه • المتقلب في رمسه اضرب عنقه وأنا بريء من دمه قال نعم فاستأذن ثانية فاذن له ثم استأذنه ثالثة فهم أن يأذن له فضحك الغلام حتى بدت نواجذه فازداد تعجباً هشام منه وقال ياصبي اظنك معتوهاً أترى انك مفارق الدنيا ومزايل الحياة وأنت تضحك هزؤاً بنفسك فقال يا أمير المؤمنين أبيات شعر حضرت الساعة فاسمعها وقتلي لا يفوت فقال هات

وأوجز فيه أول توقعك من الآخرة وآخره من الدنيا فأنت يقول

أتيت ان البز علق مرة	عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفور في اظفاره	والبز منهمك عليه يطير
ما في ما يغني لمثلك شبعة	ولئن اكلت فانني لحقير
فتكلم الباز المدل بنفسه	عجباً وافلت ذلك العصفور

فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تلفظ الغلام بهذا اللفظ في أول وقت من أوقاته وطلب ما دون الخلافة لاعطيته يا خادم احش فاه دراً وجوهراً وأحسن جائزته ومضى الى حال سبيله

﴿ ومن المنقول عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴾

قال حماد الراوية كنت منقطعاً في جنب هشام بن عبد الملك فلما توفي وولي بعده الوليد بن يزيد خفته على نفسي فخرجت من الشام الى العراق فقمت مستخفياً عند أهلي فلما كان ذات يوم وأنا قاعد في المسجد اذ احاط بي الغلمان من كل جانب وقالوا أجب الامير يوسف بن عمرو الثقفي فخرجت معهم وما أملك نفسي حتى دخلت عليه فسلمت فرد السلام علي ثم قال سكن جأشك أيها الرجل ثم أوقفني على كتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله الوليد بن يزيد أمير المؤمنين الى يوسف بن عمرو الثقفي أما بعد فاذا وقفت على كتابي هذا فانفذ الى حماد الراوية من يأتيك به غير مذعور ولا مفزع وادفع

اليه خمسمائة دينار يحملها لعياله واحمله على طوالع الابل لنوافيني به دمشق قال حماد الراوية فسرت الى دمشق ودخلت عليه وهو في مجلس تُعجبك به مجلساً قد فرش بالديباج والحرير وعليه ثوبان ممكان من زعفران وفروة قد رجلها مضمخة بالمسك وعلى رأسه جاريتان لم ير أحسن منهما صورة ولا أحسن من نظر فيهما على احداهما قباء ديباج أبيض وعلى الاخرى قباء ديباج احمر مفصل بدر أبيض وبيدها كأس أبيض فيه شراب احمر فقال ياحماد هل علمت لماذا ارسلت اليك قلت الله أعلم وأمير المؤمنين قال هو بيت • ثم نادوه للصبوح فقامت • فقلت يا أمير المؤمنين هذا من قصيدة لعدى بن يزيد العبادي بكر العاذلون في وضح الليل • فقال أتعرفها فقلت اما قال أسمعنيها فانشدت القصيدة المذكورة

بكر العاذلون في وضح الليل يقولون لى الا تستفيق
ويلومون فيك يا ابنة عبد الله والقلب عندكم موثوق
لست أدري اذا كر العذل فيها أعدو يلومنى أم صديق
زانها وافر القدار جثى وأثيث سلت الجبين أنيق
وثنايا مفلجات حسان لاقصار جدا ولاهن روق
باكرتهن قرقف كدم الزق تزين الفداة كميت رحيق
زانها التاجر اليهودى حولين واذكي من ريحها التعتيق
ثم فض الختام من جانب الدن وحانت من اليهودى سوق
فاستباها منه امرؤ كريم اريحي غذاه عيش رقيق

ثم نادوه للصبوح فقامت ذات حسن وجيدها الفريق
قد دعته الى عقار كعين الديك صفين سلافها الراووق
ثم كان المزاج ماء سحاب صفقته من الشمال صفوق

ثم قال الوليد أحسنت والله ياحماد هل لك في شرابنا قلت ان شاء أمير المؤمنين ثم قال يا جارية اسقيه فسقتني كأساً أحسست بذهاب ثلث عقلي ثم قال ياحماد اعد الشعر فأعدته ثم قال هل لك في الازدياد قلت ان شاء أمير المؤمنين ثم قال ياجارية اسقيه فأسقتني كأساً أحسست بذهاب ثلث عقلي ثم قال ياحماد أعد الشعر فأعدته ثم قال هل لك في الازدياد قلت ياأمير المؤمنين قد ذهب ثلثا عقلي قال فاسئل حاجتك قبل شرابك الثالث قلت وما أتعاظم قال لاتتعاظم قلت احدى الجاريتين قال فضحك حتى استلقى على قفاه ثم قال هما لك وما عليهما من الحلي والحلل بارك الله لك فيهما ثم سقتني الثالث فما علمت أين وقعت من الارض حتى انتبهت من الغداة واذا أنا بدار غير الدار التي كنت فيها واذا الجاريتان عندي وعشرة آلاف درهم لقضاء حوائجي فأقمت أغدو اليه وأروح شهراً وأنا في خلال ذلك احادثه بأحاديث الملوك وأخبار العرب في الاسلام والجاهلية فلما أردت الانصراف استأذنت فأذن لي وأمر لي بجائزة حسنة وكسوة فاخرة فكان الذي وصل الي مائة الف درهم فلما جئت لوداعه قال يا حماد اكرم الجاريتين فاني آثرتك بهما على نفسي وكان آخر العهد به ٠٠ قيل كان حماد من أعلم الناس بأيام العرب واخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها ثم أن الوليد بن يزيد قال لحماد في أثناء

مقامه عنده بما استحقيت هـذا اللقب فقيل لك حماد الراوية قال لأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم اني أروي لأكثرهم ممن أعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ولا ينشـدني أحد شعراً قديماً ولا محدثاً الا ميزت بين القديم والمحدث قال فكم مقدار ما تحفظ من الشعر قال لا أعلم ولكن انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسـلام قال سأمتحنك في هذا وأمره بالانشاد فأنشد حتى ضجر الوليد ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه فأنشده الفين وتسعمائة قصيدة واخبر الوليد بذلك فأجازه اجازة سنية واخباره ونوادره كثيرة

﴿ ومن المنقول عن يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ﴾

حكي عن يونس الكاتب قال خرجت من الشام في خلافة هشام ابن عبد الملك ومعي جاريتي عاتكة وكنت قد علمتها وهذبتها وأنا أريد فيها ما استغنى به فلما قربنا من دمشق نزلت القافلة على غدير ماء ونزلت ناحية منها فأصبت من طعام كان معي وأخرجت ركوة من فاضل نبيذ كان معي فشربت منها فبينما أنا في تلك الحال واذا فتى حسن الوجه والهيئة على فرس أشـقر ومعه خادمان وعليه ثياب وستر مذهبة فما أدري اوجهه احسن او ثيابه أو دابته فسلم عليّ وقال تقبل ضيفاً فقمت وأخذت بركابه وأنزلته وعلمت انه من أهل بيت الخلافة ودخلتني منه

هية واجلال قال فاسقنا من شرابك فسقيته فقال ان سهل عليك ان تغنين أصواتاً فغنيته شعراً

ليت شعري أول المرج هذا او زمان من فتية غير هرج

فطرب ثم استعاده ثم قال قل لجاريتك تغنى لنا صوتاً فأمرها فغنت

اقاطم ان البعد يشفي ذوي النهى وان بعادي زادني بكم وجدا

فطرب وشرب حتى استعاده مراراً حتى صليت العشاء الآخرة فقال لي من اقدمك علينا هذه الليلة بهذا البلد قلت اوردت بيع جاريتي هذه قال بكم وكم قدرت فيها من الثمن قلت ما اقضى به ديني واصلح به حالي قال افيقنعك ثلاثون ألفاً قلت ما احوجني الى فضل الله والمزيد منه قال فأربعون ألفاً قلت فيها قضاء ديني وأبقى مجرداً قال قد أخذتها بخمسين الف درهم ولك جائزة وكسوة ونفقة طريقك فقلت قد بعتكها قال اتثق بي ان أحمل ذلك اليك غداً واحمل الجارية معي أو تكون عندك لخماتم السكر والهيبة والخشية منه على أن قلت نعم قد وثقت بك خذها بارك الله لك فيها فقال لأحد خدمته احملها على دابتك وارتدف وراءها وركب فرسه وودعني فما هو الا ان غاب عني حتى عرفت موضع غلطي وقلت ماذا صنعت بنفسي وجنيت عليها أسلم جاريتي لرجل لا أعرفه ولا أدري من هو ولا اسمه ولا نسبه ولا من اي البلاد هو وهبني عرفته من اين لي ان اصل اليه وجلست متفكراً ليلتي حتى اصبحت وصليت وجلست موضعي ورحل أصحابي ودخلوا دمشق وضربتني الشمس وشاورت نفسي بين المقام والدخول

ـوقلت ان دخلت لم آمن ان يجيء الرسول من عند الرجل يطلبني فلا يجدني ولا يعرف موضعي فأكون قد جنيت على نفسي جناية ثانية فأقمت وانحدرت رحلي مع بعض أهل المدينة وجلست في ظل جدار هناك فلما ضحي النهار واذا احدالخادمين اللذين كانا بالامس مع الرجل قد اقبل اليّ فما اذكر اني سررت بشيء بقدر سروري بالنظر اليه فقال لي ياسيدي انا منذ الصباح ادور برفقتك لاجل طلبك فنيل ان أسئله عن شيء قلت من صاحبي قال ولي العهد الوليد وهو يطلبك فسكنت نفسي وقال قم فاركب فاذا معه دابة مجنبة فقمت وركبت فلما وصلنااليه فاذا الجارية قد افرد بها بحجرة وهي فيها فأدخلني اليها فلما رأتني قامت فسلمت عليّ فقلت ما كان منك فقالت دخل داره وانزلت هاهنا وتفقدت بما احتاج اليه فأنا كما ترى ثياب سفري فجلست عندها واذا الخادم قد أقبل فقال لي قم فقمت وادخلني الي صاحبي بالامس وهو جالس على سريره فسلمت عليه فقال من تكون قلت يونس الكاتب فقال مرحبابك وقد كنت والله اليك مشتاقاً وكنت أسمع بخبرك فكيف كان مبيتك في ليلتك فقلت بخير اعزّ الله الامير قال فما ندمت على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا اعرفه فقلت ايها الامير معاذ الله ان أندم على ذلك وهب اني اهديتها الى الامير فما قدر هذه الجارية فقال لكني ندمت على اخذها منك وقلت رجل غريب لا يعرفني وقد طرقته الليلة وغمته وسفهت رأيي في استعجالي في أخذها فتذكر ما كان بيننا قلت قد بعتها بخمسين الف

درهم قال لم هات يا غلام المال فجاء به الغلمان يحملونه ووضعوه بين يديه قال هات يا غلام الف دينار مفردة فجيء بها في كيس فوضعوه وقال هات خمسمائة دينار أخرى فجاء بها فوضعها أيضاً ثم قال هذا ثمن جاريتك ضمه اليك وهذه الف دينار لحسن ظنك بنا وهذه خمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تبتاعه لاهلك أرضيت فقبلت يده ورجله وقلت والله لقد ملأت عيني ثم قال يا غلام قدم اليه دابة بسرجها ولجامها لركوبه وبغلا لنقله ثم قال اذا بلغك ان هذا الامر أفضى الي مس ربي فوافد لاملأن يديك ولاغنينك ما حييت فخرجت من عنده وتوجهت الى بلدي فلما أفضت الخلافة اليه سرت اليه فوفى لي بوعده وزاد وكنت معه في أسر حال واسنى منزلة وقد اتسعت أحوالي من الاموال والضياع ما أعيش فيه من الآن ومن هو بعدي ولم أزل معه حتى قتل

﴿ ومن المنقول عن الحجاج بن يوسف ﴾

ذكروا انه كان جالساً في قبته الخضراء وعنده وجوه أهل العراق اذ أتي بصبي من الخوارج في عمره عشر سنين له ذؤابة طويلة تبلغ الى خصره فدخل ولم يسلم بل نظر الى القبة يميناً وشمالاً وقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين وكان الحجاج متكئاً فاستوى جالساً وقال يا غلام اني لأرى لك عقلاً وذهناً أاحفظت القرآن قال أو خفت على القرآن الضياع حتى احفظه قال أفجمعته قال أوكان مفرقاً حتى اجمعه قال فأحكمت القرآن

قال أو ليس الله أنزله محكماً قال أفاستظهرت القرآن قال معاذ الله ان اجعل القرآن من وراء ظهري فقال له ويحك ماذا أقول لك أو يل لك قل أوعيت القرآن في صدرك فالحجاج فاقرأ شيئاً من القرآن فاستفتح الغلام أعوذ بالله منك ومن الشيطان الرجيم اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله افواجاً قال الحجاج ويلك انهم يدخلون قال الغلام كانوا يدخلون وأما اليوم فقد صاروا يخرجون قال ولم ويلك قال لسوء فعلك بهم قال ويلك هل عرفت المخاطب لك قال نعم شيطان ثقيف فقال له ويلك فمن أبوك قال الذي ولدني قال فمن أمك قال التي ولدتني قال وأين ولدت قال في بعض الفلوات قال وأين نشأت قال في بعض البراري قال ويلك أمجنون انت فأعالجك قال لو كنت مجنوناً لما وصلت اليك ووقفت بين يديك لاني ممن يرجو فضلك أو يخاف عقابك قال فما تقول في أمير المؤمنين قال رحم الله أبا الحسن قال انما أعني عبد الملك بن مروان قال على الفاسق الفاجر لعنة الله قال ويلك بم استحق اللعنة قال أما والله ما انكر حقه غيرانه أخطأ خطيئة ملأت السموات والارض قال وما هي قال باستعماله إياك على رعيته تستبيح اموالهم وتستحل دماءهم فالتفت الحجاج الى اصحابه وقال ماتشيرون في أمر هذا الغلام قالوا اسفك دمه فقد خلع الطاعة وفارق الجماعة فقال الغلام ياحجاج جلساء أخيك خير من جلسائك قال أخي محمد بن يوسف قال على الفاسق الفاجر لعنة الله انما أعني أخاك فرعون قال لجلسائه ماذا تأمرون في موسى قالوا أرجه

وأخاه وهؤلاء أمروك بقتلي اذاً والله تقوم عليك الحجة غداً بين يدى الله ملك الجبارين ومذل المتكبرين قال الحجاج ياغلام قيد الفاظك واقصر كلامك فاني أخاف عليك بادرة الامراء وقد أمرت لك باربعة آلاف درهم تستعين بها فقال الغلام لا حاجة لى فى هذا المبلغ بيض الله وجهك وأعلى كعبك فالتفت الى اصحابه وقال قد علمتم ما أراد بقوله بيض الله وجهك وأعلى كعبك أراد التعليق والصلب ثم التفت الى الغلام فقال ما تقول فيما قلته قال قاتلك الله من منافق ما أفهمك فقال الحجاج ياحرسي اضرب عنقه فقال رجل من القوم يقال له الرقاشي هبه لى اصلح الله الامير قال هو لك لا بارك الله لك فيه فقال الغلام لا أدرى أيكما أحق الواهب أجلاً قد حضر أم المستوهب أجلاً لم يحضر قال الرقاشى استنقذتك من القتل وتكافئني بهذا الكلام فقال الغلام هنيئاً لك الشهادة ان ادركتني السعادة ياعجباً جئت من بلاد الضنك والضيق وارجع الى أهلى سفراً بلا شيء القتل أحب اليّ قال الحجاج قد امرنا لك بمائة الف درهم وقد عفونا عنك لحداثة سنك وصفاء ذهنك واياك والجراءة على ارباب الامر فتقع مع من لا يعفو عنك فقال الغلام العفو بيد الله لا بيدك والشكر لله لا لك لا اجمع الله بيني وبينك أو يلتقي السامري وموسى ثم خرج فابتدر الخدم على أثره فقال دعوه فارأيت اشجع منه قلباً ولا أفصح منه لساناً فلا والله ما وجدت مثله وعسى ان لا يجد مثلى قط انتهى والله أعلم

—*—*—*—*—*—

﴿ الباب السادس ﴾

(فى الخلفاء العباسيين)

وكان مدة خلافتهم بالعراق ومصر سبعمائة سنة وخمسة واربعين سنة بعد خلافة الامويين وكانت الخلفاء منهم بالعراق سبعة وثلاثون أولهم (ابو العباس السفاح) وآخرهم (محمد المعتصم) بن المنتصر (فاما) أبو العباس السفاح فهو عبد الله بن محمد بن على بن عبدالله بن عباس وهو أول من اقام دولة بني العباس بويع له رابع عشر شهر ربيع الاول سنة اثنين وثلاثين ومائة وبقى فى الخلافة اربع سنين وثمانية اشهر وتوفى فى المحرم وولى بعده أخوه (ابو جعفر المنصور) مكث فى الخلافة أثنين وعشرين سنة وهو الذى بني بغداد وكان مولده بالجهمية بارض البلقاء وولى بعده ابنه (محمد المهدى) مكث فى الخلافة عشر سنين وشهراً ويوماً وتوفى عن اثنين وأربعين سنة ونصف سنة وولى بعده ابنه (موسي الهادى) مكث فى الخلافة سنة وشهراً وتوفى عن أربعة وعشرين سنة وولى بعده (هارون الرشيد) مكث فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوماً وتوفى عن خمسة واربعين سنة وكان مولده بالري وولى بعده ابنه (محمد الامين) مكث في الخلافة أربع سنين وسبعة اشهر ومات قتيلاً عن تسعة وعشرين سنة وكان مولده برصافة بغداد وولى بعده اخوه (عبدالله المأمون) مكث فى الخلافة ستة وعشرين سنة وخمسة

أشهر وتوفي بأرض الروم عن ثمانية واربعين سنة وكان مولده في ليلة استخلف الرشيد وولى بعده أخوه (محمد المعتصم) مكث في الخلافة ثمان سنين وثمانية اشهر وثمانية ايام ومات عن ثمانية واربعين سنة وولي بعده ابنه (هارون الواثق) مكث في الخلافة خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام وولى بعده أخوه (جعفر المتوكل) مكث في الخلافة اربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام وقتله ولده (محمد المنتصر بالله) مكث في الخلافة بعده ستة أشهر وقتل وولى بعده عمه (احمد المستعين بالله) ابن المعتصم مكث في الخلافة ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانيـة وعشرين يوماً ومات مقتولا وله من العمر احدى وثلاثون سـنة وولى بعده ابن اخيه (محمد المعتز بالله) ابن المتوكل مكث في الخلافة ثلاث سـنين وستة أشهر واحدي وعشرين يوماً وولى بعده (محمد المهتدى بالله) بن الواثق مكث في الخلافة سنة كاملة وولى بعده (احمد المعتمد على الله) بن المتوكل مكث في الخلافة اثنين وعشرين سنة واحد عشر شهراً وخمسـة عشر يوماً وولى بعـده (احمد بن طلحة المعتضد بالله) ابو العباس بن ولى العهد بن احمد الموفق بالله ابن المتوكل مكث في الخلافة تسـع سنين وتسعة اشهر واياماً وولى بعده (على المكتفى بالله) بن المعتضد ومكث في الخلافة تسع سنوات وولى بعده أخوه (جعفر المقتدر بالله) ابو الفضل بن المنتصر مكث في الخلافة اربعة وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام وبقيت الخلافة فيهم واحداً بعد واحد الى ان تولى المعتصم بن المنتصر فأقام سبعة عشر

سنة وهتله خربت بغداد وانقضت الخلافة وكان ذلك بدخول التاتار واستيلائهم عليها (وأما باقى العباسيين) الذين استخلفوا بمصر فثلاثة عشر رجلا الاول (الحاكم ابن احمد) الامير حسين الراشد العباسى حضر الى مصر وأثبت نسبه وولي الخلافة بها وذلك بعد وصول المستنصر الثاني الى القاهرة ومبايعة الناس له بالخلافة وسفره وصحبه الملك الظاهر الى الشام ومفارقته له لتوجهه الى العراق لحرب التاتار فقتلوه التاتار واستقل الامر بمصر للحاكم (احمد) اربعين سنة وولى بعده ابنه (المستكفى) وبعده ابنه (الحاكم) الثانى احمد وبعده اخوه (المعتضد) وبعده ابنه (المتوكل) وخلع وولى (المعتصم) عمر بن الواثق بن المستمسك بن الحاكم احمد وولى بعده (المعتصم) زكريا بن الواثق وخلع ثم عاد المتوكل بن المعتضد ثانياً واقام سبعة عشر سنة وخلف عشرة اولاد ذكور تولى بعده منهم خمسة وكان خامسهم المستنجد بالله ابو المحاسن يوسف آخر دولة العباسيين بمصر

﴿ فمن المنقول عن أبي العباس السفاح ﴾

ما رواه ابن الجوزى في كتاب الاذكياء عن ثعلب عن ابن الاعرابي قال أول خطبة خطبها أمير المؤمنين السفاح في قرية يقال لها العباسية فلما صار الى موضع الشهادة من الخطبة قام رجل من آل بني طالب فى عنقه مصحف فقال اذكرك الله الذى ذكرته الا انصفتنى من خصمي وحكمت بيني وبينه بما في هذا المصحف فقال له ومن

ظلمك قال أبو بكر الذي منع فاطمة فدكاً قال وهل كان بعده امير قال نعم قال من قال عمر قال أفأقام على ظلمك قال نعم قال وهل كان بعده أحد قال نعم قال من قال عثمان قال وأقام على ظلمك قال نعم قال وهل كان بعده أحد قال نعم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال وأقام على ظلمكم قال فسكت الرجل وجعل يلتفت الى ورائه يطلب مخلصاً فقال له والله الذي لا اله إلا هو لولا أنه أول مقام قته ثم لم أكن تقدمت اليك فى هذا قبل لاخذت الذي فيه عيناك اقعد واقبل على الخطبة

﴿ ومن المنقول عن أبي جعفر المنصور ﴾

قيل دخل ابن هرمة على أبي جعفر فانشده فقال سل حاجتك فقال تكتب الي عاملك بالمدينة متى وجدني سكراناً لا يحدني فقال هذا حد ولا سبيل الى ابطاله قال مالي حاجة غير ذلك قال أكتب الي عاملنا بالمدينة من أتاك بابن هرمة وهو سكران فاجلده ثمانين واجلد الذي جاء به مائة قال وكان الشرطة يمرون به وهو سكران فيقولون من يشترى ثمانين بمائة فيمرون ويتركونه

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قال يعقوب بن جعفر مما يعرف ويؤثر من ذكاء المنصور انه دخل المدينة فقال للربيع اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس فاني أحب ان اعرف ذلك فجاءه رجل يعرفه الا انه لا يبتديه حتى يسئله

المنصور فلما فارقه أمر له بالف درهم فطالب به الرجل الربيع فقال ما قال لى فنا اهب لك الفاً من عندي وسيركب فذكره فركب معه وجعل يعرفه الدور ولا يرى موضعاً للكلام فلما أراد المنصور ان يفارقه فقال له الرجل مبتدئاً وهذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التى يقول فيها الاحوص

يادار عاتكة التى اتعزل   حذر العدى وبه الفؤاد موكل

فانكر المنصور ابتداءه بهذا فامر القصيدة على قلبه فاذا فيها

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم   مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم انه أراد الاقتضاء فضحك وقال ياربيع أعطه الالف درهم التى وعدته والف أخرى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى عن المنصور انه جلس في احدى قباب مدينته فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجوز في الطرقات فارسل من أتاه به فسأله عن حاله فاخبره الرجل انه خرج في تجارة فافاد مالاً وانه رجع بالمال الى منزله فدفعه الى أهله فذكرت امرأته ان المال سرق من بيتها ولم ير نقباً ولا تسلقا فقال له المنصور منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال أفبكراً تزوجتها قال لا قال فلها ولد من سواك قال لا قال فشابة هي أم مسنة قال بل حدثة فدعى له المنصور بقارورة فيها طيب كان يتخذ له حاد الرائحة غريب النوع فدفعها اليه وقال تطيب من هذا الطيب فانه يذهب همك

فلما خرج الرجل من عند المنصور قال المنصور لاربعة من ثقاته ليقعد على كل باب من ابواب المدينة واحد منكم فمن مر به رجل منكم فشم منه رائحة هذا الطيب وأشمهم منه فليأتني به وخرج الرجل بالطيب فدفعه الى امرأته وقال لها وهبه لي أمير المؤمنين فلما شمته بعثت الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت المال اليه فقالت له تطيب من هذا الطيب فان أمير المؤمنين وهبه لزوجي فتطيب منه الرجل ومر مجتازا ببعض ابواب المدينة فشم الموكل بالباب رائحة الطيب منه فأخذه فأتى به اليه فقال له المنصور من أين استفدت هذا الطيب فان رائحته غريبة معجبة قال اشتريته قال أخبرنا ممن اشتريته فلجلج الرجل واختلط كلامه فدعا المنصور صاحب شرطته وقال خذ هذا الرجل اليك فان احضر كذا وكذا من الدنانير فخله يذهب حيث شاء وان امتنع فاضربه الف سوط من غير مؤامرة فلما خرجا من عنده دعا صاحب شرطته فقال هول عليه وجرده ولا تصل الى الضرب حتى تؤامرني فخرج صاحب شرطته فلما جرده وسجنه اذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها فأعلم المنصور بذلك فدعا صاحب الدنانير فقال له أرأيتك ان رددت عليك الدنانير باعيانها أتحكمني في امرأتك قال نعم قال فهذه دنانيرك وقد طلقت امرأتك عليك وخبره خبرها

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

ذكروا ان أبا جعفر المنصور ذكروا له ان ابا لامة لا يصلي في

مسجد قط وانما همته الشرب والخمر قال فبعث اليه رسولا يقول
ياعدو الله وعدو نفسه لئن بلغني أنك فاتتك صلاة من الصلوات الخمس
لاوجعنك ضرباً ثم حبسه في مسجد عند قصره قال ففعل ذلك اياماً
يسيرة ثم مل العبادة وكتب الى أبي جعفر المنصور بابيات يقول فيها

ألم ترياً هذا الامير بغمني	بمسجده مالى هديت وللقصر
يكلفنى الاولى جميعاً وعصرها	فويل من الاولى وويل من العصر
ويحبسنى عن مجلس استلذه	اعلل فيه بالسماع وبالخمر
وقد كان له فيها مجالس جمة	ولـكنها وقر لدينا من الوقر
وما ضره والله يصلح شأنه	لو انخطايا المسلمين على ظهرى

قال فعفى عنـه وخلى سبيله ثم ان اباد لامة جاءت أمـه تشكوه الى
أبي جعفر المنصور وقالت والله ياسيدى قد أوحشنى وأفقرنى وانا اهمته
الخمر والشرب قال فبعث اليه خادماً يأتيه به فلما جاءه امتنع من المسير
مع كونه سكراناً فجذبه الخادم فخرق عليه ساجاً كان عليه ثم مضى به
مكرها حتى أوقفه بين يدى المنصـور فخاطبه فاذا هو سكران لايعقل
فأمر بسجنه فى بيت الدجاج فلما أصبح وأفاق سمع ديكا يصيح فوق
رأسه ودجاجات يصدحن عنده فقال للسجان ويحك اين ترانى فقال
أمير المؤمنين امر بسجنك فى هذا المكان فقال له احتل لى فى دواة
وقرطاس فأتاه بذلك فكتب الي المنصور هذه الابيات

امن صهباء صافية المزاج	كان شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتشتهيا	اذابرزت ترقرق فى الزجاج

وقد طبخت بنار الله حتى لقد أضحت من النطف النضاج
امير المؤمنين فدتك نفسي علام حبستني وخرقت ساجي
اقاد الى السجون بغير جرم كأني بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان خيراً ولكني حبست مع الدجاج
دجاجات يطيف بهن ديك ينادي بالصباح اذا اناجي
وقد كانت تخبرني ذنوبي باني من عقابك غير ناجي
على اني وان لقيت سوءً لخيرك بعد ذاك الشر راجي

قال فلما وقف عليها الخليفة أمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال له اين بت الليلة يا أبا دلامة قال مع الدجاج قال فاذا تصنع قال اتوقى بينهن فضحك منه وأطلقه وأمر له بصلة ثم ان أمه أتت تشكوه مرة أخرى فأمر أبو جعفر المنصور باحضاره فقال اما ترعوي وتسمع كلام أمك يا أبا دلامة فقال سليطة ردية كثيرة الاذى ولكن اسمع مني

ان الخليط اجد والبين فانصدعوا يوم الوداع فاجاعوا وما رتعوا
والله يعلم ان كادت لبينهم ام الدلام حصاة البين تنصدع
وقد عجبت لصبياني وامهم ام الدلامة تلحاني وهم هجعوا
تقول ابغ لنا نخلا ومزدرعا كما لجيراننا نخل ومزدرع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى لك الخلافة في أسبابها الرقع
ما زلت اكسبها ملا وتأكله دوني ودون عيالي ثم تضطجع
ناشدتها بكتاب الله خالقنا فلم تكن لكتاب الله ترتدع

قال فضحك المنصور وامر له بنقطة فيها نخل ومزدرع وكسى أمه

والصرفا شاكرين

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روي عن الربيع انه قال ما رأيت رجلا لرجل ولا أربط جأشاً من رجل رفع خبره الى المنصور ان عنده ودائع وأموالا لبني امية فأمرني باحضاره. فأحضرته ودخلت به اليه فقال له المنصور قد رفع الينا أمر الودائع والاموال التي لبني أميـة فاخرج لنا منها فقال له يا امير المؤمنين أو ارث انت لبني امية قال لا قال افوصي قال لا قال فما سؤالك عما في يدي فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بني أمية ظلموا المسلمين وانا وكيـل المسلمين في حقهم فأريد أن آخذ أموال المسلمين واجعلها في بيت مالهم فقال يا امير المؤمنين تحتاج في ذلك الى اقامة البينة العادلة على ان الذي في يدي لبني امية مما خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين فان بني أمية كان لهم أموال غير اموال المسلمين فأطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسـه اليَّ وقال صدق الرجل ياربيع ما وجب على الرجل عندنا شئ ثم بش في وجهه وقال هل لك من حاجة قال نعم يا أمير المؤمنين حاجتي ان تنفذ كتابي على البريد الى أهلي ليسكنوا الى سـلامتي فقد راعهم اشخاصي وقد بقيت لي حاجة أخرى يا امير المؤمنين قال ماهي قال تجمع بيني وبين من سعى بي اليك والله ما لبني امية عندي ولا في يدي مال ولا وديعة ولـكني لما مثلت بين يديك وسألتني رأيت ماقلته أسرع الى الخلاص

والنجاء فقال المنصور ياربيع اجمع بينه وبين من سعي به فجمعت بينهما فقال هذا غلامي ضرب على ثلاثة آلاف من مالي وابق مني وكذب عليّ خوفاً من الوقوع في يدي فقال يا امير المؤمنين صفحت عن جرمه وأبرأت ذمته من المال وأعطيته ثلاثة آلاف أخري فقال له المنصور ماعلى مافعلت مزيد في الكرم وانصرف وكان المنصور يتعجب منه ويقول ما رأيت مثل هذا الرجل

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى المنصور انه كان يدخل البصرة في أيام بني أمية مستتراً فجلس في حلقة أزهر السمان المحدث فلما افضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر السمان الكوفة فرحب به وقرب منزله وقال ما الذي أقدمك علينا قال جئتك مهنئاً بالخلافة فشكر له ذلك وأمر له بعشرة آلاف درهم فأخذها وانصرف ثم عاد اليه من قابل فلما رآه قال ما الذي جاء بك قال جئت طالباً فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا لامهنئاً ولا طالباً فأخذها وانصرف فلما كان في العام القابل عاد اليه فقال ما الذي اقدمك قال وافد فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال لا تأتنا مهنئاً ولا طالباً ولا وافداً فأخذها وانصرف ثم عاد من قابل قال له ما الذي جاء بك قال دعاء سمعته من أمير المؤمنين جئت لا كتبه فضحك المنصور وقال انه غير مستجاب انى دعوت الله ان لايريني وجهك فلم يستجب لي وأمر له بعشرة آلاف درهم وقال له تعال متى شئت

مسجد قط وانا همته الشرب والخمر قال فبعث اليه رسولا يقول يا عدو الله وعدو نفسه لئن بلغني أنك فاتتك صلاة من الصلوات الخمس لاوجعنك ضرباً ثم حبسه فى مسجد عند قصره قال ففعل ذلك اياماً يسيرة ثم مل العبادة وكتب الى أبي جعفر المنصور بابيات يقول فيها

ألم ترنا هذا الامير بغمني ... بمسجده مالى هديت والقصر
يكلفنى الاولى جميعاً وعصرها ... فويل من الاولى وويل من العصر
ويحبسنى عن مجلس استلذه ... اعلل فيه بالسماع وبالخمر
وقد كان له فيها مجالس جمة ... ولكنها وقر لدينا من الوقر
وما ضره والله يصلح شأنه ... لو ان خطايا المسلمين على ظهرى

قال فعفى عنه وخلى سبيله ثم ان اباد لامة جاءت أمه تشكوه الى أبي جعفر المنصور وقالت والله ياسيدى قد أوحشنى وأفقرني واتهمته الخمر والشرب قال فبعث اليه خادماً يأتيه به فلما جاءه امتنع من المسير مع كونه سكراناً فجذبه الخادم فخرق عليه ساجاً كان عليه ثم مضى به مكرها حتى أوقفه بين يدى المنصور فخاطبه فاذا هو سكران لا يعقل فأمر بسجنه فى بيت الدجاج فلما أصبح وأفاق سمع ديكا يصيح فوق رأسه ودجاجات يصدحن عنده فقال للسجان ويحك اين تراني فقال أمير المؤمنين امر بسجنك فى هذا المكان فقال له احتل لى فى دواة وقرطاس فأتاه بذلك فكتب الى المنصور هذه الابيات

امن صهباء صافية المزاج ... كأن شعاعها لهب السراج
تهش لها النفوس وتشتهيها ... اذا برزت ترقرق فى الزجاج

وقد صبحت بشره حتى قد تحتس الصف لتفح
مير مؤمنين ضحك تمى عي وجبني وخرقت سو
قد ق السجون جير حره كأني بعض عمل لحرج
وو سمهم جبت كل جير ولكني جبت مع لدحج
مجنبت يطيف بين ديك يتدي بنصيح د دحو
وقد كنت تحبرني ذنوبي نفى من عذيتك غير زجو
على اني وان لقيت سوء لخيرك بعد ذاك لشر رجي

قال فلما وقف عليها الخليفة أمر بحضاره فمثل بين يديه قال له ابن بت اللية يا أبا دلامة قال مع الدجاج قال فذ تصنع قال توفي يهن فضحك منه وأطلقه وأمر له بصلة ثم أن أمه أتت تشكوه مرة أخرى فأمر أبو جعفر المنصور بإحضاره فقال اما ترعوى وتسمع كلام أمك يا أبا دلامة فقال سليطة ردية كثيرة الاذى ولكن اسمع مني

ان الخليط اجد والبين فانصدعوا يوم الوداع فاجاعوا وما رتعوا
والله يعلم ان كادت لبينهم ام الدلام حصاة البين تنصدع
وقد عجبت لصبياني وامهم ام الدلامة تلحاني وهم هجعوا
تقول ابتع لنا نخلا ومزدرعا كما لجيراننا نخل ومزدرع
لا والذي يا أمير المؤمنين قضى لك الخلافة في أسبابها الرفع
ما زلت اكسبها مالا وتأكله دوني ودون عيالي ثم تضطجع
ناشدتها بكتاب الله خالقنا فلم تكن لكتاب الله ترتدع

قال فضحك المنصور وامر له بنقطة فيها نخل ومزدرع وكسى أمه

فقد أعيتنا فيك الحيل

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ان المنصور أقبل يوماً والفرج بن فضالة جالس على بابه ومعه جماعة فقام الناس وهو لم يقم فرآه المنصور فاشتد غضبه ودعى به فقال ما منعك عن القيام مع الناس قال خفت ان يسألني الله تعالى لم فعلت ويسألك لم رضيت وقد كرهه صلى الله عليه وسلم فسكن غضب المنصور وانشرح

﴿ ومن المنقول عن ولده محمد المهدى ﴾

روى ابن الجوزى في كتاب الاذكياء عن سعيد بن عبد الرحمن انه وافى الى الربيع الحاجب حين أفضت الخلافة الى المهدى فقال استأذن لي على أمير المؤمنين فقال له من أنت وما حاجتك قال أنا رجل قد رأيت لامير المؤمنين رؤيا صالحة وقد أحببت أن تذكرني له فقال له الربيع ياهـذا ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف ما يراه لهم غيرهم فاحتل بحيلة هي أردُّ عليك من هذه فقال له ان لم تخبره بمكاني سألت من يوصلني اليه وأخبرته اني سألتك الاذن عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال له يا أمير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس في أنفسكم فقد احتالوا لكم بكل ضرب فقال له المهدي هكذا صنع الملوك فماذا قال رجل بالباب يزعم انه قد رأى لامير المؤمنين رؤيا حسنة وقد أحب ان يقصها عليك فقال المهدى

ويحك ياربيع انى والله أرى الرؤيا لنفسى فلا تصح فكيف اذا
ادعاها لي من لعله قد افتعلها قال والله قلت له مثل هذا فلم يقبل
قال هات الرجل فادخل عليه سعيد بن عبد الرحمن وكان له رؤية
وجمال ومروءة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان فقال له المهدى هات بارك
الله فيك ماذا رأيت قال رأيت ياأمير المؤمنين آتيا أتاني في منامي فقال
خبر أمير المؤمنين المهدى أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة وآية ذلك
انه يرى في ليلته هذه في منامه كأنه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدها
ثلاثين ياقوتة كأنها قد وهبت له فقال له المهدي ما أحسن ما رأيت
ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة عما اخبرتنا به فان كان الامر
على ما ذكرته أعطيناك ما تريد وان كان الامر بخلاف ذلك لم نعاقبك
لعلمنا ان الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت قال له سعيد ياأمير المؤمنين
فماذا أصنع أنا الساعة اذا صرت الى منزلي وعيالي فاخبرتهم أني كنت
عند أمير المؤمنين ثم رجعت صفراً قال له المهدى فكيف نعمل قال
يعجل لي أمير المؤمنين بما أحب وأحلف له بالطلاق أني قد صدقت
فامر له بعشرة آلاف درهم وأمر أن يؤخذ منه كفيل ليحضر من
غد ذلك اليوم فقبض المال وقيل من يكفل بك فر عينيه الى خادم
فرآه حسن الوجه والزى فقال هذا يكفل بي فقال له المهدى اتكفل
به فاحمر وخجل وقال اكفله وانصرف فلما كان في تلك الليلة رأى
المهدى ما ذكر له سعيد حرفاً حرفاً وأصبح سعيد فوافى الباب واستأذن
فاذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال أين مصداق ما قلت لنا قال

له سعيد وما رأى أمير المؤمنين شيئاً فتوقف في جوابه فقال له سعيد امرأتي طالق ان لم تكن رأيت شيئاً قال له ويحك ما اجرأك على الحلف بالطلاق قال لاني احلف على صدق قال له المهدي فقد والله رأيت ذلك مبيناً فقال له سعيد الله أكبر فانجز لي يا أمير المؤمنين ما وعدتني فقال له حباً وكرامة ثم امر له بثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت ثيـاب وثلاثة مراكب من أنفس دوابه محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذي كان تكفل به وقال له سألتك بالله هل لهذه الرؤيا التي ذكرتها من اصل قال له سعيد لا والله قال له الخادم كيف وقد رأى امير المؤمنين ما ذكرته له قال هذه من الخوارق الكبار التي لا ينتبه لها امثالكم وذلك أني لما القيت اليه هذا الكلام خطر بباله وحدث به نفسه واشتغل به فكره فساعة نام خيل له ما حلّ في قلبه وما كان شغل به فكره في المنام قال له الخادم قد حلفت بالطلاق قال طلقة واحدة وبقيت معي على ثنتين فازيد في مهرها عشرة دراهم واتخلص فأحصل عشرة آلاف درهم وثلاثة آلاف دينار وعشرة تخوت من اصناف الثياب وثلاثة مراكب قال فبهت الخادم في وجهه وتعجب من ذلك فقال له سعيد قد صدقتك وقد جعلت صدقي لك مكافأة على كفالتك فاستر على ذلك ففعل ثم طلبه المهـدي لمنادمته فنادمه وحظي عنده وقلده القضاء على عسكر المهدي فلم يزل كذلك حتى مات المهدي

—•—•—•—•—•—

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قال ابن صالح كنت عند المهدي ودخل عليه شريك بن عبد الله القاضي فاراد ان يخره فقال لخادم على رأسه هات عود القاضي فجاء الخادم بالعود الذي يلهي به فوضعه في حجر شريك فقال ما هـذا يا أمير المؤمنين قال هذا أخذه صاحب العسس البارحة فاحببت ان يكون كسره على يد القاضي فقال جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين فكسره ثم افاضوا في حديث حتى نسي الامر ثم قال المهدي لشريك ما تقول في رجل امر وكيلا له ان يأتي بشيء بعينه فاتى بغيره فتلف ذلك الشيء فقال يضمن يا أمير المؤمنين قال لخادم اضمن ما تلف بقضيته

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى عن حسن الوصيف قال قعد المهدي قعوداً عاماً للناس فدخل رجل وفي يده نعل في منديل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهديتها لك قال هاتها فدفعها اليه فقبل باطنها ووضعها على عينيه وأمر للرجل بعشرة آلاف درهم فلما اخذها وانصرف قال لجلسائه أترون اني لم أعلم ان رسول الله لم يرها فضلاً عن ان يكون لبسها ولو كذبناه لقال للناس أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله فردها عليّ وكان من يصدقه اكثر ممن يدفع خبره

اذ كان من شأن العامة الميل الى اشكالها والنصرة للضعيف على القوى وان كان ظالماً فاشترينا لسانه وقبلنا هديته وصدقنا قوله ورأينا الذي فعلناه أنجح وارجح

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قيل دخل المهدى الى بعض الحجر فرأي جارية تغتسل فلما رأته غطت فرجها بيدها فقال

* نظرت فى القصر عينى *

وارتج عليه وسأل من بالباب من الشعراء فقيل بشار فأمر بادخاله وسأله الاجازة فقال

نظرت في القصر عينى نظراً وافق حينى
سترت لما رأتني دونه بالراحتين
فضلت منه فضول تحت طي العكنتين
ليتنى كنت عليه ساعة أوساعتين

فضحك المهدى وقال قبحك الله اكنت ثالثنا قال يا أمير المؤمنين انى أتوب من قولى ساعة أو ساعتين قال فما تقول ويحك قال سنة أو سنتين قال اخرج لا ام لك وأمر له بجارية حسنة

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

حكي عن أبي دلامة انه دخل على المهدى فانشده قصيدة فقال

سلنى حاجتك فقال يا أمير المؤمنين هب لى كلباً فغضب المهدي وقال أقول لك سلني حاجتك فتقول هب لى كلباً فقال يا امير المؤمنين الحاجة لي ام لك قال بل لك قال فاني اسألك ان تهب لى كلب صيد فأمر له بكلب فقال يا امير المؤمنين هبنى خرجت الى الصيد أعدو على رجلى فأمر له بدابة فقال يا امير المؤمنين من يقوم بها فأمر له بغلام فقال له يا امير المؤمنين فهبنى قد صدت صيداً وأتيت المنزل فمن يطبخه فأمر له بجارية فقال يا امير المؤمنين أين يبيتون فأمر له بدار فقال يا امير المؤمنين قد صيرت في عنقى كثا من عيال فما يقوت هؤلاء قال فضحك منه وأرضاه

﴿ ومن المنقول عن موسى الهادى ﴾

حكي عن علي بن يقطين قال كنت عند موسى الهادى ذات ليلة مع جماعة من اصحابه اذ أتاه خادم فساره بشيءٍ فنهض سريعاً فقال لا تبرحوا فمضى وابطأ ثم جاء وهو يتنفس ساعة حتى استراح ومعه خادم يحمل طبقاً مغطى بمنديل فقام بين يديه فأقبل يدعو فعجبنا من ذلك ثم جلس وقال للخادم ضع ما معك فوضع الطبق وقال له ارفع المنديل فرفعه فاذا على الطبق رأس جاريتين لم أر والله احسن من وجهيهما ولا من شعورهما واذا على رأسيهما الجوهر منظوم على الشعر واذا رائحة طيبة تفوح فأعظمنا ذلك فقال ماتدرون من شأنهما قلنا لا قال بلغنى انهما تحابا فوكلت هذا الخادم بهما ليرفع اليّ اخبارهما فجاءني

وأخبرني أنهما قد اجتمعا فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف واحد فقتلتهما ثم قال يا غلام اوقع ووجم في حديثه كأنه لم يصنع شيئاً اه

﴿ ومن المنقول عن أخيه هارون الرشيد ابن المهدي ﴾

روى ان جعفر بن يحيي بن خالد بن برمك كان قد بلغ من هارون الرشيد ما لم يبلغه وزير من خليفة قبله حتى كان يدخل معه في حلة واحدة قد اتخذ لها جيبين على ما ذكر بعض المخبرين وكان بلغ عنده الى ان يحكم عليه فيما شاء من امر ماله وولده فمن ذلك ماروي عن ابراهيم بن المهدي انه قال قال لي جعفر يوماً اذا كان غدا فبكر الي فلما كان غد مشيت اليه باكراً فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار أحضر حجاماً فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا ثم خلع علينا ثياب المنادمة وقال جعفر لحاجبه لايدخل علينا احد الاعبدالملك القهرمان فنسي الحاجب ما قال له فجاء عبدالملك بن صالح الهاشمي وكان رجلا من بني هاشم ذا ملاحة وفصاحة وحزم وعلم وجلالة قدر وفخامة ذكر وصيانة فدخل في نفس الحاجب انه الذي امر بادخاله فأدخله عليه فلما رآه جعفر تغير لونه فقال عبدالملك لما رآهم على تلك الحال وظهر له انه تغير واراد أن يرفع خجلهم وخجله بمشاركته لهم في فعلهم فقال اصنعوا بنا ما صنعتموه بأنفسكم فجاء الخادم فطرح عليه ثياب المنادمة ثم جلس يشرب فلما بلغ ثلاثا قال ليخفف عني فانه شيء والله ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل لك من

حاجة تبلغها بقدرتي وتحيط بها لعمتي فاقضيها لك مكافأة لما صنعت قال بلى
ان أمير المؤمنين عليّ غاضب فاسأله الرضى عني قال قد رضى عنك أمير
المؤمنين قال وعلي اربعة آلاف دينار قال هي حاضرة من مال أمير المؤمنين
قال وابني ابراهيم أريد ان أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين قال قد زوجه
أمير المؤمنين ابنته عائشة قال وأحب ان تخفق الالوية على رأسه قال ثم ولاه
أمير المؤمنين مصر قال ابراهيم فانصرف عبد الملك وأنا أتعجب من
اقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير استئذان أمير المؤمنين فلما كان
من الغد وقفنا على باب الرشيد ودخل جعفر فلم يلبث ان دعي بابي
يوسف القاضي ومحمد بن واسع وابراهيم بن عبد الملك فعقد له النكاح
وحملت البدر الى منزل عبد الملك وكتب سجل ابراهيم على مصر
وخرج جعفر فاشار اليّ فلما صار الى منزل نزل فنزلت بنزوله فالتفت
اليّ وقال قلبك معلق بطلب تاول أمر عبد الملك بن صالح فاحببت
معرفة خبره وذلك أني لما دخلت على أمير المؤمنين تمثلت بين يديه
وابتدأت القصة من أولها الى آخرها فجعل يقول أحسن والله ثم قال
ما صنعت فاخبرته بما سأل وبما أجبته فجعل يقول في ذلك كله أحسنت
أحسنت وخرج ابراهيم والياً على مصر من يومه وكان الرشيد يحبه
حباً شديداً حتى كان لا يفارقه وكانت العباسة أخت الرشيد عنـد
الرشيد من أحب نسائه اليه وكان أيضاً لا يريد ان يفارقها وكان متى
غاب عنه جعفر لم يتم سروره أيضاً فقال يا جعفر انه لا يتم لي سرور
إلا بك وبالعباسة ولكنى أزوجها منك ليحل لكما الاجتماع معاً وإياكما

ان تجتمعا وأنا دونكما فتزوجها على هذا الشرط فبقيا على تلك الحال ماشاء الله ان يبقيا حتى عشقت العباسة جعفراً فراودته فابى وخاف على نفسه فلما اعيتهما الحيلة فى نفسه اى في أمره علمت ان النساء اقرب الى الخديعة فبعثت الى أمه عتابة وكانت عتابة ام جعفر ترسل لابنها فى كل جمعة بكراً عذراء وكان جعفر لا يطأ تلك الجارية حتى يأخذ شيئاً من النبيذ فقالت العباسة لام جعفر ارسليني لجعفر كأني جارية من جواريك اللواتي ترسلين اليه فأبت عليها ام جعفر فقالت لها العباسة ان لم تفعلي فى قلت للرشيد ان ام جعفر كلمتني فى كيت وكيت وان انت فعلت ذلك واشتملت منه على ولد زاد فى شرف ابنك وما عسى ان يفعل اخي لو قد علم اني قد اشتملت على ولد من ولدك فطمعت ام جعفر في ذلك فجعلت تعده بانها ترسل اليه جارية عذراء من هيأتها وصفتها وجعلت تماطله في ذلك وجعفر يطالبها المرة بعد المرة فلما علمت ان نفسه اشتاقت الى تلك الجارية التي ذكرت له قالت للعباسة تهيئ فى هذه الليلة ففعلت العباسة وادخلت على جعفر وكان لا يثبت صورتها لانه انما كان يجلس معها والرشيد حاضر فكان لا يرفع طرفه اليها مخافة الرشيد فلما دخلت عليه وقضى وطره منها قالت له كيف رأيت خديعة بنات الملوك قال وأي بنت ملك انت قالت له مولاتك العباسة فطار السكر من رأسه وذهب الى أمه وقال لها والله يا أماه بعتيني رخيصاً فاشتملت العباسة من تلك الليلة على ولد فلما ولدته وكلت به غلاماً يقال له رياش وحاضنة يقال لها برة فلما خافت ظهور

الامر يشتمهم الى مكة وكان يحيى بن خالد ينظر على قصر الرشيد وعلى حرمه وخدمه وكان يغلق ابواب القصر بالليل وينصرف بالمفاتيح معه فتمل ذلك حتى ضيق على حرم الرشيد فشكت زبيدة أم الامين أمره فقال له الرشيد يا أبت ما بال زبيدة تشكوك قال يا أمير المؤمنين أمتهم أنا في حرمك وخدمك قال لا قال فلا تقبل قولها فازداد يحيى لها منعاً وعليها غلظة فدخلت زبيدة على الرشيد فقالت ما يحمل يحيى على ما يفعل بي من منع خدمي ووضعي في غير موضعي قال لها الرشيد ان يحيى غير متهم في حرمي قالت لو كان كذلك لحفظ ابنه مما ارتكبه قال لها وما ذلك فأخبرته بخبر العباسة قال وهل على هذا دليل قالت وأي دليل أدل من الولد قال وأين هو قالت كان هاهنا فلما خاف ظهوره وجهت به الى مكة قال ويعلم هذا سواك قالت ما في قصري جارية الا وقد عرفت ما أخبرتك به قال فسكت عنها واظهر انه يريد الحج فخرج وخرج معه جعفر فكتبت العباسة الى الخادم والداية ان يخرجا بالصبي نحو اليمن فلما وصل الرشيد الى مكة وكل من يثق به بالبحث عن أمر الصبي والداية والخادم فوجد الامر صحيحاً فاضمر في البرامكة من أجل ذلك ازالة نعمتهم ثم دعا السندي بن شاهك وهو أحد قواده فامره بالمضي الى بغداد والتوكل بالبرامكة ودور كتابهم وقراباتهم وان يجعل ذلك سراً من حيث لا يعلمه أحد حتى يصل الى بغداد ثم يفضي بذلك الى دور من يستبقيه من أهله واعوانه ففعل ذلك السندي وكان الرشيد بالانبار بموضع يقال له العمر وكان معه فيه جعفر فانصرف

جعفر الى موضعه ودعى بابي زكار الاعمى الطنبوري ومدت الستارة وجلست جواريه خلفها يضربن ويغنين وابو زكار يغنيه

ما يريد الناس منا ما ينام الناس عنا

انما همهم ان يظهروا ماقد دفنا

ودعا الرشيد من ساعته بياسر غلام من غلمانه فقال له ياياسر اني دعوتك لامر لم أر له محمداً ولا عبد الله ولا القاسم أهلاً وأريتك ناهضاً به فحقق عني واحذر ان تخالفه فيكون سقوط منزلتك عندي قال ياأمير المؤمنين لو امرتني ان اقتل نفسي لفعلت قال اذهب الى جعفر بن يحيى وجئني برأسه الساعة على أي حال كان فوقف ياسر حائراً قال ياياسر ألم أعلمك انك ان خالفت أمري قال بلى ولكن الامر عظيم ووددت اني مت قبل هذا قال امض لما امرتك فمضى حتى دخل على جعفر وابو زكار يغنيه

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادى

ولو فديت من حدث الليالي فديتك بالطريف وبالتلاد

وكل ذخيرة لا بد يوماً وان بقيت تصير الى نفاد

فقال جعفر ياياسر سررتني باقبالك وسؤتني بدخولك بغير اذن قال الامر أكبر من ذلك ان أمير المؤمنين امرني فيك بكذا وكذا فاقبل جعفر يقبل قدمي ياسر ويقول له دعني ادخل اوصي قال لا سبيل الى ذلك قال ان لي عندك حقاً وان تجد مكافأتي الا في هذه الساعة قال تجدني سريعاً الا فيما خالف أمير المؤمنين قال فارجع اليه

فاعلمه أنك قد نفذت ما امرك به فان اصبح نادماً فذاك وكانت حياتي على يديك وكانت تلك عندى نعمة وان اصبح على مثل مذهبه نفذت ما امرك به قال ولا هذا لست افعله قال فاسير معك الى مضرب أمير المؤمنين بحيث اسمع كلامه ومراجعتك اياه فاذا أبليت عذراً ولم يقنع الا بصيرك برأسي فعلت قال أما هذا فنعم فسارا جميعاً الى مضرب الرشيد فلما سمع حسه قال ياياسر ما ورآءك فعرفه ما قال جعفر فقال والله لئن راجعتني لاقدمنك قبله فرجع فقتله وجاء برأسه فلما وضعه بين يديه أقبل عليه ملياً ثم قال ياياسر جئني بفلان وفلان فلما اتاه بهما قال اضربا عنق ياسر فاني لا أقدر ان أرى قاتل جعفر (وروى) عن المغيرة بن محمد المهلبي قال حدثني الاصمعي قال وجه اليّ الرشيد بعد قتله جعفراً لجئت فقال أبيات أردت ان تسمعها قلت اذا شاء أمير المؤمنين فانشدني

لو ان جعفر خاف اسباب الردى	لنجا به منها طمر ملجم
ولكان من حذر المنية حيث لا	يرجو اللحاق به العقاب القشعم
لكنه لما أتاه يومه	لم يرجع الحدثان عنه منجم

فعلمت انها له فقلت هذه أحسن ابيات في معناها فقال الحق الآن باهلك يابن قريب وقال ان علية بنت المهدي قالت للرشيد بعد ايقاعه بالبرامكة ما رأيت لك يا سيدي سروراً منذ قتلت جعفراً فلأي شيء قتلته فقال لها ياحياتي لو علمت ان قميصي يعلم السبب لمزقته ثم قبض على يحيى وعلى الفضل فسجنا حتى ماتا في السجن وكان موت يحيى

بعــد قتل جعفر بثلاثة سنين ومات الفضــل بعد والده يحيى في السجن بسنتين ويقال انه صار الى الرشيد من اموال البرامكة واثاثهم وضياعهم قيمة خمسةعشر الف الف دينار (وكتب) يحيى الى الرشيد من السجن لامير المؤمنين ، وإمام المسلمين وخلف المهديين ، وخليفة رب العالمين ، من عبد اسلمته ذنوبه ، وأوثقته عيوبه ، وخذله شقيقه ، ورفضه صديقه ، وذل به الزمان ، وأناخ عليه الحدثان ، فصار الى الضيق بعد السعة ، وعالج البؤس بعد الدعة ، وافترش السخط بعد الرضى ، واكتحل السهر ، وافتقد الهجوع فساعته شهر وليلته دهر ، قد عاين الموت ، وشارف الفوت ، جزعاً يا امير المؤمنين حبب الله عنى فقدك ، لما أصبت به بعدك ، لا لمصيبتي بالحال والمال ، فان ذلك كان بك ولك عارية ولا بأس ان تسترد العواري ، فاما المحنة في جعفر ، فبجرمه أخذته ، وبجريرته عاقبته ، وما أخاف عليك زلة في أمره ، ولا مجاوزة به فوق ما يستحقه ، فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم ضعفي وشيبتي ووهن قوتي ، وهب لي رضى عن فن مثلي الزلل ، ومنك الاقالة ، ولست اعذره ، ولك اني وقد رجوتُ أن يظهر عند الرضى وضوح عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي وفلج حجتي ما يكتفى به أمير المؤمنين ويرى الجلية فيه ويبلغ المراد منه ان شاء الله تعالى وكتب اليه بهذه الابيات

قل للخليفة ذي الصنا ئع والعطايا الفاشيه
وابن الخلائف من قري ش والملوك الهاديه

رأس الامور وخيرمن ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذ ين رموا اليك بداهيه
عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقيه
فكأنهم مما بهم اعجاز نخل خلوية
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة باديه
مستضعفون مطردو ن بكل ارض قاصيه
من دون مايلقون من عتب يشيب الناصيه
اضحوا وجل مناهم منك الرضى والعافيه
بعد الوزارة والاما رة والامور العاليه
انظر الى الشيخ الكب ير فنفسه لك راجيه
او ما سمعت مقالتي ياذا الفروع الزاكيه
مازلت ارجو راحة فاليوم زال رجائيه
واليوم قد سلب الزما ن كرامتي وبهائيه
القى الزمان جرانه مستشعباً بفنائيه
ورمي سوادي مقلتي فأصاب حين رمانيه
يامن يود لي الردى يكفيك وبحك مابيه
يكفيك اني مستبا ح معشري ونسائيه
يكفيك ما ابصرت من ذلي وذل مكانيه
وذهاب مالي كله وفدى الخليفة ماليه
ان كان لايكفيك الا ان اذوق حماميه

فلقد رأيت الموت من قبل الممات علانيه
وفجعت أعظم فجعة وفنيت قبل فنائيه
وهويت فى قعر السجو ن على رفيع بنائيه
انظر بعينك هل ترى الا قصوراً خاليه
وذخائراً موروثة فسمن قبل ثمانيه
ومصارعاً ومجالساً ومصائباً متواليه
ونوادباً يدعونني تحت الدجا بكنائيه
آبا على البرمكي فما أجبت الداعيه
وتداوهن وقد سمه ت مقلتلا أحشائيه
اخليفة الله الرضى لا تشمتن أعدائيه
واذكر مقاساتى الامو ر وخدمتى وعنائيه
ارحم جعلت لك الفدى كربى وشدة حاليه
ارحم أخاك الفضل و الباقين من أولاديه
اخليفة الرحمان انـ ك لو رأيت بناتيه
وبكاء فاطمة الكبيرة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع يا شقوتي وشقائيه
من لي وقد غضب الامام على جميع رجاليه
وعدمت طيب معيشتي وتغيرت حالاتيه
يا نعمة الملك الرضى عودي علينا ثانيه

وروى ان الرشيد لما وقف على هذه الابيات وقع بخطه تحت الشعر

قوله هذا

اجري القضاء عليكم ما جئتموه علانيه
من ترك نصح امامكم عند الامور الباديه
يا آل برمك انما كنتم ملوكا عاتيه
فكفرتم وعصيتم وجحدتم نعمائيه
هذى عقوبة من عصى مولاه ثم عصانيه

وكتب تحته وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وحكي انه كتب قبل موته يخاطب الرشيد بابيات وهي

ستعلم في الحساب اذا التقينا غداً عند الاله من الظلوم
سينقطع التلذذ عن اناس ارادوه وتنقطع الهموم
الا يا بائعا ديناً بدنيا غرور لا يدوم لها نعيم
تخل من الذنوب فأنت منها على أن لست ذا سقم سقيم
تنام ولم تنم عنك المنايا تنبه للمنية يا نؤوم
تروم الخلد في دار التفاني وكم قد رام قبلك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

﴿ ومن المنقول عن الرشيد أيضاً ﴾

قال منارة رفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا من بني أمية عظيم المال والجاه وكثير الجند والحفدة يخشى على المملكة منه وكان الرشيد

يومئذ بالكوفة فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق وخذ معك مائة غلام وائتني بغلان الاموي وهذا كتابي الي العامل لاتوصله الا اذا امتنع عليك فاذا أجاب قيده بعد ان تحصي جميع ماتراه وما وما يتكلم به واذكر لي حالك وحاله وقد أجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولاقامتك يوماً أفهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله تعالى فخرجت أطوي المنازل ليلا ونهاراً لا ازل الا للصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت في السابع بباب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصداً نحو دار الاموي فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة ومساطب متسعة وغلمان عليها جلوس فهجمت الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل لهم رسول امير المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت أقواماً محتشمين ظننت ان المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل هو بالحمام فاكرموني وأجلسوني وأسهوا بمن معي ومن صحبني الي مكان آخر وانا أتفقد الدار واتأمل الاحوال حتى اقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرون كهول وشبان وحفدة فسلم خفياً وسألني عن أمير المؤمنين فاخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم احضرت اطباق الفاكهة فقال تقدم يامنارة فتأملت كثيراً اذا لم يكنى فقلت لا آكل فلم يعاودني ورأيت مالم أره في الخلافة ثم لما قدم الطعام فوالله مارأيت أحسن ترتيباً ولا أعظم رائحة ولا أكثر منه فقال تقدم يامنارة فكل فقلت ليس لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت الى اصحابي فلم أر احداً منهم عندي فجزعت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه احضر البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فاتم

الركوع والسجود وأكثر الركوع بعدها فلما فرغ استقبلني وقال ما اقدمك يامنارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضعه على رأسه ثم قرأه فلما فرغ استدعى جميع بنيه وخواص اصحابه وسائر غلمانه حتى ضاقت الدار بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت الا أنه يريد القبض عليّ ثم قال لاهله وحشمه الطلاق يلزمه والحج والعتق والصدقة وسائر الايمان لا يجتمع منكم أثنان في مكان واحد حتى يكشف أمري ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات قيودك يامنارة فدعوت الحداد فقيده وحمله حتى وضعه في المحمل وركبت معه وسرنا فلما وصلنا ظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط وقال هذه الضيعة لي تعمل في كل سنة بكذا وكذا وهذا البستان لي وفيه من غرائب الاشجار وطيب الاثمار كذا وكذا وهذه المزارع يحصل منها كل سنة كذا وكذا فقلت ياهذا ألست تعلم انّ أمير المؤمنين اهمه أمرك حتى انفذني خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وانت ذاهب الى ما تقدم عليه وقد أخرجتك من بيتك ومن بين أهلك ونعمتك وحيداً فريداً وانت تحدثني حديثاً غير مفيد ولا نافع لك فقال إنا لله وإنا اليه راجعون لقد اخطأت فراستي فيك يامنارة وما ظننت يامنارة أنك عند الخليفة بهذه المكانة الا وقد وفر عقلك وإذا انت جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفاء أما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصية أمير المؤمنين فهو لا يضر ولا ولا ينفع الا بمشيئة ربه فان كان قد قضى عليّ بشيء فلا حيلة لي

بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قدر الله بشيء فلو اجتمع
مع أمير المؤمنين سائرما على وجه الارض على ان يضروني لم
يستطيعوا ذلك ومالي ذنب فاخاف وانما هو واش وشى عند أمير المؤمنين
ببهتان وأمير المؤمنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لايستحل
ضروري وعلى عهد الا كنك بعدها الاجوابا ثم أعرض عني واقبل على
التلاوة وما زال كذلك حتى وافيت الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا
النجب اقبلت من عند أمير المؤمنين تكشف عن اخبارنا فلما دخلت
على الرشيد قبلت الارض وقال هات يامنارة اخبرني من خروجك
عنى الى يوم قدومك فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانه وخواصه
بدمشق وضيق الدار بهم وتفقدي اصحابي فلم أجد احداً اسود وجهه
فلما قلت انه مد رجليه انتشر واستبشر فلما اخبرته بحديثي معه
بضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على
نعمته ومكذوب عليه وقد ازعجناه وروعناه وشوشنا على اولاده اخرج
اليه وانزع قيوده وادخله عليّ مكرماً ففعل فلما ادخل قبل الارض
ورحب به أمير المؤمنين واجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح
فقال له أمير المؤمنين سل حاجتك قال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع
شملي باهلي وولدي قال هذا كائن سل غيره قال عدل أمير المؤمنين في
عماله ما أحوجني الى سؤال قال نخلع عليه أمير المؤمنين ثم قال يامنارة
اركب الساعة حتى ترده الى المكان الذي أخذته منه ثم في حفظ الله
ولا تقطع اخبارك ولا حوائجك عنا

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قال الاصمعي خرجت من الكوفة الى المسجد الجامع بالبصرة في أيام الرشيد فاذا أنا برجل يدور بين الصفوف بينتين له احداهما عن يمينه والاخرى عن شماله وهو يقول

يا ابنتي صابرا اباكما ابكيناأعين من راكا
وهو الذي بفضله براكا ولو يشأ بفضله اغناكا

فلم يبق أحد في المسجد الا بكى رحمة له وأومأ اليه بالجلوس حتى انصرف الناس من الصلاة وبسطوا له ثوباً وطرحوا عليه فضة وذهباً حتى امتلأ الثوب فاشتروا له منزلا واقام بالبصرة وكان سريع الخاطر جيد البديهة في الشعر والنثر وكان يكنى بأبي فرعون فبلغ خبره هارون الرشيد فأمر باشخاصه الى بغداد فلما وقف بين يديه قال له انت أبو فرعون قال نعم يا أمير المؤمنين قال ألك حاجة قال لا حاجة لي في غير مدحكم يا أمير المؤمنين فقال الرشيد لا حاجة لنا في مدحك بل أقسمت عليك بحقي الا ما هجوتنا والمجلس يومئذ غاص بأهله من أمير ووزير وحاجب وكاتب منهم جعفر بن يحيى وأبوه يحيى وأخوه الفضل والفضل بن الربيع وسعيد بن مسلم الباهلي وهلال النديمي واحمد بن عمران الكاتب ومسرور الحاجب وهارون الصاحب فقال بمن أبدأ يا أمير المؤمنين فقال بمن شئت فالتفت يميناً وشمالا وقال من هذا قالوا سعيد بن مسلم الباهلي فأنشأ يقول

هيهات أضرب في حديد بارد ان كنت اطمع في نداك سعيد
لو كنت تملك حين تملك دجلة وبحورها وتصير حيث تريد
أو كنت تملك نيل مصر جميعه او حيث ينقص ماؤه ويزيد
وأتاك مسلم بادراً باناته يبغي الوضوء لقلت ذاك صعيد

فقام سعيد مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال الرشيد والجماعة اجلس وارضه فانه شاعر فجلس وارضاه ثم التفت الى الفضل بن الربيع وسأل عن اسمه وأنشأ يقول

لسانك أحلى من جنى النحل موعداً وصدرك بالمعروف أضيق من قفل
تمنى الذى يأتيك حتى اذا انتهى الي أمله ناولته طرف الحبل

فقام الفضل مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال الرشيد والجماعة اجلس وارضه فانه شاعر فجلس وأرضاه ثم التفت الي أحمد بن عمران الكاتب وسأل عن اسمه وأنشأ يقول

لنا كاتب مولع بالخلاف كثير الخطاء قليل الصواب
الج لجاجا من الخنفسا وأزهى اذ ماشى من غراب

فقام احمد بن عمران مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال الرشيد والجماعة أقعد وارضه فانه شاعر فجلس وأرضاه ثم التفت الى هارون الصاحب وسأل عن اسمه وقال

وصاحب السوء كالداء العضال اذا ما ارفض في الجلد يجري ههنا وهنا
يجري ويظهر من عورات صاحبه وما رأى عنده من صالح دفنا
ان يحي ذاك فكن منه على حذر أو مات ذاك فلا تشهد له كفنا

فقام هارون مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال الخليفة والجماعة اقعد وارضه فانه شاعر فجلس وارضاه ثم التفت الى هلال النديمي وسأل عن اسمه وانشا يقول

الا من يشتري مني هلالا ۞ يبرزون ويغديه بجلس
واشرط فذي يشريه مني ۞ ليعلم من خصال فيه خمس
فمنهن البغاء على المكارى ۞ وآثار الجراح وكل حلس
ويصطاد الذباب بشفريه ۞ ولو كان الذباب برأس جعص

فقام هلال مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله فقال الخليفة والجماعة اجلس وارضه فانه شاعر فجلس وأرضاه ثم التفت الى مسرور الحاجب فقال من هذا فقيل مسرور الحاجب فانشا يقول

وحاجب السوء مذموم خليقته ۞ يمشي على مثله معوج العراجين
وما دعوت عليه قط انه ۞ الا وآخر يتلوني بآمين
فليته كان ارض الروم مسكنه ۞ أو كان أقصى بلاد الله بالصين

فقام مسرور مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله وهم بهفزجره الرشيد عنه وقال اقعد وارضه فانه شاعر فقعد وارضاه ثم التفت الى جماعة البرامكة وكانوا قريباً من أمير المؤمنين فقال من هؤلاء فقيل جماعة البرامكة فأنشا يقول

اذا ذكر الشرك في مجلس ۞ .انارت وجوه بني برمك
وان تليت بينهم آية ۞ اتوا بالاحاديث عن مروك
فسلهم كافر مشرك ۞ على دين شمعلة المشرك

فقام كل منهم مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله والرشيد قد كثر تعجبه وعلا بالضحك صوته فقال لهم اجلسوا وارضوه فانه شاعر فاطاعوا أمير المؤمنين ولم يبق الا الخليفة فاحتشم وسكت فقال له يا أبا فرعون الحقتني بأصحابي فقال بل امتدحك يا أمير المؤمنين فان الهجاء لايليق بك فقال لا حاجة لي في مدحك وقد أقسمت عليك بهجائي الا ما ألحقتني بأصحابي فأنشأ يقول

ياعين سحي الدمع واستعبري قد بائع الناس لهارون
خليفة ليس من فمله لا يعرف البقل من التين
لا بد للأحمق من دولة أف لهذا الدين من دين

فقام الرشيد مغضباً يجر سيفه ويسحب ذيله وقال له يا ابن الخنا بلغ بك الهجاء الى هاهنا فقالوا له الجماعة يا أمير المؤمنين اقعد وارضه فانه شاعر والهجاء لا يكون معجباً حتى يكون مغضباً فامتثل كلامهم وامر له بجائزة سنية

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

ذكر الفضل بن الربيع ان الرشيد جلس يوماً على الشراب فقال لاصحابه اريد شاعر ظريف حسن الصوت جميل الوجه فقالوا باجمعهم ما نعرف ببغداد احداً على هذه الصفة غير أبي النواس فانه اجلهم وجهاً وأفصحهم لساناً • وأقربهم جواباً • وأعذبهم شعراً • وأحسنهم صوتاً فامر باحضاره فلما صار بين يديه قال له يا أبا النواس انشدني

من اشعارك فقال انشدك مما قلته أو مما أقوله فى الساعة قال لا بل مما قلته قديماً فقال يا أمير المؤمنين مررت يوماً في شارع من شوارع البلد فملت الى دار استقى ماء اذا أنا بجارية ممشوقة القد • صبيحة الخد كثيرة المجانة • عليها أثر الرعانة • تصلح أميراً لاهل الحانه • وكأني بها سكرانه • فكلمتني وكلمتها • فقلت فيما كان بيني وبينها من المحاورة شعراً • وقلته والجارية تسمع فقال الرشيد وما هو يا ابي الحسن فانشأ يقول

يانظرة قدحت في القلب نيرانا ... وياهوى زادني شوقاً واحزانا
هيفا مهفهفة اهـدت غضارتها ... اليَّ مع طرف الريحان الوانا
قد كنت اغنى جميع الناس كلهم ... عن شرب مائكم إذ كان ما كانا
قالت فلم قلت أخشى طول هجركم ... قالت فلا تخشى طول الدهر هجرانا
أشاعر أنت ياهـذا فقلت لها ... من أحسن الناس كل الناس الحانا
قالت فغن لنا صوتاً فقلت لها ... حلفت ان لا أغني الدهر مجانا
قالت فقل ثم لا تشطط فقلت لها ... لا شيء أكثر من لقياك احيانا
قالت فغن على اسم الله قلت لها ... أتفهمي سكتنا صوتاً لدمانا
ان العيون التي فى طرفها حور ... قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له ... وهن اضعف خلق الله اركانا
قد من الخمر يصحو بعد سكرته ... وصاحب العشق حتى الموت سكرانا
قالت فغن سوى هـذا لقائله ... واجعله نحوي اذا غنيت أشجانا
قلت اسمعي ثانياً ثم انتقيت لها ... شعراً يوافق فى التمريض معنانا

ثم اندفعت أغنيها على طرب ... بان الخليط ولو طاوعت ما بانا
واستضحكت ثم قالت هات لي خبراً ... ما كان بين علي وابن عفانا
فقلت هـذا حديث لا يوافقني ... لا كن حديث جميل وابن غيلانا
قالت فعبر لنا رؤيا فقلت لها ... ماذا رأيت أراك الله احسانا
قالت رأيت فتى في النوم ناولني ... من نرجس رطب غض وريحانا
فقلت الفتى هو أنا والغض ودكمُ ... وذاك يا سأكني تأويل رؤيانا

فقال الرشيد أشهد انك امام الظرفاء ٠ وسيد الادباء ٠ ورأس المجان وأجازه ثلاثة بدرات فوضعت بين يدي أبي نواس ففرق بدرتين على من حضر فى ذلك الوقت من المغنيين ورفع له بدرة الى منزله فصرفها على من زاره من الشعراء واخوانه من الادب٠ فبلغ الرشيد ذلك فاعطاه الف درهم وجارية جميلة فغاب مدة عن الرشيد ثم دخل عليه يوماً فسأله عن الجارية فقال

وناهدة الثديين من خدم القصر ... مزوقة الاصداغ مضمونة الشعر
مكـرمة فى تربها برمكيـة ... معاطفها قد غبن في لطف الخصر
كلفت بها اذ راعني حسن وجهها ... زماناً وما صاحب الكواعب من امري
وما زلت فى الاشعار فى كل موطن ... اليها وان الشعر من عقد السحر
الى ان أجابت للوصال فاقبلت ... على غير ميعاد اليّ مع العصر
فطالبتها شيئاً فقالت بغيره ... أموت اذاً منه وعبرته تجري
فقلت لنفسي حين فكرت خالياً ... جويرية بكر كذا فزع البكر
فلما تخاليتا توسطت لجـة ... غرقت بها ياقوم في لجج البحر

وصحت أغثني ياغلام فجاءني ... وقد لقت رجلي وصرت الى الصدر
فلولا صياحي بالغلام وأنه ... يوثقني بالحبل صرت الى القعر
فآليت ان لا اركب البحر غازياً ... حياتي ولا سافرت الا على ظهر

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

ذكروا ان هارون الرشيد خرج ذات ليلة يطوف في قصره فلقيته جارية من جواريه وكان يحبها وجداً شديداً وكانت تأبى عليه ان ينال مراده منها تعززاً عليه لحسنها فراودها فابت وكانت سكري فانحل ازارها وسقط خمارها فقالت امهلني الليلة وغداً اصير اليك فتركها ومضت فلما كان من الغد أرسل اليها رسولا يطلب منها تمام الوعد فقالت للرسول ارجع وقل له كلام الليل يمحوه النهار فقال الرشيد من بالباب من الشعراء فقيل الرقاشي ومصعب وأبو نواس فلما حضروا قال لهم من قال لي شعراً يضمن آخره كلام الليل يمحوه النهار فله الف دينار فقال الرقاشي

متى تصحو وقلبك مستطار ... وقد منع القرار فلا قرار
وقد تركتك صباً مستهاماً ... فتاة لا تزور ولا تزار
اذا وعدتك صدت ثم قالت ... كلام الليل يمحوه النهار

فوهب له الف دينار وقال لم تصب ما في خاطري ثم قال مصعب

أما وأبيك لو تجدين وجدي ... لاذهب بالكرى عنك النهار
وكيف وقد تركت العين عبرى ... وفي الاحشاء من ذكراك نار

تهلل وجهها عجباً وقالت   كلام الليل يمحوه النهار

فوهب له الف دينار وقال لم تصب ما أردته ثم قال أبو نواس

وخود أقبلت في القصر سكرى   ولكن زين السكر الوقار

وهز الريح أردافاً ثقالا   وصدراً فيه رمان صغار

وقد سقط الردا عن منكبيها   من التكريه وانحل الازار

فقلت لها عديني منك وعداً   فقالت في غد منك المزار

فقلت الوعد سيدتي فقالت   كلام الليل يمحوه النهار

فقال الرشيد يا غلام سيف ونطع فقلت يا أمير المؤمنين المال لاصحابي والسيف والنطع لي هل أخطأت فيا قلت فقال ما أظنك البارحة الا كنت ثالثنا أو مطلع علينا فقال والله يا أمير المؤمنين مابت الا في داري وانما استدللت بالهوى على خاطرك كما قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون فقبل منه وأمر له ببدرة فيها ثلاثون ألف درهم

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

حكي ان الرشيد خلى في قصره وعنده جارية في تمام الحسن والكمال فلما أراد ان يقضي منها وطراً لم تحرك جارحته فقال لها نامي على اربع فنامت فلم يقم فقال لها العجز به عسى أن يقوم فلم يزدد الا رخاوة فعند ذلك قال

اذا كان ايرك ذا ابية   فلا خير فيه ولا منفعه

وخرج من عنـدها وقال من بالباب من الشـعراء فقيل له أبونواس فأذن له في الدخول فلما سلم قال له انشدني شعراً يكون آخره ولامنفعه فأنشد

لحى الله ابرى ما أمنعه	بحق والله أن أقطعه
فيامن يلمني على سبه	أفق واستمع ماجرى لي معه
حظيت بغيداء في خلوة	فريدة حسن به مبدعه
بطرف كحيل وخصر نحيل	وردف ثقيل فما أملعه
فخاطبتها التيك قالت نعم	مطيعة لامري لا ممنعه
ونامت على ظهرها لم يقم	فقلت قناتي على أربعه
فمسته في كفها فانثنى	وخيب ظني ذا المصفعه
فقلت لهـا العبي لي به	لعل يكون به مرجعه
فمدت أناملى مثل العجين	وكفاً وطيباً فما أبدعه
وصارت تلاعبه فانطوى	فكادت من الغيظ أن تقطعه
وقالت اذا كان ذا ميتة	فلا خير فيه ولا منفعه

فقال الرشيد قاتلك الله كأنك كنت حاضراً عندنا فقال لا والله لكن خطر ببالي شيء فقلته فأمر له بجائزة حسنة

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

حكي عن ابراهيم الموصلي أنه قال قال لي الرشيد بكر يا ابراهيم قلت نعم يا أمير المؤمنين فبكرت اليه فوجدته قد تأهب للصبوح وبين

يديه جارية وفي حجرها عود ما رأيت أجمل منها فقال لها غنى فاندفعت تقول

يقولون سائر بالهوى لا تبح به فكيف ودمعي بالهوى يتكلم
شكوت اليها حبها فتبسمت ولم أدر بدراً قبلها يتبسم
فقلت لها جودى فأبدت تجهما لتقتلني يا حسنها حين تهجم

فقال والله لقد كدت افتضح من حسن غنائها وملاحة وجهها ورقة طبعها ثم قال غن يا ابراهيم فغنيت في معنى غنائها اقول

اذا ما كتمت الحب نمت عيوننا علينا وأبدته العيون السواكب
وان نحن أخفينا ضمائر حبنا أشارت بتسليم علينا الحواجب

ثم فاض دمعي فلم أجد الى حبسه سبيلاً وظننت أن أمير المؤمنين فطن بي فقال غنى فغنت

ان كتمت الهوى تزايد سقمي وأخاف العيون حين أبوح
لا بوحن بالذي في ضميري من هواه لعلني استريح

فلما فرغت أمرها بالقيام فتنغص عيشي وكاد يذهب عقلي ولم املك كتمان ما فى ضميري فظهر للرشيد ما أنا فيه من الوجد فاذن لى فى الانصراف فانصرفت فلما كان بعد يومين دخل على الغلام فقال بالباب خادم يلتمس الوصول اليك فقلت ائذن له قد دخل فقال حبيبة المسكينة تسلم عليك وهذه رقعتها قلت ومن حبيبة قال التي سمعتها بين يدى أمير المؤمنين يوم كذا وهي من العشق على حال الموت ففتحت الرقعة فاذا فيها

قد تخوفت ان اموت من الوجـ ـد ولم يدر من هويت بما بي
إن كفاً اليك قد كتبتني في شقاء وجسمها في عذاب
فاذا ما قرأتموه فرقوا وارحموا عبرتي وردوا جوابي

فرجعت الى عقلي ولم أشك انه دسيسة من الرشيد لما رأى مني فقلت للخادم والله ياعبد السوء لولا خوف الله للقيت الله بدمك ثم رميت الكتاب وقلت امض لعنك الله ومن كتب هـذا الكتاب وجملت اهدده فمضى مبادراً يتضاحك فلم البث الا ان جاءني رسول الرشيد فجئت اليه فقال لي ما ابطأك فقلت خبر من أعظم الاخبار فقال ما هو قلت أتاني رسول جارية لا أعرفها ولا بيني وبينها شيء فضحك وقال ما فعلت قلت كذا وكذا فازداد ضحكاً ورمى اليّ بخلع وقال أنا والله ارسلته دسيسة اليك والشعر لي وقد كنت اتهمك بما رأيت منك وظهر عليك وخلع على الخادم ومرّ لنا أطيب يوم وأحسنه ثم لما أردت الانصراف قال لي قد أمرنا لك بالجارية بما لها جزاء لعفتك فما وصلت الى البيت الا والخدم قد اقبلوا بها ومعهـا شيء ضاقت عنه بيوتنا

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قال الاصمعي بعث الي الرشيد فدخلت فاذا صبية فقال من هذه الصبية قلت لا أدري قال هذه مواسة بنت أمير المؤمنين فدعوت لها وله فقال قم فقبل رأسها فقلت ان أنا اطعته ادركته الغيرة فقتلني وان

أنا عصيته قتلني بعصيته فوضعت كمي على رأسها فقبلت كمي فقال والله يا أصمعي لو أخطأتها لقتلتك اعطوه عشرة آلاف درهم

﴿ومن المنقول عنه أيضاً﴾

حكي عن الرشيد انه طرب الى الغناء فخرج مبكراً ومعه خادمه مسرور حتى انتهى الي باب اسحاق بن ابراهيم الموصلي فقال يامسرور اقرع الباب فقرعه فخرج اسحاق فلما رأى الخليفة اكب على رجليه فقبلهما ثم قال اوان رأى أمير المؤمنين ان يدخل منزل عبده فنزل الرشيد فرأى اثر الدعوة فقال يا اسحاق إلى أرى موضع الشراب من كان عندك قال ما كان عندي يا أمير المؤمنين سوى جاريتين لي كنت اطارحهما قال أفهما حاضرتان قلت نعم قال فاحضرهما فدعي الجاريتان فخرجتا ومع احداهن عود حتى جلستا فامر الرشيد صاحبة العود ان تغني فغنت

بني الحب على الجور فلو   انصف المعشوق فيه لسمج
ليس يستحسن في وصف الهوى   عاشق يكثر تأليف الحجج
فقليل الحب صرف خالص   هو خير من كثير قد مزج

فقال الرشيد يا اسحاق لمن الشعر والغناء قال لا علم لي يا أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ينكت في الارض ثم رفع رأسه وأخذ العود من حجر هذه ووضعه في حجر الاخرى ثم قال لها غني فغنت

ان يمس حبلك بعد طول تواصل   خلقاً وأصبح بيتكم مهجورا
فلقد اراني والجديد الي بلى   زمناً بوصلك راضياً مسرورا

كنت الهوى وأمر من وطئ الحصا   عندى وكنت بذاك منك جديرا

قال يا اسحاق لمن الشعر والغناء فيه فقال لا علم لى ياسيدى فرد المسئلة على الجارية فقالت لستى قال ومن ستك قالت علية أخت أمير المؤمنين فنكس رأسه ساعة ثم وثب وقال لمسرور خادمه امض بنا الى منزل علية فلما وقف بالباب قال استأذن يامسرور فخرجت جارية فلما رأت الخليفة رجعت تبادر تعلم سيدتها فخرجت تستقبله فقال ياعلية هل عندك ماناكل قالت نعم فدخل وجلس فقدمت اليه الطعام ووضع الشراب والطيب وأنواع الرياحين ودعت جواريها وكان عندها ثلاثون جارية يغنين فالبسهن الثياب ووضعهن فى الايوان وتناول الرشيد الشراب وأمر الجوارى أن يغنين ثم سقى أخته حتى أخذ الشراب منها واحمرت وجنتاها وفترت أجفانها وكانت أجمل نساء الخلفاء فضرب الرشيد الى حجر بعض الجوارى فأخذ العود وقال يا علية بحياتى غنى فى الحب على الجور فلو الى آخر الابيات الثلاثة فعلمت أنها داهية فبكت فصاح الرشيد فخرج الجوارى وبقى هو وهي فدفعها وأخذ وسادة فجعلها على وجهها وجلس عليها فاضطربت اضطراباً شديداً ثم بردت فنحى الوسادة عنها وقد قضت نحبها فخرج وقال للخادم اذا كان غداً فادخل وعز وركب متوجهاً الى قصره فلما كان الغد عزاه مسرور فبكى وقال

قبر عزيز علينا   لو أن من فيه يفدى

اسكنت قرة عينى   ومهجة النفس لحدا

ما إن ارى لى عليها   من التوجع بدا

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

حكي ان الرشيد اكل يوماً مع ابنه عبداللّه المأمون فأقبلت جارية تصب الماء على يد الرشيد فنظر اليها وأومأ اليها بقبلة فانكرت عليه بعينها واوجب ذلك انها ابطأت على الرشيد بصب الماء فقال الرشيد ما هذا وتوعدها بالقتل ان لم تصدقه فقالت ان المأمون اشار اليّ بقبلة فأنكرت عليه بحاجبي فنظر الرشيد اليه وقد كاد يموت جزعاً فقال له ياحبيبي أتحب هذه الجارية وضمه الى صدره ليسكن هلعه فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال هي لك فادخل بها الى تلك القبة فدخل فلما خرج قال له يا عبداللّه هل قلت في ذلك شيئاً قال نعم وانشأ

ظبي كتبت بطرفي من الضمير اليه
بقبلة من بعيد فاعتل من شفتيه
وردّ اخبث رد بالكسر من حاجبيه
فما برحت مكاني حتى قدرت عليه

﴿ ومن المنقول عن محمد الامين بن هارون الرشيد ﴾

ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والظرف قال الفضل بن الربيع لما ولي الامين الخلافة في سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني ان احصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة فاجتمعت كتاب الخزانة واقاموا يحصون فأشرفت على ما لم اتهم ان

خزائن الخلافة تحويه ثم أمرهم أن يعملوا كل صنف من جهة فكان في خزائن الكسوة أربعة آلاف جبة وشي وأربعة آلاف منسوجة بالذهب وعشرة آلاف قميص وعشرة آلاف خف والفا سروال من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة والف طيلسان والف رداء من أصناف الثياب وخمسة آلاف منديل وخمسمائة قطعة خز ومائة الف وسادة ومخدة خز والف بساط طبرستاني والف وسادة خز مرقوم والف ستر خز ساذج وثلاثمائة ستر مرقوم وخمسمائة بساط طبري والف وسادة طبري والف مرفقة والف مخدة طبرى ومن الآنية الف طست ذهب والف ابريق ذهب وثلاثمائة كانون فضة والف تور شمع مذهب والف قطعة نحاس من سائر الاصناف والف منطق ذهب انتهى كلامه

ويحكى عنه انه كان من أهل الشدة والبطش روي انه اصطبح ذات يوم فدخلوا عليه باسد فى قفص فقال ارفعوا باب القفص فقيل له يا أمير المؤمنين انه اسد اسود هائل ذو شعر عظيم مثل الثور فقال خلوا عنه فنتحوا باب القفص وخرج الاسد وزأر وضرب بذنبه الارض فهارب الناس وغلقت الابواب في وجهه وبقي الامين وحده جالساً فى موضعه غير مكترث بالاسد فقصده الاسد حتى دنا منه فد الامين يده الى مرفقة ارمنية كانت بقربه فامتنع بها منه فد الاسد يده اليه فجذب الامين يده وقبض على اصول أذنيه وهزه ثم رجع به خلف فوقع الاسد على قفاه ميتاً وتبادر الناس الى الامين فاذا مفاصل

يديه قد زالت عن مواضعها فاتى بمجبر فردها وجلس كأنه لم يصنع شيئاً فشق عن جوف الاسد فوجدوا مرارته قد انفطرت في جوفه انتهى

﴿ومن المنقول عنه أيضاً﴾

روى حماد عن ابيه اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال قال ابراهيم ابن المهدي جاءني بعض الدلالين فوصف لي جارية اديبة فائقة الجمال بارعة الحسن موصوفة بكل معنى من معاني الجد والهزل محسنة في الغناء فقلت له اعرضها عليَّ فقال ليست تحمل الى مكان ولكن اذا عزمت على اعتراضها عرفني لا عد أربابها لوقت حضورك فاعرفك لتركب اليهم قلت افعل ومضى ووعدني ليوم بعينه ثم جاء في ذلك اليوم فركبت معه قصداً لا اعتراضاً ومررت بام جعفر زبيدة وكان طريقي عليها فسألتني الخبر فعرفتها خبر الجارية ووافيت فاستعرضتها واستقرأتها واستنشدتها وافترحت عليها فوجدتها من الكمال في كل معنى لائق مع حسن الخلقة وعذوبة اللسان على اضعاف تلك الصورة التي وصفوها فساومت بها مولاها فابى ان يبيعها باقل من عشرة آلاف دينار فاشتريتها من ساعتي بما استام عليَّ وحملتها وسرت بها الى زبيدة وعرفتها خبرها فامرت بدخولها عليها فلما رأتها واعتبرتها واختبرتها في كل فن ومعنى فوجدتها زائدة على كل وصف فقالت لي زبيدة أنا اربحك فيها ربحاً ترضاه فقد وقعت مني أحسن موقع ودعت بعشرة

آلاف دينار وقالت هذه ما وزنت ثم دعت بعشرة مثلها وقالت هذه دلالتك ثم دعت بمثلها وقالت هذه ربحك وأمرت بالمال فحمل الى داري وركبت من عندها وسرت الى امير المؤمنين محمد الامين فعرفته الخبر كله ولم اخرم منه حرفاً واحداً فقال واللّٰه لقد شوقتني الى رؤية هذه الجارية فقلت لي البشرى فانها الساعة واللّٰه توافيك فما قمت من عنده حتى حضرت الجارية فلما اعترضها ونظر الى كمالها في كل معنى أعجب بها جداً وقال هذه واللّٰه فوق ما وصفت ثم دعى بعشرة آلاف دينار وقال هذه بشارتك فلما رأت الجارية محلها من الامين وانه اعطاني حتى بشارتها عشرة آلاف دينار انبسطت وجعلت تتكلم بكل معنى مليح وكان بحري الخادم يتعشقه الامين وهو حاضر فعبث بها وعبثت به وكايدها وكايدته بحسن أدبها ومعرفتها وبراعتها وفهمها حتى ابكته فنظر اليـه الامين وهو يبكي فقال ما يبكيك قال خير قال لا بد من الصدق قال اسرفت هـذه الجارية على في القول فداخله الغضب ثم قال ياغلمان اطرحوها للسبع الساعة وكلم فيها فأبى وحلف ليفعلن فطرحت واللّٰه للسبع فلم يزل يفصلها عضواً عضواً حتى لم يبق منها شيء

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى عن أبي نواس انه كان قد غلب على قلب محمـد الامين والتهتك فيه والغرام به حتى قال فيه

عذب قلبي ولا أقول بمن　　أخاف من لا يخاف من أحد
اذا تفكرت في هواي له　　لمست رأسي هل طار عن جسدي

واتصلت هذه الابيات بالمأمون فقال من يقال فيه مثل هذا يصلح ان يكون خليفة للمسلمين فبلغ ذلك الامين فامر بقتل ابي نواس فشفع فيه فامر بحبسه فلما حبس لم يتمكن من ورقة ولا من دواة فلق رأس مملوك له وكتب فيه بالفحم هذه الابيات

بك استجير من الردى　　متعوذاً من سوء باسك
وحياة رأسك لا أعود　　لمثلها وحياة راسك
من ذا يكون ابا نواس　　اذا قتلت أبا نواسك

وكتب تحت الابيات اذا قرأ أمير المؤمنين الرقعة يخرقها ثم قال للغلام سر الى دار الخلافة فاذا جئتها فناد نصيحة لامير المؤمنين فاذا دخلت على الخليفة اكشف رأسك ليرى ما فيها مكتوباً ففعل الغلام ما أوصاه به فلما قرأ الامين الابيات ضحك وقال ماأظرفه واطلقه وأمر باطلاقه أنتهى

﴿ ومن المنقول عن عبدالله المأمون بن هارون الرشيد ﴾

روي ابن عبدربه في العقد الفريد عن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال بينا انا ذات يوم عند المأمون وقد خلا وجهه وطابت نفسه اذ قال لي يا اسحاق هذا يوم خلوة وطيب فقلت طيب الله عيش أمير المؤمنين وادام سروره فقال يا غلمان خذوا علينا الباب واحضروا الشراب قال

ثم أخذ بيدى وادخلني فى مجالس غير المجالس التى كنا فيها واذ قد
نصبت الموائد وأصلح ماكان يحتاج اليه حتى كأنه شئ قد كان تقدم
فيه قال فأكلنا وأخذنا فى الشراب فأقبلت الستارات بكل ناحية بضروب
الغناء وصنوف من اللهو فلم نزل كذلك الى آخر أوقات النهار قال
فلما غربت الشمس قال لي يا اسحاق خير أيام الفتى ايام الطرب قلت
هو والله ذاك يا امير المؤمنين قال فاني فكرت في شيء فهل لك فيه
قلت ترى انى اتأخر عن امير المؤمنين اطال الله بقاءه قال لعلنا نباكر
الصبوح في غدوتنا هذه وقد عزمت على دخلة الى دار الحرم فكن
بمكانك ولا ترم فاني أوافيك عن قريب فقلت السمع والطاعة يا أمير
المؤمنين ثم نهض الي دار الحرم فما عرف له خبر الى ان ذهب من
الليل عامته قال اسحاق وكان المأمون من اشغف خلق الله بالنساء
وأشدهم ميلاً اليهن واستهتاراً بهن وعلمت ان النبيذ قد غلب عليه
وانهن قد انسينه امرى وما كان تقدم به اليّ ووعدنى من رجوعه
فقلت فى نفسى هو أعزه الله في لذته وأنا هاهنا في غير شيء وفيّ
بقية وعندى صبية كنت اشتريتها وكانت نفسي مطلعة الي اقتضاضها
فقمت مسرعاً عند ذكرها فقال الخدم على أى شيء عزمت وأين
تريد قلت أريد الانصراف قالوا فان طلبك أمير المؤمنين قلت انه
أدام الله سروره قد شغله الطرب ولذة ما هو فيه عن طلبي وقد كان
بيني وبينه موعد قد جاز وقته لا وجه لجلوسي قال اسحاق وكنت
مقدم الامر في دار المأمون مقبول القول لا أعارض في الشيء اذ

أومأت نخرجت مبادراً الى باب الدار واصحاب النوبة فقالوا ياسيدنا ان غلمانك قد انصرفوا قلت لاضير وانا أتمنى الى البيت وحدى قالوا نحضر لك دابة من دواب النوبة قلت لا حاجة لي في ذلك قالوا فنمضي بين يديك بمشعل قلت لا وأقبلت نحو البيت حتى اذا صرت ببعض الطريق أحسست بحركة البول فعدلت الى بعض الازقة لئلا يجوز أحد من العوام فيراني أبول على الطريق فبل حتى اذا قمت للمسح ببعض الحيطان فاذا بشيء معلق من تلك الدور الى الزقاق فما تمالكت أن تمسحت ثم دنوت الى ذلك الشيء لاعرف ما هو فاذا بزنبيل معلق كبير باربعة مقابض واذا هو ملبس ديباجاً وفيه أربعة حبال حرير فلما نظرت اليه وتبينته قلت والله ان لهذا لسبباً وان له لامراً فاقبلت ساعة اروى في امرى وأفكر فيه حتى اذا طال ذلك بي قلت والله لأتجاسرن ولاجلسن فيه كائناً في ذلك ماكان فلما أحس من كان على رأس الحائط بثقله جذبوه اليهن حتى انتهوا بي الى رأس الحائط فاذا باربع جوار أبكار واذا هن يقلن انزل بالرحب والسعة أصديق أم جديد فقلت لا بل جديد فقلن أنت ياجارية بالشمعة فاقبلت احداهن بشمعة واقبلت بين يدى حتى نزلت الى دار نظيفة فيها من الحسن والسرور والنظافة ما حرت له ثم ادخلتني الى مجالس مفروشة ومناصب موضوعة بصنوف من الفرش الذي لم أر مثله الا في دار ملك أو خليفة فجلست في أدنى مجلس من تلك المجالس فما شعرت بعد ساعة إلا بضجة وجلبة وستور قد رفعت في ناحية من نواحي الدار

فاذا بوصائف يتسابقن في ايدي بعضهن الشمع وبعضهن المجامر يشجون فيها العود والند واذا بينهن جارية كأنها تمثال عاج تتهادى بينهن كالبدر الطالع بقد يزرى على الغصن فما تمالكت عند رؤيتها ان نهضت فقالت مرحباً من زائر وليست تلك عادته وجلست ورفعت مجلسي عن الموضع الذي كنت فيه فقالت كيف ذا قال قلت انصرفت من عند بعض اخواني وظننت أنى على وقت فخرجت في وقت ضيق وحركني البول في بعض الطريق فعدلت الى هذا الزقاق فوجدت زنبيلاً معلقاً فخمانى النبيذ على ان جلست فيه فان كان خطأ فالنبيذ السبب وان كان صواباً فالله الهمنيه قالت لا ضير ان شاء الله وارجوا ان تحمد عواقب امرك فما صناعتك قلت بزاز قالت وأين مولدك قلت ببغداد قالت ومن أى الناس انت قلت من اغنيائهم وأوسطهم قالت حياك الله وقرب دارك فهل رويت من الاشعار شيئاً قلت شيئاً ضعيفاً فقالت ذاكرنا بشيء مما حفظت قلت جعلت فداك ان للداخل دهشة وبى انقباض ولكن تبديئين بذكر شيء من ذلك فالشيء بالمذاكرة يأتى قالت لعمري لقد صدقت فهل تحفظ لفلان قصيدته التي يقول فيها كذا وكذا ثم انشدتني لجماعة من الشعراء والقدماء والمحدثين من أحسن اشعارهم وأجود أقاويلهم وانا مستمع انظر من اى احوالها اعجب امن ضبطها ام من حسن لفظها ام من حسن أدبها ام من حسن جودة ضبطها الغريب أم من اقتدارها على النحو ومعرفة وزن الشعر ثم قالت أرجو ان يكون قد ذهب عنك بعض ماكان بك من الحصر

والانقباض والحشمة فقلت ان شاء الله لقد كان ذلك قالت فان رأيت أن تنشدنا من بعض ما تحفظ فافعل قال فاندفعت انشد لجماعة من الشعراء فاستحسنت نشيدي وأقبلت تسألني عن أشياء من شعري كالمختبرة لي وأنا أجيبها بما اعرف في ذلك وهي مصغية اليّ مستحسنة لما آتي به حتى أتيت على ما فيه مقنع قالت والله ما قصرت ولا توهمت ذلك في عوام التجار وابناء السوقة مثل ما معك فكيف معرفتك بالاخبار وأيام الناس قلت قد نظرت أيضاً في شيء من ذلك فقالت ياجارية احضرى لنا ما عندك فما غابت عنا حيناً حتى قدمت الينا مائدة لطيفة نظيفة حسنة قد جمع عليها غرائب الطعام فقالت انالمالحة أول الرضاع فتقدمت فأقبلت اعتذر بعض الاعتذار وهى معى تحتفى وتقطع وتضع بين يدى وانى لمقسم القلب لما ارى من ظرفها وكثرة أدبها حتى رفعت المائدة وأحضرت آنية النبيذ فوضعت بين يدى صينية وقنينة وقدح وبين يديها مثل ذلك وفي وسط المجلس من صنوف الرياحين وغرائب الفواكه مالم اره اجتمع لو لي عهد أو سلطان وقدعبى احسن تعبية وهي بأجمل هيئة قال اسحاق فتناقلت عن الشراب لتكون هى البدية قالت مالى أراك متوقفاً عن الشراب قلت انتظاراً لك جعلت فداك فسكبت قدحا فشربت ثم سكبت قدحا آخر فشربت ثم قالت هذا وان المذاكرة بالاخبار وذكر أيام الناس قلت لعمري إن هذا لمن أوقاته فاندفعت فقلت بلغنى انه كذا وكذا وكان رجلا من الملوك يقال له فلان بن فلان وكان من قصته كذا وكذا حتى مررت بعدة من

أخبار حسان ومن أخبار الملوك ولا يحدث به الا عند ملك أو خليفة فسرت بذلك سروراً شديداً ثم قالت والله لو حدثتني باحاديث حسان لقد كثر تعجبي من أن يكون أحد من التجار يحفظ مثل هذا وانما هي من احاديث الملوك ومالا يحدث به الا عند ملك أو خليفة فقلت جعلت فداك انه كان جار لي ينادم بعض الملوك وكان حسن المعرفة كثير الحفظ فكان ربما تعطل عن نوبته التي كان يذهب الى دار صاحبه لشغل يمنع عن ذلك او لامر يقطع فأمضي اليه وأعزم عليه واصيره الى منزلي فربما اخبرني بشيء من هذه الاحاديث الى ان صرت من خاصة اخوانه وممن كان لايفارقه فاسمعت منى فنسه اخذته وعنه استفدته فقالت يجب ان يكون هذا كذا ولعمرى لقد حفظت فاحسنت الحفظ وما هذا الا لقريحة جيدة وطبع كريم قال أسحاق وأخذنا في الشرب والمذاكرة ابتدىء الحديث فاذا فرغت منه ابتدأت هي الى آخره حتى قطعنا بذلك عامة الليل والند وفائق البخور يجدد وبسجر وأنا في حالة لو توهمها المأمون او تأملها لاستطار سرورا وفرحاً ثم قالت لي يا فلان وكنت قد غيرت عليها اسمي وكنيتي والله اني لاراك كاملا وانك في الرجال لفاضل وانك لوضيء الوجه مليح الشكل بارع الادب وما كان بقى عليك الا شيء واحد حتى تكون قد برعت وبرزت فقلت وما هو دفع الله الا سواء عنك قالت لو كنت تحرك بعض الملاهي او تترنم ببعض الاشعار فقلت والله لقديماً اشتهيه وطال ماكلفت به وحرصت عليه فلم أرزقه فلما طال عنائى به وكلما تقدمت في طلبه كنت منه أبعد

وعنه أذهب تركته واعرضت عنه وان فى قلبي من ذلك لحرقة وانى لمستهتر به ماثل اليه وما اكره ان اسمع فى مجلسي هذا من جيده شيئاً لتكمل ليلتي ويطيب عيشي قالت كأنك عرضت بنا قلت لا والله ماهو تعريض ولا هو الا تصريح وقد بدأت بالفضل وانت حرية باستتمام ما تبدأت به فقالت ياجارية عوداً فأحضرت العود فأخذته فما هي الا ان جسته حتى ظننت ان الدار قد سارت بي وبمن فيها واندفعت تغني به مع صحة أداء وجودة صوت فقلت والله لقد اكمل فيك خلال الفضل الرائع والعقل الزاهر والاخلاق الرضية والافعال السنية فقالت اما تعرف لمن هذا الصوت ومن غني به قلت لا والله قالت الغني لاسحاق والشعر لفلان وكان من سببه كذا وكذا فقلت هذا والله احسن من الغناء فلم تزل تلك حالها فى كل صوت تغنيه وهى مع ذلك تشرب وأشرب حتى اذا كان عند انشقاق الفجر جاءت عجوز كأنها داية لها فقالت أى بنية أن الوقت قد حضر فاذا شئت قال فلما سمعت مقالها نهضت فقالت عزمت قات أى والله فقالت مصاحباً عليك بستر ما كنت فيه فان المجالس بالامانة فقلت جعلت فداك أفا احتاج الى وصية فى ذلك فودعتها وودعتني وقالت يا جارية تقدمي بين يديه فأتت بي الى باب فى ناحية الدار ففتح وخرجت منه الى طريق مختصرة وبادرت البيت فصليت ووضعت رأسي فنمت فلما انتهيت واذا برسل الخليفة على الباب فقمت وقد أسرج لي فركبت الى الدار فلما مثلت بين يدي المأمون قال لي يا اسحاق جفوتنا بما كنا ضمناه لك وتشاغلنا عنك قلت ياسيدي ليس شئ آثر عندى

واسر الى قلبي من سروريدخل الى أمير المؤمنين فاذا كل سروره وطاب عيشه فعيشنا بطيب وسرورنا بسروره متصل ثم قال فا كان حالك قلت يا سيدي كنت اشتريت من السوق صبية وكنت متعلق القلب بها فلما تشاغل أمير المؤمنين عني وقد كانت في بقية طالبتني نفسي بها فقضيت مسرعاً واحضرتها واحضرت نبيذاً فسقيتها وشربت معها وغلب علي السكر فقطعت عما اردت وذهب بي النوم الى ان أصبحت فقال لي ما اكثر مايتهيأ على الناس من هذا فهل لك في مثل ما كنا فيه أمس فقلت يا أمير المؤمنين وأحد يمتنع من ذلك قال فاذا شئت فهض ونهضت فصرنا الى المجلس الذي كنا فيه بالامس على مثل حالنا تلك وافضل حتى اذا كان الوقت وثب فقال يا اسحاق لا تعزه فاني أجيئك وقد عزمت على الصبوح فا هو الا ان توارى عني وغاب حتى تصور لي وتأملت ما كنت فيه فاذا شيء لا يصبر عنه الا جاهل ولو بزوال نعمته قال فنهضت وقال لي الغلمان الله الله فانه قد انكر علينا تخليتك وطالبنا بك وقال لم تركتموه ولا نحسبك تحب الايقاع بنا فقلت والله لا نال احدكم بسببي مكروه ابداً ولكن ابادر لحاجة والله لا كان لي حبس وأمير المؤمنين اطال الله بقاءه اذا دخل ابطأ وأنا موافيكم قبل خروجه ان شاء الله قال فنهضت فا دريت أن صرت الى الزقاق فوافيت الزنبيل على ما كان عليه فقعدت فيه وأصعدت وصرت الى الموضع الذي أعرف فلم ألبث الا هنية فاذا بها قد طلعت فقالت ضيفنا فقلت أي والله فقالت أو قد عاودت

فقلت ولا أظن اني اتلك فقال ما توح نفسه بقربك السلام قلت هفوة في بالصفح قال فعلنا ولا تعد قلت ان شاء الله قال ثم جلست وأخذنا فيما كنا فيه من المذاكرة والانشاد وأحضرنا النبيذ ولم نزل على مثل تلك الحال وأفضل وألست وانبسطت بعض الانبساط وهي مع ذلك لا تزال تقول لو كنت الآن مع ما أنت عليه احكمت من تلك الصنعة شيئاً لقد تهيأت وبرعت فاقول والله لقد حرصت على ذلك وجهدت فيه فما رزقته ولا قدرت عليه ثم أقول جعلت فداءك ما كان من فضلك البارحة فلا تخلينا منه الليلة فتأخذ في الاغاني وكلما مر صوت حسن طيب جيد بالغ قالت يافتى أتدرى لمن هذا فاقول لا فتقول لاسحاق فاقول فاسحاق هكذا جعلت فداءك في الحذق فتقول بخ اسحاق هذا البيت في بديع الصوت وعتيق الغناء فاقول سبحان الله لقد أعطى اسحاق هذا ما لم يعطه أحد فتقول ولو سمعت هذا منه لكنت له اشد استحساناً وبه أشد كلفاً حتى اذا كان في ذلك الوقت وجاءت العجوز فنهضت وودعتها وبادرت الى المنزل وتوضأت للصلاة وصليت الصبح ووضعت رأسي ونمت فما انتبهت الا برسل الخليفة فقمت وقد اسرج لي فركبت الى الدار فما هو الا ان مثلت بين يدى المأمون حتى قال يااسحاق ابيت الا مكافأة لنا ومعاملة بمثل ما استعملناه معك قلت لا والله يا أمير المؤمنين ما الى ذلك ذهبت ولا له قصدت ولكنني ظننت ان يكون أمير المؤمنين قد تشاغل بلذته وأغفل امرى وجال بي الشيطان فذكرني امر تلك الملعونة فبادرت الى البيت قال وكان من امرك

ماذا قلت قضيت الحاجـة وفرغت من الامر قال فقد انقضى ما كان بقلبك منها وواحدة بواحدة والبادي أظلم فقلت بلى انا يا أمير المؤمنين الوم واظلم واليك المغفرة فقال لا تثريب عليك هل لك في مثل حالنا قلت بلى والله قال فانهض بنا وقام وقمت حتى صرنا الى الموضع الذى كنا فيه وأخذنا في لذتنا وشرابنا حتى اذا كان الوقت قال لي يا اسحاق ما عزمت قلت لا عزم لي يا أمير المؤمنين قال فعزمت عليك لتجلس حتى أخرج اليك فاني عازم على الصـبوح وقد نعست على ذلك منذ يومين فقلت والله ان شاء الله فطرحت الستارات ودخل الى الحرم فما هو الا أن تواري عني حتى قمت وقعدت وجالت وساوسي وأقبلت اتأمل مجلسي معها ومكانها ومحادثتها والنظر اليها والخروج عن طاعة أمير المؤمنين وما يلحقني في ذلك من سخطه فيسهل كل صعب اذا فكرت في أمرها فوثبت مبادراً فاجتمع على جند الدار وقالوا الى أين تريد فقلت الله الله ان لي قصة وأنا معلق القلب ببعض ما في منزلي واحتاج الى مطالعتهم في بعض الامر فقالوا ليس الى تركك من حيلة فلم أزل أرفق بهذا واقبل رأس هذا ووهبت خاتمي ورداني لآخر حتى تركوني فلما خرجت عن جلتهم لم ارتد عنها حاسراً حتى وافيت الزنبيل فجلست فيه فأصعدت وصرت الى الموضع وأقبلت على مثل حالها فلما رأتني قالت ضـيفنا قلت اي والله قالت جعلتها دار مقام قلت جعلت فداءك حق الضيافة ثلاثة ثم إن وجعت فانت في حل من دمي قالت والله لقد أتيت بحجة ثم جلسنا وأخذنا في مثل حالنا من الشرب والانشاد

والمذاكرة والمحادثة حتى اذا علمت ان الوقت قد قارب فكرت في قصتي وان المأمون لا يفارقني على هذا واني لا أتخلص منه الا بأن أشرح له قصتي وأكشف له عن حالي وعلمت اني ان قلت له ذلك طالبني بمعرفة الموضع والمسير اليه مع ما كان غلب عليه من الميل الى الندام والاستتار بين فقلت لها اتأذنين في ذكرشيء خطر ببالي فقالت قل ما بدالك فقلت جعلت فداءك اراك ممن يقول بالغناء ويعجب به وبالادب ولي ابن عم هو أحسن مني وجهاً وأظرف قدراً وأكثر أدباً ومعرفة وانما أنا تلميذ من تلاميذه وحسنة من حسناته ثم هو اعرف خلق الله بغناء اسحاق وأحفظهم له قالت طفيلي ومقترح لم نرض ان لك بيننا ثلاثة أيام حتى احتجت ان تأتي معك بآخر فقلت لها جعلت فداءك ذكرته لك لتكوني انت المحكمة ان اذنت وأردت ذلك والا فلا أذكره قالت ان كان ابن عمك هذا على ما ذكرته فلا بأس بأن نعرفه ونشاهده قال قلت هو والله على اكثر مما وصفت قالت فاذا شئت فأتيني به في الليلة الآتية ثم حضر الوقت فنهضت وصرت الى البيت فما وصلت حيناً حتى وافيت منزلي فهجم عليه واذا برسل الخليفة وأصحاب الشرطة وقد ركبوا الي فلما بصروا بي سحبت بجبل على حالتي تلك حتى انتهوا بي الى الخليفة فاذا الخليفة المأمون جالس في وسط الدار على كرسي واذا هو مغتاظ فقال يا اسحاق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله يا أمير المؤمنين انه كانت لي قصة احتاج فيها الى الخلوة فأومأ الى من كان واقفاً بين يديه فتنحوا حتى اذا خلونا قلت كان من خبري كيت وكيت

وفعلت وصنعت ورأيت كذا وكذا فوالله ما فرغت من حديثها حتى
قال لي يا اسحاق اتدرى ما تقول قلت أى والله انى لادرى قال ويحك
كيف لي بمشاهدة ما شاهدت قلت ما الى ذلك من سبيل قال لا والله
لابد ان تتلطف لي وتوصلنى اليها فهذا مالا صبر لعاقل عنه قلت والله
اني قد فكرت فى قصتى وفيما قدمت عليه من عصيانك وعلمت انه
لاينجينى الا الصدق وكشف الحال وقلت سيطالبنى بذلك أشد مطالبة
وقدمت اليه وعداً من ذلك وقلت لها كذا وكذا ووعدتي في أمرك
بكيت وكيت وقالت لى كذا وكذا قال قدوا لله أحسلت ولولا ذلك
لنالك منى كل مكروه فقلت الحمد لله الذي سلمنى ثم نهض ونهضت حتى
صرنا الي مجلسنا فأخذنا في لذتنا وشربنا وهو مع ذلك يقول يا اسحاق
حدثني عنها وصف لي حالها واشرح لي أمرها فوالله ماقطعنا يومنا ذلك الا
بذكرها وما وصلنا آخر النهار والمأمون يصدق من شدة تعلقه بها وما
قررت عنده من حالها قال حتى اذا كان بعد هدء من الليل وهو يقول بعد
ساعة ما جاء الوقت وأنا أقول بقي قليل والقلق غالب عليه وجاء الوقت
ونهضنا فخرجنا من بعض ابواب القصر ومعنا غلام وأنا على حمار وهو
على حمار فلما صرنا بالقرب من منزلها نزلنا ثم قلنا للغلام انصرف فاذا
كان عند انشقاق الفجر فكن ها هنا بالحمارين واقبلنا نمشى مستنكرين
فقلت يجب ان تظهر برئ بحضرتها واكرامي وتدعنى من نخوة الخلافة
وتجبر الملك وكن كأنك تبع لى وهو يقول نعم أو يحتاج ان توصينى
ثم قال ويحك يا اسحاق فان قالت لى غن فكيف اصنع قال قلت أنا

أدفعها عنك وأصدها برفق وحسن مس قال ثم صرنا الى الزقاق فاذا بزنبيلين معلقين بثمانية أحبل فقعد في واحد وقعدت في آخر ثم جذب الجواري فاذا نحن في السطح وبادرن بين ايدينا حتى انتهين بنا الى المجلس فاقبل المأمون يتأمل الفرش والدار والزى ويتعجب بذلك اعجاباً شديداً وقعدت في موضعي الذي كنت اقعد فيه وقعد المأمون دوني في الرتبة ثم أقبلت فسلمت فما تمالك ان نظر اليها فبهت من حسنها وجمالها وقالت حياك الله ضيفنا والله ما انصفت ابن عمك الا رفعت مجلسه فقلت ذلك اليك جعلت فداك فقالت ارتفع فديتك فانت جديد وهذا قد صار من أهل البيت والكل جديد لذة فنهض المأمون حتى قعد في صدر المجلس ثم اقبلت عليه تذاكره وتناشده وتمازحه وهو يأخذ معها في كل فن ويعجبها قال فالتفتت اليّ وقالت وفيت بوعدك وصدقت في قولك ووجب شكرك على صنيعك قال ثم احضرت نبيذاً وأخذنا في الشرب وهي مع ذلك مقبلة عليه وهو مقبل عليها ومسرورة به ومسرور بها قال فالتفتت اليّ فقالت ابن عمك هذا من اولاد التجار قلت لها فديتك نحن لا نعرف الا التجارة قالت وانكما فيها لقريبان ثم قالت موعدك فقلت لعمري انه لعجيب ولكن حتى نسمع شيئاً قال ذلك قال فاخذت العود وغنت صوتاً فشربنا عليه رطلاً وغنت آخر فشربنا عليه رطلاً ثم غنت بصوت كان المأمون يقترحه عليّ فشربنا عليه رطلاً فلما شرب المأمون ثلاثة ارطال وغلب عليه الفرح وداخله السرور وارتاح وفرح قال

يا اسحاق وواللّه لقد رأيت ينظر الي نظر الاسد الى فريسته فنهضت وقلت لبيك لبيك يا أمير المؤمنين قال غنني بهذا الصوت فلما رآني قد أخذت العود ووقفت بين يديه علمت انه الخليفة وانى اسحاق فنهضت وقال ها هنا وأومأ الي مكان قريب منه ثم فرغت من ذلك الصوت وشربنا رطلاً ثم قال لي يا اسحاق ويحك انظر هذه الدار من ربها فخرجت وأقبلت تلك العجوز فقلت لها ويحك من صاحب هذه الدار ومن مولاكم قالت الحسن بن سهل قلت ومن هذه قالت ابنته بوران فرجعت واعلمته فقال عليّ به الساعة قال فقلت لها امضى فاحضريه واعلميه ان أمير المؤمنين يطلبه قال فغابت عنا هنيهة ثم جاءت وهو في اثرها فوقف بين يديه فقال انك بنت قال نعم يا أمير المؤمنين قال فزوجنيها قال لا واللّه قال وما اسمها قال بوران قال فاني اخطبها منك قال يا أمير المؤمنين هي أمتك وامرها اليك قال فاني قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفاً تحملها اليك في صبيحة يومنا هذا فاذا قبضت المال فاحملها الينا قال نعم يا أمير المؤمنين قال ثم نهض وفتح لنا الباب وخرجنا ثم صرنا الى الدار قال يا اسحاق لا يقفن احد على ما وقفت عليه فان المجالس بالامانات قلت يا أمير المؤمنين ومثلي يحتاج الى وصية بمثل هذا الامر قال اسحاق فما أصبحنا حتى امر بحمل المال ونقلت اليه من يومها وكانت أحظى نسائه عنده وآثرهن وكنت استر هذا الحديث الى ان مات المأمون فما اجتمع لاحد ما اجتمع لي في تلك الاربعة الايام اني كنت اصرف من مجلس المأمون في خلافته

الى منزلها ووالله ما رأيت من الرجال فى ملوكهم ولا خلفائهم ولا شرفائهم احداً اتقى من المأمون ولا شاهدت من النساء امرأة تقاربها فهماً وعقلاً وحلاوةوشكلاً وأما معرفتها وأدبها فما اظن ان فى الارض من كان يتهيأ له ان يقف من العلوم على مثل ما وقفت عليه ولقـد سألت بعض من كان يتولى خدمتها من عجائزها فقلت وما حملها على ما أرى فقالت والله انها لتفعل هذا منذ كذا وكذا سنة ولقد عاشرت الظرفاء والادباء أكثر من ان يقع عليه احصاءما جرى بينها وبين أحد من الناس مكروه ولا خنى ولا لفظة قبيحة ولا كان مذهبها فى ذلك الاحب الادب والمذاكرة ومعاشرة أهل المروة والاقدار لا لريبة ولا لحالة تنكر قلت فوالله لقد تضاعف قدرها عندى وعظم خطرها في نفسي وعرفت شرف همتها وفضلها وهذا خبر بوران صحيحاً على الحقيقة والسبب الذى تزوجها المأمون به انتهى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ان المأمون بلغه خبر عشر زنادقة بالبصرة فامر بحملهم اليه بعد ان سموا له واحداً بعد واحد فلما جمعهم الرسول نظر اليهم طفيلى فقال ما اجتمع هؤلاء الا لصنيع جيد فدخل بينهم ومضى معهم وهو لا يعرف شأنهم حتي سار بهم الموكلون الي البحر ثم اتى بزورق فقال الطفيلي لا شك ان هذه ولمية وركب معهم فى الزورق فما أسرع من ان جئ بالقيود فقيد معهم فقال الطفيلى بلغ فى تطفلى الى القيد

انا لله وانا اليه راجعون ثم سير بهم الى بغداد فوقفوا بين يدى المأمون وجعل يدعوهم باسمائهم واحداً واحداً ثم يضرب عنقه حتى اذا بلغ الى الطفيلى لم يكن اسمه سرقوما فقال للموكلين بهم من هذا قالوا والله يا أمير المؤمنين ما نعلم غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما خبرك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ثلاثاً ان كان يعرف من قصتهم شيئاً وانما انا رجل طفيلى ورأيتهم مجتمعين فظننته صنيعاً يدعون اليه فضحك المأمون وقال اضربوا عنقه لئلا يغتر غيره وكان ابراهيم ابن المهدى قائماً على رأس المأمون فقال يا أمير المؤمنين هبنى دمه واحدثك بحديث غريب فى التطفل عن نفسى قال للمأمون قد وهبته لك فحدثنى قال يا أمير المؤمنين خرجت من عندك يوماً فطفت فى سكك بغداد متنزهاً حتى أتيت الى موضع فشممت ابازير قد فاح طيبها فتاقت نفسى اليها والى طيب ريحها فوقفت على خياط فقلت لمن هذه الدار فقال لرجل من تجار البزازين قلت فما اسمه قال فلان بن فلان فرميت بطرفى الى الدار فاذا بشباك فيها مطل فنظرت الى كف ومعصم قد خرجا من الشباك فشغلنى يا أمير المؤمنين حسن الكف والمعصم عن رائحة الطيب وبقيت باهتاً ساعة ثم ادركنى ذهنى فقلت للخياط أهو ممن يشرب النبيذ قال نعم وأحسب ان عنده اليوم دعوة وليس ينادم الا تجاراً مثله مستورين فبينما انا كذلك اذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال لى الخياط هذان منادماه فقلت له ما اسمهما قال لى فلان وفلان فحركت دابتى وقلت جعلت فداكما قد استبطأ كما

أبو فلان اعزه الله وسايرتهما حتى بلغا الباب فاجلاني وادخلاني ودخلا خلفي فلما رآني معهما صاحب المنزل لم يشك اني منهما بسبيل لانهم قد ادخلوني واجلوني فرحب بي واجلسني في أفضل المواضع فجئ يا أمير المؤمنين بالمائدة عليها خبز لطيف وأتينا بتلك الالوان فكان طعمها أطيب من ريحها فقلت في نفسي هذه الالوان قد اكلتها وبقي الكف والمعصم كيف اصل الى صاحبتهما ثم رفع الطعام وجيء بالشراب ثم صرنا الى مجلس المنادمة فجعل صاحب المنزل يلطف بي ويميل الى الحديث وجعلوا يظنون ان ذلك بي عن معرفة قديمة حتى اذا شربنا اقداحاً خرجت علينا جارية كأنها قرتمثني كالخيزران فاقبلت وسلمت غير خجلة وثنيت لها وسادة فجلست وأتي بالعود فوضع في حجرها وجسته في جسة العود لحذقها وجعلت تغني

توهمها فكري فأصبح خدها ... وفيه مكان الوهم من نظري أثر

وصافحها كفي فآلم كفها ... فمن لمس كفي في اناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلي فطربت لحسن شعرها وحذقها ثم اندفعت تغني

أشرت اليها هل عرفت مودتي ... فردت بطرف العين اني على العهد

فحادت عن الاظهار عمداً لسرها ... وحدت عن الاظهار أيضاً على عمد

فجاءني يا أمير المؤمنين من الطرب ما لم أمسك به نفسي ثم اندفعت تغني

أليس عجيباً أن بيتاً يضمني ... وإياك لا نخلو ولا نتكلم

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة افواه وغمز حواجب وتكسير اجفان وكف تسلم
فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذقها ومعرفتها بالغناء واصابتها
معنى الشعر وانها لم تخرج من الفن الذي ابتدأت منه فقلت بقي عليك
ياجارية فضربت بعودها الارض وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء
فندمت ورأيت القوم قد تغيروا عليّ فقلت أما عندكم عود غير هذا
قالوا بلى فأتيت بعود فاصلحت شأنه ثم غنيت شعراً

ما للمنازل لا يجبن حزينا أصممن أم بعد المدى فبلينا
راحوا العشية روحة مذكورة إن متن متنا وان حيينا حيينا

فما استتممته ياأمير المؤمنين حتى قامت الجارية فانكبت على رجلي
تقبلها وقالت معذرة ياسيدي فوالله ما سمعت أحداً يغني هذا الصوت
مثل غنائك وطرب القوم واستحسنوا الشراب فشربوا ثم اندفعت أغني

أباالحق أن أمسى ولا تذكروني وقدسجمت عيناي من ذكرك الدما
الى الله اشكو بخلها وسماحتي لها عسل مني وتبذل علقما
فردي مصاب القلب انت قتلته ولا تتركيه ذاهل العقل مغرما

فطرب القوم ياأمير المؤمنين ثم خرجوا من عقولهم فامكست عنهم
ساعة حتى تراجعت اليهم عقولهم ثم غنيت شعراً

هذا محبك مطوي على كمده فاضت مدامعه فيضاً على جسده
له يد تسأل الرحمن راحته مما به ويد أخرى على كبده
يامن رأي عاشقاً مستهتراً دنفاً كانت منيته في عينه ويده

فجعلت الجارية تصبح وتقول هــذا والله ياسيدى العيش لا ما كنا فيه منذ الليلة وسكر القوم وكان صاحب المنزل حسن الشراب صحيح العقل فأمر الغلمان ان يخرجوهم ويحفظوهم الي منازلهم وخلوت معه فلما شربنا اقداحاً قال ياسيدى ذهب مامضى من أيامى ضياعا اذ كنت لا أعرفك فمن أنت يامولاى ولم يزل يلح عليّ حتى اخبرته الخبر وقصصت له قصتي حتى بلغت الى صاحبة الكف والمعصم فقال للجارية قومي فقولي لفلانة تنزل فلم يزل ينزل جارية بعد أخري فانظر الي كفها ومعصمها فأقول ليس هي حتى قال مابقي والله غير أختي وأمي والله لانزلنهم اليك فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك إبدأ بالاخت قبل الام فعسى أن تكون هي فبرزت فلما رأيت كفها ومعصمها قلت هــذه هي فأمر غلمانه فساروا الى عشرة مشائخ من أجلة جيرانه فأقبلوا بهم وأمروا ببدرتين فيهما عشرون الف درهم ثم قال للمشائخ هذه أختي فلانة أشهدكم انى قد زوجتها من هذا الرجل وأمهرتها عنه عشرين الف درهم فرضيت فقال قد قبلت النكاح فدفع أليها بدرة وفرق الاخري على المشائخ وقال لهم انصرفوا وقال لى ياسيدى أمهد لك في بعض البيوت مع أهلك فقلت بل أحملها الى منزلى فوالله يا أمير المؤمنين لقد تبعها من آلة البيت والفرش ما ضاقت عنها البيوت وأخبرتها أنى ابراهيم بعد ذلك فدخل عليها من السرور ماليس له حد وولد لى منها هذا الغلام القائم على رأسك ياامير المؤمنين فتعجب المأمون من كرم الرجل واطلق الطفيلى اه

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روي عن ابراهيم بن المهدي انه كان قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى فأقام مالكا لها سنة واحد عشر شهراً واثني عشر يوماً وله اخبار كثيرة أحسنها ما حكاه عن نفسه قال لما دخل المأمون الري طلبني أشد الطلب وجعل لمن أتاه بي مائة الف درهم فخفيت على نفسي وتحيرت فى أمري فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوماً صائفاً وما أدري أين أتوجه فررت على وجهي فوقفت فى زقاق لاينفذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري يرتاب بي فرأيت في الدرب عبداً أسود قائماً على باب داره فتقدمت اليه وقلت أعندك موضع اقيم فيه ساعة من النهار فقال نعم وفتح الباب وقد خلا الى بيتاً نظيفاً فيه حصر ومخاد ثم اغلق الباب علىّ ومضى فتوهمته قد سمع الجعالة فىّ وانه قد خرج ليدل علىّ فبقيت على النار قلقاً فبينما أنا كذلك اذا أقبل ومعه حال معه كل ما يحتاج اليه من خبز وقدر جديد والآنية وكيزان جدد فحط عنه ثم التفت الىّ وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا أعلم انك تنفر منى لما اتولى من صنعتي فشأنك بما لم تقع عليه يدى وكان لى حاجة الى الطعام فقمت وطبخت فوراً فما اذكر انى اكلت قط مثلها فلما قضيت حاجتي من الطعام قال لى فهل لك في الشراب فانه يسلي الهم ويطيب العيش ويدفع عن النفس الغم قلت ما أكره ذلك رغبة فى أن او انسه فأتى بقطرميز جديد لم تمسه يد وجاءنى بشراب

وقال لي روق يامولاي لنفسك فروقت وأحضر لي قدحاً جديداً وفاكهة واثقالا مختلفة في طشوت من نخار ثم قال لي بعد ذلك أتأذن لي جعلت فداك ان اقعد ناحية منك وآتى بنبيذ أشرب منه سروراً بك فقلت له افعل فأحضر وشرب وشربت ودخل الى بيت له فأخرج عوداً مصلحاً ثم قال يا سيدى ليس من قدرى ان اسئلك ان تغني ولكن قد وجب على من ذلك حرمتي فان رأيت أن تشرف عبدك بان تفنى لنفسك فافعل فقلت ومن أين لك انى احسن الغناء فقال معجباً يا سبحان الله انت أشهر من ذلك انت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة الف درهم فلما قال لي ذلك عظمت هيبته ومروءته عندي وعلمت ان نخوته اجل مما يدل عليّ فتناولت العود وأصلحته ومرّ على خاطري فراق أهلي وولدي فغنيت

وعسى الذى اهدى ليوسف اهله وأعزه في السجن وهو أسير
ان يستجيب لنا ويجمع شملنا والله رب العالمين قدير

فقال ياسيدى أتجعل الذى نغنيه مما اقترحه عليك قلت نم فقال غن ياسيدى

إن الذي عقد الذي انعقدت به عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة فلعلها أن تجلى ولعلها

فغنيته فشرب وشربت ثم قال غن ياسيدى

فلا تجزع وان اعسرت يوماً فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغنى عن قليل

ولا تظنن بربك غير خير فان الله أولى بالجميل

فغنيته وشرب وشربت فقال لله على نذر اذا آنستنى بتربك وما كنت أحسب ان الزمان يسمح بكونك فى منزلى فان رأيت جعلت فداك ان تغنى فغن

وأذا تنازعني اقول لها اصبرى موت يريحك او علو المنبر

ماقدمضى يانفس فاصطبرى له ولك الامان من الذى لم يقدر

فغنيته وحسن فى نفسى اقتضاؤه واستظرفته ثم قال لى يا سيدى اتأذن لى أن أغنى وان كنت من غير اهل هذه الصناعة فقلت هذا زيادة فى أدبك ومروءتك فاحسن العود واندفع يغنى

شكونا الى احبابنا طول ليلنا فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا

وذاك لان النوم يغشى عيونهم سراعاً ولا يغشى لنا النوم أعينا

اذا مادنا الليل المضر بذى الهوى جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا

فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

فوالله لقد استحسنت الغناء وسرنى وذهب عنى ماكان عندى من الهلع وانسته وسألته ان يغنى فغنى شعراً

تعيرنا انا قليل عدادنا فقلت لها ان الكرام قليل

وما ضرنا انا قليل وجارنا عزيز وجار الاكثرين ذليل

وانا لقوم لانرى الموت سبة اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلنى من الطرب مالا مزيد عليه وعاجلنى السكر واباه فلم

نستيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري وفقدت هذا الحجام وحسن ادبه وظرافته وكيف اقتضاني من الغناء ما أراد به ان يسليني وغناني ما فيه اشارة النسل فقمت وغسلت وجهي وايقظته وأخذت خريطة كانت صحبتي فيها دنانير كثيرة فرميت بها اليه وقلت له استودعك الله فاني ماض من عندك وأسألك ان تصرف ما في هذه الخريطة في بعض مهماتك ولك عندي المزيد ان أمنت من خوفي فاعادها اليّ متكرّاً وقال لي ياسيدي ان الصعلوك منا لا قدر له عند ذوي الرياسات وتظن به الظنون الردية آخذ على ما وهبنيه الزمان من قربك وحلولك عندي ثمناً فالححت عليه فاوماً الى موسى كانت عنده وقال والله ان راجعتني في شيء لاقتلن نفسي فخشيت عليه وأخذت الخريطة وأعدتها كما هي الى كمي وقد اثقلني حملها فلما انتهيت الى بابداره معولا على الانصراف عنه قال لي ياسيدي هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس في مؤنتك ثقل فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسألته ان يكون منفقاً من الخريطة فلم يفعل وكان في كل يوم يفعل مثل ما فعله في الاول فاقمت اياماً في ألذ عيش وتكرهت من الاقامة في مؤنته واحتشمت من التثقيل عليه فتركته وقد مضى يجدد لنا حالنا فقمت وزيت بزى النساء وخرجت فلما صرت في وسط الطريق داخلني خوف شديد وجئت لاعبر الجسر وقد وش وصار زلقاً فنظرني جندي ممن كان يخدمني فعرفني وقال هذه حاجة أمير المؤمنين فتعلق بي فمن حلاوة الروح دفعته وفرسه فرميت بهما في ذلك الزلق فصار عبرة الناس

والناس يلعنونه فاسرعت في المشي حتى قطعت الجسر فدخلت زقاقاً فوجدت باب دار وامرأة في دهليز الدار فقلت ياسيدة النساء اخفيني يومي فاني رجلٌ خائف فقـالت على الرحب واطلعتني الى غرفة وفرشت لي حصيراً واحضرت لي طعاماً وقالت لي هدئ روعك فما يعلم بك مخلوق عندي ولو أقمت سنة فبينما هي معي في ذلك الحديث واذا بالباب يدق دقاً عنيفاً فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي دفعته على الجسر وهو متشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت له ياهذا ما دهاك فقال لها ان حديثي عجيب ظفرت بالفتا وأفلت مني قالت وكيف ذلك قال لقيت ابراهيم ابن المهدى فتعلقت به فدفعني فاسابني ما ترين وانفلت مني ولو كان وقع في يدي وحملته الي المأمون لتعجلت بمائة الف درهم قال فاخرجت له خرقاً وعصبت رأسه وفرشت له ونام عليلاً وطلعت الي وقالت اظنك صاحب القضيـة فقلت نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت الكرامة فاقمت عندها ثلاثاً ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على شيء من امرك فينم بك فاخرج بنفسك فسألتها امهالي الى الليل فاجابت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فاتيت بيت مولاة لي فلما رأتني بكت وتوجعت لي وحمدت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق والاهتمام بالضيافة فظننت خيراً فاشعرت الا بابراهيم الموصلي بنفسه في خيله ورجله والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرأيت الموت عياناً وحملت بزي النساء الى المأمون

مجلس مجلساً عاماً وادخلني اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك ولا رعاك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وما تناوله يد الاغترار بما أعدلها من اسباب الرجا لا تأمن من دهاية الدهر وقد جعلك الله فوق كل عفو كما جعل كل ذنب دون عفوك فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبي اليك عظيم   وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولاً   فاصفح بحلمك عنه

ان لم اكن في فعالي   من الكرام فكنه

فرفع رأسه الي فبدرته وقلت

أتيت ذنباً عظيماً   وانت للعفو أهل

فان عفوت فمن   وان أخذت فعدل

فرق لي المأمون فاسترحت روائح الرحمة من شمائله ثم أقبل على أخيه أبي اسحاق وابنه العباس وجميع من حضر من خاصته فقال ما ترون من أمره فكلهم أشاروا بقتلي الا انهم اختلفوا في القتل كيف يكون فقال المأمون لاحمد بن أبي خالد ما تقول يا احمد قال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدت مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم أجد مثلك عفى عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكت باصبعه في الارض ورفع رأسه وقال متمثلاً

قومي هم قتلوا اميم اخي   فاذا رميت لاوهنن سهمي

فلئن عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمى

فكشفت المقنعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفى والله عن امير المؤمنين فقال المأمون لا بأس عليك ياعم فقلت يا أمير المؤمنين ذنبي اعظم من ان اتفوه معه بعذروعفوك أعظم من ان أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذي خلق المكارم كلها	في صلب آدم للامام السابع
ملأت قلوب الناس منه مهابة	وتظل تكلأهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله	عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالاكأفراخ القطا	وحنين والدة بقلب جازع
ما ان عصيتك والغواة تمدني	اسبابها الا بنية طائع
رد الحياة على بعد ذهابها	كرم المليك العادل المتواضع

فقال المأمون لا تثريب عليكم اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل عليّ به	وبعد ردك مالي قدحقنت دمي
قبلت عنك وقد خولتني لهما	هما الحيانان من موتي ومن عدمي
فلو بذلت دمي أبغي رضاك به	والمال حتى تسل النعل من قدمي
ماكان ذاك سوي عارية رجعت	اليك لو لم تعدها كنت لم تلم
وان جحدتك مااوليت من نعم	انى الى اللوم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلام كالدر وهذا منه وأمر له بمال وخلع وقال يا ابراهيم ان العباس وأسحاق اشاراعليّ بقتلك فقلت انهما

نصحا لك يا أمير المؤمنين ولكن أبيت الا ما أنت أهله فقال للمأمون قد مات الحقد عليك وعفوت عنك ثم سجد طويلا ورفع رأسه فقال يا ابراهيم أتدرى لم سجدت فقلت شكراً لله الذي أظفرك بعدو دولتك فقال ما اردت ذلك ولكن شكرت الله على ما الهمنيه من العفو عنك حدثني الآن بحديثك فشرحت له صورة امرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمولاة التى سلمتنى الى ابراهيم فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع انعام ابراهيم واهله عليك فقالت رغبت في المال فقال هل لك من ولد أو زوج قالت لا قاص بضربها مائة سوط ثم أحضر الجنـدى وامرأته والمزين فاحضروا وسـأل الجندي عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال الرغبة فى المال فقال له المأمون أنت أولى بان تكون حجاماً من ان تكون من أوليائنا ووكل به من الزمه الجلوس في دكان الحجام واستخدم زوجته قهرمانة في قصره وقال هذه امرأة عاقلة اديبة تصلح للمهمات ثم قال للحجام قد ظهر من مروءتك ما تجب به المحافظة عليـك وسلمه دار الجندى ودابته وخلع عليه وكتب له رزقه مضاعفاً وزيادة الف دينار انتهى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روي أحد خدام امير المؤمنين المأمون قال طلبنى المـأمون ليلة وقد مضى من الليل ثلثه وقال لى خذ معك فلاناً وفلاناً واذهب

مسرعا لما اقوله لك فانه بلغني ان شيخاً يحضر ليلا الى آثار دور البرامكة وينشد الاشعار ويذكرهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامضوا الآن حتى تروا هذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدران فاذا جاء الشيخ وبكى وانشد فأتوني به قال فمضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسي واذا شيخ له جمال وعليه مهابة قد أقبل فجلس على الكرسي وجعل يبكي ويقول شعراً

ولما رأيت السيف جدل جعفرا ونادى منادٍ للخليفة في يحيي

بكيت على الدنيا وزاد تأسفي عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها ورددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديداً وقال دعوني حتى اوصي فاني لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين وأخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به حتى تمثل بين يدي امير المؤمنين فلما رآه انتهره فقال له من أنت وبم استوجب منك البرامكة ما تفعله في خرائب دورهم فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة عندي اياد خضرة افتأذن لي ان احدثك حالي معهم قال قل قال يا أمير المؤمنين انا المنذر بن المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين واحتجت الى بيع مسقط رأسي اشار علي بعض اصحابي بالخروج الى البرامكة فخرجنا من دمشق ومعي نيف وثلاثون امرأة وصبية وصبيا وليس معنا ما يباع وما يرهن حتى دخلنا بغداد فنزلنا في بعض المساجد وكان عندي أثواب لي اعددتها لاتجمل بها فلبستها وخرجت

وتركتهم جياعا لا شيء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا مسجد من خزف وفيه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادم فدخلت وجلست بين أيديهم والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتي واذا بالخادم اقبل فدعي القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا على يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان فسلمنا عليه فرد احسن رد ثم أمرنا بالجلوس فجلسنا فبينما نحن كذلك واذا غلام امرد قد خط عذاره قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة غلام مقرطون فى وسط كل غلام منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل واحد مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة من عود قرن الى مثله من العنبر فوضعت بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضي تكلم وزوج بنتى عائشة من من ابن عمى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهد أولئك الجماعة واقبلوا علينا بالنثار بنادق المسك والعنبر فالتقطت من ذلك ملء كمى ونظرت واذا نحن بالمكان ما بين يحيى والمشايخ والغلام مائة واثنى عشر وجلا تخرج الينا مائة واثنى عشر خادماً مع كل خادم صينية والمشايخ يصبون الدنانير فى ا كمامهم ويجعلون الصوانى تحت آباطهم ويقومون الاول فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا اجسر على أخذ الصينية فغمزنى غلام وجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كمى وجعلت التفت الى ورائى مخافة ان امنع من الذهاب بها فبينما انا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلاحظنى اذ قال للخادم ائتنى بذلك الرجل فرددت

اليه فامرت بسكب الدنانير والصينية وما كان في يدي ثم امرني بالجلوس فجلست فقال من الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتي به فقال يا بني هذا الرجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض موسى على يدي وادخلني داراً من دوره فاكرمني غاية الاكرام فقمت عنده يومين وليلتين في الرغد دائم السرور فلما اصبح دعى باخيه العباس وقال ان ابي أمرني بالعطف على هذا الرجل وقد علمت اشتغالي في دار أمير المؤمنين فخذه اليك واكرمه فاخذني واكرمني غاية الاكرام فلما كان الغد سلمني الى أخيه احمد ولم ازل في ايدي القوم يتداولوني عشرة أيام لا اعرف خبر عيالي وصبياني اهم في الاحياء أم هم في الاموات فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم وقالوا لي قم فاخرج الى عيالك فقلت في نفسي اخرج اليهم في هذه الحالة انا لله وانا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع ثم رفع الخادم الستر وقال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مأمور به فلما رفعت الستر رأيت حجرة كالشمس نوراً فاستقبلني فيها روائح الند والمسك والعود واذا صبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي الف الف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشورين بضيعتين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير وبنادق المسك واقمت يأمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة انا أم رجل غريب فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير

المؤمنين ما نزل أجحف عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي به محصولهما فلما تحامل عليّ الدهر كنت في أواخر الليل أقصد خرابات القوم فأندبهم واذكر حسن صنيعهم اليّ وفاء لهم على احسانهم فقال المأمون علي بعمرو فلما أتي به اليه قال يا عمرو تعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو من صنائع البرامكة قال كم ألزمته في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كلما أخذت منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المأمون كثرة بكائه قال له ياهذا قد أحسنا اليك فم تبكي قال يا أمير المؤمنين وهذا من صنائع البرامكة لو لم آت دورهم فابكيهم حتى اتصل خبري بك وحتى فعلت بي ما فعلت اني كنت اصل الي أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فقد رأيت المأمون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال هذا لعمري من صنائع البرامكة فاشكر لهم ولاحسانهم فاذكر اه

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى بعض أهل الادب ان فتى من أهل الكوفة كان قد فاق اهل زمانه في الادب والبيان والفصاحة واللسان ناقداً في صناعته حاذقاً في براعته حسن الخط جيد الضبط بليغاً في الترسل فطناً في التأمل حافظاً للاخبار راوياً للاشعار خبيراً بسير الملوك في الايام السالفة بصيراً بالبحث عن امورهم في الايام الآتية حاذقاً في التصليف

قائماً في التأليف صبيح الوجه مقبول الشاهد حسن الشمائل وكان مع
ذلك محروماً لا يتوجه له وجه من العمل الا عاقه عائق وحال دونه
حائل قدر سابق فبقي على ذلك حيناً من الدهر وقد برز عليه في القدر
والمال والجاه من كان عنه في الصناعة متأخراً فضاق صدره فخرج الى
بغداد واكترى في بعض خاناتها منزلا واجمع رأيه على أن يجمع نفسه
على خطة هائلة يكون فيها هلكه او ملكه وتربص بذلك وقتاً الى ان
عزم امير المؤمنين المأمون ان يشرب هو واخوه المعتصم قاصرة بالاستعداد
ليوم سماه يخلوان فيه مع الجواري منفردين عن سائر الندماء وظهر
خبرهما بذلك وعرف الناس ذلك اليوم الذى عزم عليه فعزم هذا
الشاعر المذكور ان يتطفل في ذلك اليوم على الخليفة واخيه المعتصم
ومضى الى اخوانه واصدقائه فاستعار من أحدهم قباء فرجية ومن
آخر منطقة وسيفاً ومن آخر رفوناً واستعد لذلك اليوم ودخل
الحمام سحرا وتطيب ولبس وركب عند طلوع الشمس وقال للحاجب
أنا رسول امير المؤمنين فاستأذن لي عليه فمضى الخادم عدواً حتى اخبر
المعتصم فأذن له فلما دخل عليه مثل بين يديه وقال له ياسيدي ان امير
المؤمنين يقرئك السلام ويقول انسيت الموعد اخذ اليك في الركوب لنخلو
ونستريح يومنا هذا قال لا والله ما نسيت ذلك ولكني تربصت ساعة
وتمت نومة لأتقوي بذلك على الانتصاب سائر النهار قال الفتى فعجل
أيها الامير فانه امرني ان لا افارك حتى آتيه بك فأمر المعتصم باسراج
مركوبه واسرع في التأهب ولبس ثيابه وتطيب ثم ركب وركب

الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيئاً من كلام الفتى ويتأمل نظافته وهيأته ويتوهم انه بعض خواص المأمون وأخذ الفتى يحدث المعتصم بالاخبار والنوادر حتى ملى قلب المعتصم وأقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سؤاله شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ باب الخليفة فالقى نفسه عن دابته وجعل يسعى بين يدى المعتصم والحجاب لا ينكرون منه شيئاً ويظنون أنه من بعض خواص المعتصم وأخذ الفتى بركابه ودخل معه فلما استقر المعتصم اصغى اليه تعجباً مما يسمع من حسن كلامه فاخبر المأمون ان المعتصم قد وصل وان معه فتى لا يدرى من هو قال المأمون أخى قد عرف هذا المجلس قد اتفقنا عليه لا يحتمل ان ينظره أحد من الناس الا من هو كعدل النفس وقد أحسن أخي اذ جعل لنا ثالثاً وخرج المأمون من ساعته فرحاً ليس همه الا تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره فلما استقر على سرير ملكه والفتى عالم بما وقع فى نفس المأمون فتمكن قائماً وقبل يد المأمون وعاد الى مجلسه وأخذ فى حديثه ونوادره وعجائبه وعجائب مضحكاته وحسن اخباره وغرائب اشعاره كأنه يغرف من بحر وهو مع ذلك يوهم المأمون انه من خواص المعتصم فساعة يكنيه وساعة يسميه حتى غلب على قلب المأمون واظهر الحسد لاخيه فى صحبته لمثل هذا الغلام وامر المأمون باحضار المائدة فنصبت بانواع الطعام والشراب فاكلوا والى مجلس الشراب انتقلوا فامر المأمون باحضار الجواري من غير ستارة فحضرن وأخذن فى الغناء فما من صوت يمر الا والفتى عارف به وبقائله

والمغنى فيه ومتى قيل وفيمن قيل فعظم فى نفس المأمون حتى ملأ عينه وتزايد حسده لاخيه فى محبته مشله حتى مس الفتى بول ولم يجد المدافعة سبيلاً وهو مستيقن انهما سيذكرانه ويتواصفان حاله اذا خلا المجلس منه فما هو الا ان غاب من بين ايديهما فقال المأمون لاخيه المعتصم يا أبا اسحاق من صاحبك هذا فوالله ما رأيت رجلا أكثر منه أدباً ولا أنظف منه هيئة قال المعتصم والله ما أعرف من هو بلى جاءنا مبكراً برسالة أمير المؤمنين فقال المأمون سألتك بالله يا أخي هل هو كذلك قال أي والله الذي لا اله إلا هو قال المأمون هذا طفيلي ورب الكعبة فغضب وأومأ الى الجواري بالنهوض فنهضن وأقبل الفتى فلما رأى خلو المجلس من الجواري أقبل بوجهه على المعتصم وقال يا أبا اسحاق كأني بك وقد أحدثت فيّ نوعا من الزور هذا المجلس من المجالس التي لا تحتمل المزاح وما هكذا أوعدتني فقال والله يا أمير المؤمنين ما بليت بأحد من الناس مثل ما بليت به من هذا الا انه يعرضني لمثل هذا واشباهه ويوقعني في كل ورطة ثم أقبل على المعتصم وقال يا أبا اسحاق سألتك بالله وبحق أمير المؤمنين الا ما أعفيتني من مداعبتك التي لا تحتمل فالتفت المأمون الى أخيه المعتصم وقال سألتك بالله يا أخي وبحياتي عليك الا ما اخبرتني فقال المعتصم برئت من الله ورسوله ومن حياتك ان كنت أعرفه أو رأيته قط الا يومي هذا قال الفتى كذب والله يا أمير المؤمنين لقد كنت معه دهرى الا طول في مصر كذا وموضع كذا يوم كذا وان هذا لفعله مني أبداً فضحك المأمون تعجباً

وقال ادخل فدخل وأمره بالجلوس فجلس وقال له لك الامان ان صدقتني فصدقه الحديث على وجهه فعجب المأمون من حسن منطقه ولطف مدخله ودقيق تصرفه فامر المأمون باعادة الجواري الى مجلسهم فطربوا سائر يومهم وقال المأمون اخبرني باعجب ما لحقك في قدومك من الكوفة الى بغداد واجعله نظماً ونثراً ولا تكتم شيئاً فقال نعم وأنشأ يقول

بينا أنا واقف في البيت مكتئب	مفكر في أمور اللو والليت
وليس في البيت من شيء ألم به	وبي من الجوع ما يدني الى الموت
واذ بصوت بباب الدار اسمعه	والاذن مصغية مني الى الصوت
ناديت من ذا الذي ارجوه لي فرجا	فقال لي فرج زن لي كرا البيت

قال فضحك المأمون ثم قال ماذا قال خرجت يا أمير المؤمنين فاذا هو صاحب الخان يطالبني بالكراء فوعدته يرجع اليَّ مرة أخرى ومضيت على وجهي لا اعلم أين أتوجه فسألت كل من لقيته عن صديق لي كنت آنس به مديداً وربما استقضيت منه شيئاً فما لقيت في ذلك الطريق أحداً يخبرني عنه فخطر على بالي بيتان من الشعر في ذلك المكان فقلت

غريب الدار ليس له طريق	جميع سؤاله أين الطريق
تعلق بالسؤال لكل شخص	كما يتعلق الرجل الغريق

فاشرفت على باب أمير المؤمنين جارية بوجه كالقمر ليلة كماله وهي تقول هذه الأبيات

ترفق بالغريب فكل حر   يمر بحاله سعة وضيق
وكل ملمة ان انت فيها   صبرت لها اتيح لها الطريق

ثم قالت خذ هذه فادفع بها فاقتك فوالله ما هي الا مواساة من قوت
ومت الى صدري بقرطاس فاذا فيه عشرة دراهم فقط ثم رجعت من
فوري فوجدت صاحب الخان قائماً الى الباب فدفعت اليه خمسة دراهم
واستمتعت بالباقي الى ان وقعت لي هذه القصة فهذا الامر الذي
كلفني على ما فعلته ثم انشأ يقول

لم آت فعلاً غير مستحسن   جهلاً بفعل الاحسن الاصلح
لكنني في حالة أوجبت   ضرورة اتيان مستقبح

فاعجب المأمون ذلك واستحسنه وأمر له بالف درهم يصلح بها
شأنه والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده فكان أقرب الناس
اليه وأول داخل عليه وآخر خارج من عنده وسمى بخليل المعتصم
فقال هذه الابيات

كانت لقلبي اهواء مفرقة   فاستجمعت اذ رأتك اليوم اهوائي
وصار يحسدني من كنت احسده   وصرت مولى الورى اذ صرت مولاي
تركت للناس دنياهم ودينهم   نشغلا بك عن ديني ودنياي

فاستحسنها المأمون وأمر بالقائها على الستارة وكان الفتى اذا حضر
يوم سرور لم يكن له هم الاقتراح هذه الابيات الى ان ينقضي المجلس
ثم ان الفتى خرج بعد ان حسنت حالته يسئل عن الدار التي اشرفت
منها تلك الجارية فاذا هي لرجل من أهل بغداد من كبار مياسيرها

ومات ولم يخلف ولداً سوي تلك الجارية فاعلم المأمون بذلك فأمر المأمون بخطبها للفتى فزوجه اياها اه

﴿ ومن المنقول عنه ايضاً ﴾

قال المقريزي في الخطط لما قدم المأمون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين كان يبنى في كل قرية من قرى مصر دكة يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله فكان يقيم بالقرية يوماً وليلة فمر بقرية يقال لها طاء النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت له عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المأمون متظلمة فوقف لها وكان لايمشي ابداً الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت أمير المؤمنين نزل في كل ضيعة وتجاوز ضيعتي والقبط تعايرني بذلك وأنا اسئل امير المؤمنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف ولا يشمت بي الاعداء وبكت بكاء شديداً فرق لها المأمون وثني عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة فأخبر فاحضر جميع ذلك بزيادة وكان مع المأمون أخوه المعتصم وابنه العباس واولاد أخيه الواثق والمتوكل ويحيي بن اكثم والقاضي احمد بن دؤاد ثم احضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت الى المأمون من فاخر الطعام شيئاً كثيراً حتى انه استعظم

ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قدجاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس ذهب فاستحسن ذلك وأمرها باعادته فقالت له والله لا افعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب ما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تحتقر بنا وتكسر قلوبنا فقال ان بعض ما صنعتيه كفاية فردى مالك بارك الله فيك فأخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض ثم من عدلك يا أمير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريتها طاءالنخل مائتي فدان بغير خراج وانصرف متعجباً من كبر مروءتها وسعة حالها

﴿ومن المنقول عنه أيضاً﴾

حكى ان المأمون كان عنده جارية بديعة الجمال فصيحة اللسان فواقعها يوماً من الايام وأوصاها بكتم ذلك ثم انها دخلت الى مكان منفرد في القصر وخلعت أثوابها لتغتسل فرآها المأمون من مكان عال يشرف على ذلك المكان فلما تعرت رأى من رقة بدنها وبياض جسمها وحسن قدها ما ادهشه فلما همت أن تلبس ثوبها رفعت طرفها فنظرته فاستحت ونفضت شعرها فستر جميع بدنها الى كعبها وهي واقفة ثم انه

خرج وهو متعجب مما رأى فقال من بالباب من الشعراء فقيل أبو نواس فاذن له في الدخول فلما دخل قال له المأمون اجز * نضت عنها القميص لصب ماء * فانشد في الحال وقال

نضت عنها القميص لصب ماء　　فورد خدها فرط الحياء
وقابلت الهواء وقد تعرت　　بمعتدل ارق من الهواء
ومدت راحة كالماء لطفاً　　الى ماء معد في اناء
فلما ان قضت وطراً وهمت　　على عجل بأخذ للرداء
رأت نظرى اليها من بعيد　　فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل　　وصار الماء يقطر فوق ماء

فقال له المأمون لو كنت عندنا لما شرحت ازيد مما وقع ثم اجازه

﴿ ومن المنقول عنه ايضاً ﴾

قيل كان فى قصر المأمون مائتا جارية فسمع المأمون ذات يوم غناء وعوداً فقال لرباح الخادم انظر ما هذا العود ومن يغنى به فذهب ورجع وقال يا مولاى جاريتك ماجن تضرب العود وجاريتك لؤلؤ ترقص على غنائها فاشرف المأمون عليهما من طاقته واذا ما جن تقول

الا ياقصر كم تحوى　　من كس ومن غلمه
وأير واحد فيك　　فيكفى مائتى حرمه
متى يرفع طيان　　ضعيف مائتى ثلمه
فتكنى سيدى نكنى　　ولا تطعمنى لقمه

اذا لم يستقى النبك فما اصنع بالقمه
فطوراً نحن فى عز وطوراً نحن فى نقمه

قال فضحك المأمون ورجع الى مجلسه وقال ياغلام ادع لى ماجنا قلما حضرت قال لها ما كنت تقولين فقالت يا امير المؤمنين شباب ونعمة وحرارة فقال أكون عندك الليلة فقالت يا أمير المؤمنين ان كان كما قال ابو حليمة فلا اريد ذلك قال وما قال ابو حليمة قالت قال

أتت بجرابها تكتال فيه فراحت وهي فارغة الجراب

فضحك المأمون وقال لا ترد الجراب فارغاً ثم تناولها ولاعبها فلما قضى وطره منها قال لها والله ما بى الا ان جعلتنى طياناً ضعيفاً قالت يامولاي لو لم أجعلك طياناً ضعيفاً لم يحصل منك على الجوع هذا الرغيف

﴿ومن المنقول عنه أيضاً﴾

قيل تظلم أهل الكوفة من واليهم الى المأمون فقال ما علمت فى عملى باعدل وأقوم بامر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل يأمير المؤمنين ما أحد أحق وأولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين ان يوليه بلداً بلداً حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا فاذا فعل ذلك لم يصبنا منه اكثر من ثلاث سنين وقد انقضت فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

حجب العتابي على باب المأمون وكان مؤد به فكتب اليه
ان حق التأديب حق الابوه عند أهل الحجا وأهل المروه
وأحق الانام ان يحفظوها ويرعوها لاهل بيت النبوه
فدعى به وأحسن صلته وآلى على الحاجب ان لايعاود حجبه وزجره

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ان المأمون أشرف يوماً من قصر فرأى رجلا قائماً وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط القصر فقال المأمون لاحد غلمانه انزل الى ذلك الرجل وامسك بيده واقرأ ما كتب وأتني به فنزل الغلام وادرك الرجل وقبض على يده وقرأ ما كتب فوجده قد كتب
يا قصر جمع فيك الشوم واللوم متى تعشش في اركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحي أكون أول من ينعاك مرغوم
فقال له أجب أمير المؤمنين فقال سألتك بالله لا تذهب بي اليه فقال أنه يراك فقبض على يده ومثل بين يديه وقال وجدته كتب كذا وكذا فقال له المأمون ياويلك ما حملك على هذا فقال الرجل ياأمير المؤمنين انه لم يخف عنك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والامتعة والفرش والجوارى والخدم فررت عليه وأنا في غاية من سوء الحال من الجوع والعطش ولى يومان

ما استطعمت بطعام فيهما فوقفت ساعة وفكرت فى نفسي وقلت هذا القصر عامر وأنا جائع فلا فائدة لى فيه فلو كان خراباًومررت به على هذه الحالة لم أعدم رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه واقوت به أو ما علمت انه يا أمير المؤمنين قد قيل

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك عن بغض ولا عن محبة ولكن يرجي نفعه بانتقالها

فقال المأمون ياغلام أعطه الف دينار ثم قال ياهذا حق لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامراً انتهى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

حكي ان احمد بن خالد عرض القصص يوماً بين يدي المأمون فى بقصة عليها اليزيدي فصحفه وقال الثريدي فضحك المأمون وقال ياغلام ثريدة لابي العباس فانه أصبح جائعاً فخجل احمد وقال ما أنا بجائع يا أمير المؤمنين ولكن صاحب القصة احمق وضع فوق يائه ثلاث نقط فقال المأمون دع هذا عنك فان النقط شهود الزور والجوع اضطرك الى ذكر الثريد فاحتشم احمد فقال المأمون بحقى عليك الا ما اكلت منها فترك القصص ثم مال الى الصحفة فاكل قليلا ثم دعا بالماء فغسل يديه ورجع الى القصص فر بقصة فيها فلان الحمصي فقال فلان الخبيصى فضحك المأمون وقال ياغلام صحن خبيص فخجل احمد وقال يا أمير المؤمنين صاحب هذه القصة كان احمق من الاول فتح الجيم

فصارت كأنها سنتان فقال دع عنك فلولا حق هذا وحق هذا لاخرجت جوعاً فاني بصحن خبيص فابى ان يأكل منه فانحرف نحوه واكل منه ثم غسل يديه وانصرف الى القصص واحترز فى قراءتها ونبت فى حروفها فما اسقط حرفاً حتى أتى على آخرها

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ان المأمون جمع العلماء وجلس للناس فجاءت امرأة وقالت يا أمير المؤمنين مات أخى وخلف ستمائة دينار أعطونى ديناراً واحداً وقالوا هذا نصيبك قال فحسب المأمون ثم كسر الفريضة ثم قال لها هذا نصيبك فقال له العلماء كيف علمت يا أمير المؤمنين فقال لهم هذا الرجل خلف ابنتين قالت نعم قال فلهن الثلثان اربعمائة وخلف والدة فلها السدس مائة وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون فهل لك اثنى عشر أخا قالت نعم قال اصابهم ديناران ديناران واصابك دينار انتهى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قيل كان للمأمون خادم وهو صاحب وضوئه فبينما هو يصب الماء على يده إذ سقط الاناء فاغتاظ المأمون عليه فقال يا أمير المؤمنين ان الله يقول والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظى عنك قال قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قال والله يحب المحسنين قال اذهب فانك حر انتهى

﴿ ومن المنقول عن المعتصم بن هارون الرشيد ﴾

روى صاحب مجمع البحرين عن سبط بن الجوزي في مرآة الزمان ان المعتصم ولد سنة ثمان وثمانين ومائة في ثامن الشهر منها ومات لثمان عشرة خلت من شهر رمضان وهو ثامن الخلفاء من بني العباس وفتح ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمانية من الملوك وقتل ثمانيــة اعداء وكان عمره ثمانية واربعون سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانيــة أيام وخلف ثمان بنين وثمان بنات وثمانية الف الف دينار وثمانيــة الف الف درهم وثمانين الف الف فرس وثماني الف جــمل وبغل ودابة وثمانمائة الف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وبني ثمان قصور ونقش خاتمه الحمد لله ثمانية احرف وكانت غلمانه لاتزال ثمانية عشر الف وطالعه الثمانية من كل شئ وكان يدعي بالمثمن والثماني انتهى كلامه

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ان تميم بن جيل كان قد خرج على المعتصم في أيام دولته ونزع يده من الطاعة واقطع الى بعض النواحي وكان قد عظم امره على المعتصم فجيئ به أسيراً مكتوفاً وقــد اجتمع الناس من الآفاق والنواحي ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلساً وأمر الناس بالدخول ودخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان

تميم جميل الوجه تام الحلقة عذب النطق فرآه المعتصم غير دهش ولا مكترث لما حل به فاراد ان يستنطقه ليعلم أين عقله فى ذلك الوقت فقال ياتميم ان كان لك عذر فأت به فقال اذا اذن أمير المؤمنين الحمد لله الذى جبر بك صدع الدين • ولمّ بك شعث المسلمين • وأنار بك سبيل الحق • واخمد بك شهاب الباطل • ان الذنوب ياأمير المؤمنين • تخرس الالسنة الفصيحة • وتصدع الافوهة الصحيحة • والله لقد كبرت الذنوب وعظمت الجريمة • وانقطعت الحجة • وساء الظن ولم يبق الا عفوك •أوانتقامك• وأنت الى العفو أقرب وهو بك اليق وأشبه وأنشد

اري الموت بين السيف والنطع كامنا	يلاحظني من حيث لا اتقلت
وأكثر ظنى انك اليوم قاتلى	واى امرىء مما قضى الله يفلت
واى امرىء يدلى بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف	يهز على السيف فيه واسكت
فما جزعى من ان أموت وانني	لاعلم أن الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم	واكبادهم من حسرة تتفتت
كأني اراهم حين انعي اليهم	وقدخمشوا تلك الخدود وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بنعمة	اذود الردي عنهم وان مت موّتوا
فكم قائل لا ابعد الله داره	وآخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكي المعتصم وقال ان من البيان لسحراً ثم قال والله ياتميم كاد السيف ان يسبق العفو وقد وهبتك لصبيتك وعفوت عن زلتك ثم امر

بدواء فعقد له الالوية على موضعه الذي كان خرج فيه ووصله بشئ كثير

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ان الفضل بن مروان كان وزيراً للمعتصم وكان ظالماً غاشما فدخل عليه الهيثم بن فراس الشاعر متظلما من بعض العمال فصرف وجهه عنه ولم يسمع له شكاية تخرج من عنده وهو ينشد

نجبرت يافضل بن مروان فانتظر فقبلك كان الفضل والفضل والفضل
ثلاثة املاك مضوا لسبيلهم ابادهم التغيير والموت والقتل
فانك قد اصبحت في الناس ظالماً ستودى كما اودى الثلاثة من قبل

فلما سمع الفضل أبياته قال ما الذى عنى بقوله فقيل له اراد الفضل ابن الربيع والفضل بن يحيي والفضل بن سهل فتغير لذلك ولم يلبث الا أياماً يسيرة حتى قبض عليه ولما أخذه المعتصم واستصفى امواله كلها فيه لقال ان الفضل أسخط الله وارضاني فسلطني عليه

﴿ ومن المنقول عن هارون الواثق بن المعتصم ﴾

قيل كان الواثق اذا شرب يرقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان عنده من ندمائه فشرب يوماً وخرج من كان عنده الامغن واحد ظاهر التراقد وكانت مغنية من جوارى الخليفة نائمة فلما خلى المجلس كتب المغنى رقعة ورمى بها اليها فاذا فيها

اني رأيتك في المنام ضجيعتي مترشفا من ريق فيك البارد
وكأن كفك في يدى وكأننا بتنا جميعاً فى لحاف واحد

ثم أنبهت ومنكباك كلاهما في راحتي وتحت خدك ساعدي

فقطعت يومي كله متراقداً لاراك في نومي ولست براقد

فكتبت الجارية على ظهرها

خبراً رأيت فكل ما أملته ستناله مني برغم الحاسد

وتبيت بين خلاخلي ودمالجي وتحل بين مراشفي ومجاسدي

ونكون أنم عاشقين تعاطيا ملح الحديث بلامخافة راصد

فلما مدت يدها اليه لترمي بالرقعة رفع الواثق رأسه وأخذها من يدها وقال ماهذا فحلفا انه لم يجر بينهما قبل هذا كتاب ولا كلام ولا رسول الا ان العشق قد خامرهما فاعتقها من وقتها وزوجها منه اه

﴿ ومن المنقول عن المتوكل بن المتصم ﴾

يحكى ان ابراهيم بن الجهم قال افضت الخلافة الى المتوكل واهدى اليه عبد الله بن طاهر من خراسان جارية يقال لها المحبوبة كانت قد نشأت بالطائف فبرعت في الادب حتى كانت لاتفارق مجلسه أبداً ثم انه حصل منه عليها بعد ذلك حنق فهجرها قال علي بن الجهم فبينا أنا نائم عنده ذات ليلة اذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال رأيت الليلة في منامي كأني رضيت على محبوبة وصالحتها فقلت خيراً رأيت يا أمير المؤمنين اقر الله عينك انها جاريتك والرضا والجفا بيدك فوالله انى لفي حديثنا اذ جاءت وصيفة فقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة محبوبة فقال قم بنا ياعلي ننظر ما تصنع فنهضنا

حتى أتينا حجرتها فاذا هي تضرب بالعود وتقول

ادور في القصر لا ارى احداً · اشكو اليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية · ليس لها توبة تخلصني
فهل شفيع لنا الى ملك · قد زارني في الكرى وصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا · عاد الى هجره وصارمني

قال فصاح أمير المؤمنين فلما سمعته تلقته واكبت على رجليه تقبلها قال ماهذا قال يا مولاى رأيت في منامي هذه الليلة كأنك قد رضيت عني فانشدت ماسمعت قال انا والله رأيت مثل ذلك ثم قال هل رأيت اعجب من هذا الاتفاق ثم أخذ بيدها ومضى بها الى حجرتها وكان من أمرها ما كان والله أعلم

﴿ الباب السابع ﴾

(في القضاة)

ذكر ان قاضي انطاكية خرج في غلس بعض الاسحار الى ضيعة له كانت بالقرب من انطاكية فلما صار من البلد على فرسخ اعترضه مستقف في طريقه فقال له دع ما معك والا أوقعت بك فقال له القاضي أيدك الله ان لاهل العلم حرمة وانا قاضي البلد فن عليّ فقال الحمد لله الذي امكنني منك لاني منك على يقين انك ترجع الى كفاية من الثياب والدواب ومن غيرك على شك وربما كان ضعيف الحال لايجد شيئاً فقال له القاضي أراك ذا بيان فقال نعم وفوق كل ذي علم عليم

فقال له القاضي أين أنت عما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين دين الله والعباد عباد الله والسنة سنتي فمن ابتدع فعليه لعنة الله والاستخفاف بدعة وأنا أجلك أن تدخل تحت اللعنة فقال له اللص ياسيدي القاضي هذا حديث مرسـل لم يروه مالك عن نافع ولا ابن عمر ولو سلمته لك تسليم عدل أو تسليم انقطاع وحل بجملته على امر متلصص من لا قوت له ولا يرجع الى كفاية واما ما كان معك فهو لي حلال وقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا دماً عبيطاً لكان قوت المؤمنين منها حلالا ولا خلاف عند كافة العلماء ان للانسان ان يحيي نفسه وعياله بمال غـيره اذا خشى الهلاك وانا والله أخشى الهلاك على نفسي وفيما معك احياني واحياء عيالي فسلمه وانصرف سالماً قال القاضي اما اذا كانت هذه حالتك فدعني أصل الى شيعتي فأنزل عند عبيدي وخدمي وآخذ منهم ما استتر به وأدفع اليك جميع ما معى فقال له اللص هيهات مثلك مثل الطير في القفص فاذا خرج الى الهواء خرج عن اليد وأخاف ان أخلى عنك فلا تدفع اليَّ شيئاً فقال له القاضي أنا احلف لك انى افعل ذلك كله قال اللص حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يمين المكره لايلزم وقال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وأخاف أن تتأول عليَّ فادفع ما معك فدفع له القاضي الدابة والثياب دون السراويل فقال له اللص سلم السراويل ولا بد منها فقال له القاضي ياهذا انه قد آن وقت الصلاة

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ملعون من نظر الى سوءة أخيه وقال لعلي رضي الله عنه يا علي لا تنظر الى سوءة أحد حياً ولا ميتاً وقد آن وقت الصلاة ولا صلاة لعريان والله تعالى يقول خذوا زينتكم عند كل مسجد قيل في التفسير هي الثياب عند الصلاة فقال له اللص اما صلاتك فهي صحيحة لانه حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال العراة يصلون قياماً ويقوم امامهم وسطهم وقال مالك لا يصلون قياماً يصلون متفرقين متباعدين حتى لا ينظر احد منهم الى سوءة بعض وقال الامام ابو حنيفة يصلون قعوداً وأما الحديث قوله ملعون من نظر الى سوءة أخيه فهو حديث مرسل أيضاً لم يروه مالك ولا نافع ولا ابن عمر ولو سلمته لكان محمولا على من نظر الى عورة أخيه على سبيل التلذذ والتمرد وأما أنت فذاك حال اضطرار لا حال اختيار الا ترى ان المرأة أن تغسل فرجها من النجاسة فلا تأمن النظر وكذلك الرجل اذا حلق عانته والرجل يختن غيره وغير ذلك مثل الطبيب سواء واذا كان كذلك لم يلزم ما قاله القاضي أيده الله قال القاضي انت القاضي وأنا المستفتي وأنت الفقيه وأنا المستفتي خذ ما تريد ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فأخذ السراويل والثياب والدابة ومضي ووقف القاضي مكانه حتى مر به من عرّفه وأخبرهم بحاله فأخبر انه من أجلاء الفقهاء قعد به الدهر حتى فعل به ما فعل فبعث اليه القاضي خاتمه ذماماً فلما حضر عنده رفع مكانه واعزه واكرمه وأجرى له ما يقوم بمؤنه ولم يزل القاضي يحدث

بحديثه الى ان مات رحمه الله تعالى اه

﴿ ومن لطائف المنقول ﴾

ما نقله الشيخ اسماعيل بن كثير قال قدم الشيخ الامام العالم زين الدين ابو جعفر عمر بن الوردي الى دمشق المحروسة في أيام قاضي القضاة نجم الدين الشافعي فأجلسه في صفة الشهود المعروفة بالشباك وكان الشيخ زين الدين يلبس زي اهل المعرفة فاستزاره الشهود فحضر كتاب مشتري فقال بعضهم اعطوه للمعري يكتبه فقال الشيخ زين الدين ترسموا أكتبه نظماً أو نثراً فزاد استهزاؤهم به وقالوا نظماً فأخذ القرطاس وكتب

بسم إله الخلق هذا ما اشترى ، محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن احمد بن الازرق ، كلاهما قد عرفا من جاق
فباعه قطعة أرض واقعه ، بكورة الغوطة وهي جامعه
لشجر مختلف الاجناس ، والارض في البيع مع الغراس
وذرع هذي الارض بالذراع ، عشرين في الطول بلا نزاع
وذرعها في العرض ايضاً عشره ، وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقى ، وجابر الرومي حد المشرق
ومن شمال ملك اولاد علي ، والغرب ملك عامر بن جبول
وهذه تعرف من قديم ، بأنها قطعة بيت الروم
بيعاً صحيحاً لازماً شرعياً ، ثم شراء قاطعاً مرعياً

لاشرط فيه أبداً فيفسده	وليس فيه مبطل ولا عده
بثمن مبلغه من فضه	وازنة جيدة مبيضة
جارية للناس في المعامله	الفان منها النصف الف كامله
قبضه البائع منه وافيه	فعادت الذمة منه خاليه
وسلم الارض الى من اشترى	فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق	طوعاً فما لاحد تعلق
ثم ضمان الدرك المشهور	فيه على بائعه المذكور
وأشهدا عليهما بذاك في	ربيع عشر رمضان الاشرف
من عام سبع مائة وعشرة	من بعد خمسة تلى للهجرة
والحمد لله وصلى ربي	على النبي وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر	ابن المظفر المعرى اذ حضر

فلما فرغ الشيخ زين الدين وتأمل الجماعة سرعة بديهته مع استيعاب الشروط الشرعية اعترفوا بفضله واعتذروا اليه لما علموا أنه ابن الوردى وأجلسوه في الصدر ولكن عجزوا عن رسم الشهادة نظماً وسألوه ذلك فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعي بابن الوسول

قد حضر العقد بذاك احمد	ابن الوسول وبذاك يشهد

(قيل) ان قاضياً رأى في هامش كتاب انه من طالت قامته وصغر رأسه وطالت لحيته كثرت حماقته في نفسه وكان بتلك الاوصاف وقال في نفسه أما قامتي ورأسي فلا سبيل الى تغيرها فعمد الى شمعة وقبض على لحيته وقال هذا المقدار يكفي وقرب الشمعة اليها فاحرقت يده

فتحاها فاحرقت كلها فكتب تحته بابه محرب (واشتر) رجل جارية على انها بكر وحملها الى منزله فاخبره نساؤه انها ثيب فاختصم فيها مع البائع فامر القاضي ان تودع عند أمين الى ان تكشف القوابل خبرها فأودعت عند امام المسجد فلما أصبح الامام جاء الى القاضي وهو مضطرب ويتأوه ويقول ذهبت الامانة فسأله القاضي عن قصته فقال ان مشتري الجارية قد اطمأن الى بائعها وأخذها منه على انها بكر نخدعه فيها وخانه فانه قد جربتها البارحة فوجدتها ثيباً فمن ذا الذي يوثق به ويركن اليه انتهى

﴿ الباب الثامن في الكرم ﴾

روى ابن خلكان في تاريخه عن الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة أبي عبدالله بن عمر الواقدي انه قال كنت خياط المدينة في يدي مائة الف درهم للناس اضارب بها فتلفت الدراهم فشخصت الى العراق فقصدت يحيى بن خالد فجلست في دهليزه وآنست الخدم والحجاب وسألتهم ان يوصلوني اليه فقالوا اذا قدم الطعام اليه لم يحجب عنه أحد ونحن ندخلك اليه ذلك الوقت فلما احضر طعامه ادخلوني فاجلسوني معه على المائدة وسألني من أنت وما قصتك فاخبرته فلما رفع الطعام وغسلنا أيدينا دنوت منه لاقبل رأسه فاشمأز من ذلك فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم معه كيس فيه الف دينار فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول استعن بها على امرك وعد الينا في

اليوم الثاني فاخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثاني فجلست معه على المائدة فلما رفع الطعام دنوت منه لاقبل رأسه فانحاز فلما صرت الى الموضع الذي يركب منه لحقني خادم له بكيس فيه الف دينار فقال الوزير يقرأ عليك السلام ويقول استعن بهذا على امرك وعد الينا في غد فاخذته وانصرفت وعدت في اليوم الثالث فاعطيت مثل الذي أعطيت في اليوم الاول والثاني فلما كان في اليوم الرابع أعطيت الكيس كما أعطيت قبل ذلك وتركني بعد ذلك أقبل رأسه وقال انما منعتك ذلك لانه لم يكن وصل اليك من معروفي ما يوجب هذا فالآن قد لحقك بعض النفع مني ياغلام اعطه الدار الفلانية يافلان افرش الفرش الفلاني ياغلام أعطه مائتي الف درهم يقضي دينه بمائة الف ويصلح شأنه بمائة الف ثم قال لي الزمني وكن في داري فقلت أعز الله الوزير لو أذنت لي بالشخوص الى المدينة لاقضي الناس أموالهم ثم أعود الى حضرتك كان ذلك أرفق لي فقال قد فعلت وأمر بتجهيزي فشخصت الى المدينة فقضيت ديني ثم رجعت اليه فلم أزل في ناحيته اه

(قيل) كانت صلات يحيي بن خالد البرمكي لمن يعرض له مائتي درهم فركب ذات يوم فتعرض له أديب شاعر فانشد يقول

ياسمي الحصور يحيي اتيحت	لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم	فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلي قليـــل	هي منكم للقابس العجلان

قال له يحيي صدقت وأمر بحمله الى داره فلما رجع من دار الخلافة سأله عن حاله فذكر له انه تزوج وقد أخذ بواحدة من ثلاث إما أن يؤدى المهر وهو أربعة آلاف وإما ان يطلق وإما ان يقيم جارياً للمرأة يكفيها الى ان يتهيأ له نقلها فأمر له يحيي بأربعة آلاف درهم للمهر وباربعة آلاف لثمن منزل وباربعة آلاف لما يحتاج اليه المنزل وباربعة آلاف للبنية وباربعة آلاف يستظهر بها فأخذ عشرين الفاً وانصرف اه

ودخل على يحيي بن خالد البرمكي يوماً ابو قابوس الحيري فأنشده

رأيت يحيي اتم الله نعمته عليه يأتي الذى لم يأته أحد
ينسى الذى كان من معروفه أبداً الى الرجال ولا ينسى الذى يعد

فقضى حوائجه ووصله بجملة من المال

(وكتب) رجل الى يحيي بن خالد يلتمس شيئاً

شفيعي اليك الله لارب غيره وليس الى رد الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه في كل صباح الف درهم فلما استوفى ثلاثين الفاً مضى فقال يحيي والله لو أقام الى آخر العمر ماقطعناها عنه

روي الاصمعي انه قال ركب الفضل بن يحيي بن خالد البرمكي يوماً الى الصيد وأنا معه ومحمد بن يسار العقيلي والحسن الخليع والحسن بن هانئ الحكمي فلما قضى وطره من صيده رجع يريد مضربه فاعترض له اعرابي على راحلة له فلما رأى الاعرابي المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر الكثير والجم الكبير ظن انه أمير المؤمنين فنزل وعقل

راحلته وتقدم حتى مثل بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له الفضل وبك اخفض عليك دون هذا فقال السلام عليك ايها الامير فقال له الآن قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من أين أقبلت يا أخا العرب فقال له من أرض قضاعة فقال من أدناها أو من أقصاها فقال من أقصاها قال الاسمعي فالتفت الى المعلى وقال كم من العراق الى أقصى قضاعة فقلت ثمانمائة فرسخ فقال يا أخا العرب مثلك من يقصد من ثمانمائة فرسخ الى العراق وأي شيء قصدت قال قد قصدت هؤلاء الامجاد الذين انتشر صيتهم في البلاد فقال من هم قال البرامكة فقال له الفضل يا أخا العرب ان البرامكة خلق كثير وفيهم جليل وخطير ولكل منهم خاصة وعامة فهل أفردت لنفسك منهم من اخترته لقصدك وانتدبته لحاجتك قال أجل قال من هو قال اطولهم باعا واسمحهم كفاً وأظهرهم كرماً قال من هو قال الفضل بن يحيي فقال له الفضل يا أخا العرب ان الفضل جليل القدر عظيم الخطر اذا جلس للناس مجلسا عاما لم يجلس مجلسه الا العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب والمذاكرون في العلم افعالم أنت قال لا افأديب أنت قال لا افعارف أنت بايام العرب وأخبارها وانسابها ونوادرها وأشعارها قال لا قال أفوردت على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا أخا العرب لقد غررت بك نفسك مثلك من يقصد الفضل بن يحيي وهو على ما عرفتك به من الجلالة فقال والله ايها الامير ماقصدته الا باحسانه المعروف وكرمه الموصوف وبيتين من الشعر قلتهما فيه

فقال الفضل يا أخا العرب انشدني البيتين فان كانا مما يصلح ان تلقى بهما الفضل اشرت عليك بلقائه وان كانا مما لايصلح ان تلقى بهما الفضل بدرتك بشيء من مالي ورجعت الى باديتك وكنت لم تخلق وجهك ولم يستخفف بشعرك قال وتفعل أيها الامير قال نعم قال فاني والله الذي أقول

الم تر ان الجود من كف آدم تحدر حتى صار يملكه الفضل
ولو أم طفل عضها جوع طفلها وغذته باسم الفضل لاعتصم الطفل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان قدمدحنا بهما شاعر غيرك واخذ الجائزة عليهما بل فأنشدني غيرهما ما تقول قال أقول أيد الله الامير

قد كان آدم حين حان وفاته اوصاك وهو بجود بالحوباء
ببنيه أن ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل هذان البيتان اخذتهما من أفواه الناس أنشدني غيرهما ما تقول وانت بحضرته وقد رمقتك الادباء بابصارهم قال أقول والله أيها الامير

ملت جهابذ فضل وزن نائله وملّ كاتبه احصاء ماينهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة خلق ولم يرتفع مجد ولاحسب

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أيضاً هذان البيتان اخذتهما من أفواه الناس ما كنت قائلا قال اذا والله أقول

وللفضل صولات على سلب ماله ترى المال فيه بالمذلة قد عنا

ولو أن رب المال أبصر جوده   لصلى على مال الامير واذنا

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل أنشدني غيرهما ماتقول قال اذاً والله اقول

ولو قيل للمعروف ناد أخا العلا   لنادى باعلى الصوت يافضل يافضل

ولو انما انفقت من رمل عالج   لاصبح من جدواك قد نفد الرمل

قال فان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذاً والله أقول أيها الامير

وما الناس إلا اثنان صب وباذل   واني لذاك الصب والباذل الفضل

على ان لي مثلا اذا ذكر الهوى   وليس لفضل في سماحته مثل

قال فان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال اذا أقول والله ايها الامير

حكى الفضل عن يحيى سماحة خالد   فقام بها التقوى وقام بها البذل

وقام به المعروف شرقاً ومغرباً   ولم يكن للمعروف بعد ولا قبل

قال فان قال لك الفضل باهذا قد ضجرنا من الفضل والفضل انشدنا بيتين على الكنية لا على الاسم ماتقول قال اذاً والله أقول

ألا يا أبا العباس ياواحد الورى   ويامالكاً خد الملوك له نعل

اليك تسير الناس شرقاً ومغرباً   فرادى ومثنى كأنهم النمل

قال أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل انشدني بيتين بغير الاسم وبغير الكنية وغير القافية قال اذاً والله أقول

أيا جبل الله المنيف والذي   اليه تسعى في المهمات الورى

يؤم أبوابك طلاب الغنا كما يؤم البيت حجاج منى

قال له الفضل أحسنت يا أخا العرب فان قال لك الفضل انشدني غيرها ماذا تقول قال والله لئن زادني الفضل امتحاناً لاقولن أربع ابيات ما سبقني اليهن اعرابي ولا أعجمي ولئن زادني بعدها امتحاناً لاجمعن قوائم ناقتي هذه ولا جعلنها في حرأم الفضل ولا رجعن الى قضاعة خاسراً خائباً ولا أبالي فنكس الفضل رأسه ملياً وقال للاعرابي يا أخا العرب اسمعني الابيات قال فاني والله اذاً أقول

ولائمة لامتك يافضل في الندا فقلت لها هل يقرح اللوم في الحجر

أتنهين فضلاً عن سماحة كفه ومن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر

كان نوال الفضل في كل بلدة تحدر ماء المزن في مهمه قفر

كان وفود الناس في كل وجهة الى الفضل وافوا عنده ليلة القدر

قال فامسك الفضل على فيه وسقط على وجهه ضاحكاً ثم رفع رأسه وقال يا أخا العرب انا والله الفضل بن يحيى قل ما شئت فقال الاعرابي عزمت عليك بالله أيها الامير انك هو قال أنا هو قال اقلني مما مضى من الكلام قال اقالك الله فاذكر حاجتك قال عشرة آلاف قال الفضل ازدريت بنا وبنفسك يا أخا العرب لك عشرة آلاف في عشرة آلاف وحضر غداء الفضل فأكلنا وتفرقنا ونام الفضل ثم استيقظ وصلى وجلس عشياً للمنادمة وحضرنا وحضر الاعرابي وأخذنا في الحديث فقال له الفضل يا أخا العرب انا كثيراً ما نسمع الشعر من شاعر ومادح ومنشد ومغن وهو من جيد الشعر ومختاره حتى نسأمه في

بعض الاوقات قبل عندك من حديث ظريف تعجبنا به فقال والله
أيها الامير لاحدثنك بحديث ما سمعت قط بأعجب منه فقال الفضل
على اسم الله يأخا العرب فقال أعلمك أيها الامير انى ضلت لي أبل
فى بعض الاحيان فخرجت أطلبها فمشيت من أول النهار الى آخره وقد
كظنى الجوع والعطش فرميت نفسي يمنة ويسرة وورائي وقدامي
فرأيت من امامي دخاناً قد على بعنان السماء قائمته واعترض لى جبل
فصعدت ذروته فاشرفت على ابيات شعر قليلة وغدير ماء يتدفق
فنزلت من قنة الجبل الى صفحة الوادي فاذا انا بامرأة أقبلت كأنها
الشمس حسناً وعلى يدها طفل كأنه كوكب وهي تقصد الغدير تريد
الاغتسال فلما رأيتها على تلك الحالة تواريت بحيث لا ترانى فاقبلت الى
الغدير ونزعت ثيابها واقعدت طفلها وولجت فى الماء فلما قضت حاجتها
من الاغتسال التحفت بملحفتها وعصبت ذوائبها وأخذت طفلها على
يدها وامت الابيات فاتبعتها فدخلت اكبر الابيات فوردت على أثرها
وسلمت فخرجت فلما رأتنى قالت يأخا العرب قد رأيناك منذ هنيهة
فما الذي ابطأ بك فقلت ما وافيت الا فى هذه الساعة قالت ما هـذا
الاعتذار هل رأيت الا كالشمس وجهاً وبطناً كطي القباطي وفخذين
كمخذي البعير قلت كل هذا رأيته قالت ادخل الآن للقرى الواسع
فدخلت الخباء فقربت الي شيئاً من الطعام فاكلته فلما اختلط الظلام
اذا بخيل وابل تؤم الابيات يقدمها فارس تحته فرس يأكل الارض
اكلاً فلما دنا ورآني ضرب بيده الى سيفه فقالت ويلك انه ضيف

فاطلق يده عن السيف فتأملته فاذا هو كالقرد فى خلقه ودمامته ثم دخل فاججوا ناراً وقربوا قراهم فاكلنا ثم قام فقصد معها الى حجرتها وجعل يلاعبها وبداعبها فوقع في قلبي امرها فقلت أحسن خلق الله في الدنيا وأقبح من يراه الله على وجه الارض فوالله ما وقع لي هذا فقال كأنك يا أخا العرب قد فكرت فى نفسك وقلت أحسن من خاق الله وأقبحهم فكيف جمع الله بينهما قلت له والله ما عدوت مافي نفسي فقال هل لك ان اخبرك بالحال التي جمعتنا قلت لله ما أحوجني الى ذلك قال اعلمك اني وجل من بني حنيفة كنت عاشر عشرة اخوة وكان أبي يبغضني من بينهم حتى وكلني برعي الابل وشاء الله ان شات لنا أبل فى بعض الاحيان فرسل اخواتي واحداً بعد واحد فى طلبها فما منهم من جاء بطائل فقالوا له هلا ارسلت فلاناً يعيننا قال بلى ثم أقبل عليّ وقال قم وبلك واطلب الابل قلت والله ما انصفتموني اذا وطئت ظهورها وطاب مركبها ودرت البانها هي لكم وأنتم أربابها واذا هلكت وضاعت فانا أرومها وأطلبها فقال له قم وبلك فاطلب الابل والا اوجعتك ضرباً فقمت من خوف الضرب وأنا على ما ترى من قبح المنظر وشاء الله ان كانت أيام خريف فشيت من أول النهار الى آخره والبرد يضربني من جانب والعطش من جانب فرماني المساء الى ابيات فرأيت هذه المرأة وهي عابرة فى جنب بيت فلما رأت مابي من سوء الحال قالت أظنك غريباً يا أخا العرب قلت أجل قالت ادخل القرى الواسع والاصطلاء فدخلت البيت فالفيت ناراً مؤججة فاصطليت فلما

اختلط الظلام جاء أبوها واخوتها فأججوا نارهم وقربوا قراهم واكلنا فوالله ما هو الا ان امنت من الجوع ودفئت من البرد ورويت من العطش فتأملتها فرأيت وجهها فى ضوء النار كالبدر الطالع فأخذت بمجامع قلبى فجعلت احد النظر وهي مطرقة خوفاً من أن يفطن أبوها واخوتها فلما رأتني لا أميل النظر عنها قامت وخرجت كأنها تريد حاجة فخرجت فى أثرها قالت ويلك ما عراك فقلت أجد أحشائى تتلهب وقلبى يضطرب محبة لك فما املك قلبى ولو شئت سكنت ما بى فقالت امهل ويلك حتى ينام أبى واخوتى فلم أزل أراقبهم حتى ناموا ثم تحركت فقالت ما هذا فقلت الضيف فقال ويلك اخرج فانه استراك وهى تريد هلاكي ولا أعلم فخرجت الى ان صرت بباب الخباء إذا بكلب كأنه السبع فجعلت ادفعه عن نفسي وامشي القهقرا وهو يتبعني حتى مضيت الى بئر فسقطت فيها وسقط الكلب فى أثري وجعل ينبح في ناحية البئر وأنا أدفعه عن نفسي فأحست الصبية بوقوعي فى البئر فخرجت حتى وقفت على رأس البئر وقالت ويلك ما الذى دهاك فقلت لا ادري الا وأنا والكلب فى البئر فقالت فهلا أبصرته فقلت حال الظلام بيني وبين النظر اليه فقالت على رسلك حتى ارجع اليك ثم رجعت الى الخباء فجاءت بحبل طويل فالقت الى طرفه وقالت تعلق بأسفله وأنا ممسكة باعلاه فصعدت حتى أشرفت على رأس البئر فما هو الا أن همت بوضع رجلى على الجدار معها فزلت قدمها فصرت أنا وهي والكلب فى البئر فجعلت تلطم وجهها وتخمش خدها وتدعو بالويل والثبور فى

ناحية والكلب ينبح فى ناحية وانا متيقن القتــل لا سواء ثم ان امها قامت تطلبها في مكانها فلم تجدها فأيقظت أباها وقالت ويحك قم فاطلب ابنتك فليست فى مكانها فقام يتخلل الابيات فى طلبها حتى استدل عليها بنبح الكلب فأقبل حتى وقف على البئر فلما تيقن الامر صاح باخوتها وقال ويلكم هبوا فان كلبكم واخوتكم وضيفكم في البئر فقام هذا الى سيفه وهذا الى رمحه واخذ هذا فاساً وهذا محجناً وجاؤا ليجعلوا البئر قبرى وقبرها وقبر الكلب فلما هموا بالوقيعة قال لهم الشيخ على رسلكم ثم قال الى انتسب فانتسبت له فاقبل على اولاده ثم قال يابنى ارجع الى كثرة فى العدد وقوة في العشيرة وانتم قليلون ومتى قتلتموه طولبتم بدمه ولا طاقة لكم بثارات العرب وكنتم قد جنيتم على انفسكم جناية اضطررتم معها الى الجلاء عن اوطانكم وان أطلقتموه فهى الفضيحة العظمى ولكن قــد رأيت ان ازوجها به في البئر فقالوا انا لرأيك تبع فافعل ما شئت ثم قال له ويلك ألك مال قلت احكم قال مائة ناقة حمراء وعبد وجارية قلت اشدد يدك في الحكومة فانى استطيع قال ما أبغى مزيداً فزوجنى بها في جوف البئر فصعدوا بها وصعدوا بالكلب وصعدوا بي فبت ليلتي عندهم وخرجت من الغد أجد في السير حتى اشرفت على الحي واطلعت على ابى فقال ويلك ما وراءك فقلت والله قد جئتك بخسارة ثانية قال وما ذاك فقصصت عليه القصة من أولها الى آخرها فقال والله لاشمت بك ثم جمع ابله واختار منها مائة ناقة وابتاع لى عبداً وجارية فسقت ذلك اليهم وهذا خبرها ثم ماهدى في

ان لا ابوح بخبره فلم أزل حافظاً لميني حتى سألتني أيها الامير فأعجب الفضل بذلك اعجاباً كثيراً وأمرنا ان ندفع المال اليه فلما صار بين يديه حسده بعض من حضره وقال يامولاى هذا اسراف يأتيك جلف من اجلاف البادية بابيات استرقها من شعر العرب فتجيزه بكل هذا المال قال الفضل فانه استحقها باشخاصه الينا من أرض قضاعة قال أقسمت عليك يامولاي الا أخذت سهماً من كنانتك وركبته في كبد قوسك وأومأت به الى الاعرابي فاذا هو ردّعن نفسه ببيت من الشعر والا استعدت مالك ويكون له في البعض كفاية فأخذ الفضل سهماً وركبه في كبد قوسه واوماً به الي الاعرابى وقال له رد سهمى ببيت من الشعر والا ارحتك من نفسك فأنشأ يقول

وقوسك قوس الجود والوتر الندا   وسهمك سهم العز فارم به فقري

فضحك الفضل حتى استلقى وانشأ يقول

اذا ملكت كفاي مالا ولم انل   فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي

على الله اخلاف الذى قد بذلته   فلا نافعى بخلي ولا متلفي بذلي

اروني بخيلا نال مجداً بخله   وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

ثم قال الفضل اعطوا الى الاعرابي مائه الف درهم لقصده وشعره ومائتا الف درهم ليكفينا شر قوائم ناقته فأخذ الاعرابى المال وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل م بكاؤك يا اعرابي استقلالا لما اعطيناك فقال لا والله ما استقلته ولكنى ابكي على مثلك كيف تأكله الارض ويواريه التراب وذكرت أيضاً قول الشاعر حيث يقول

لعمرى ما الرزية فقد مال ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر يموت لموته خلق كثير
وتوجه الاعرابي الى بهذه بالمال فرحاً مسروراً انتهى

(وذكر الصلاح الصفدي) في تاريخه الوافى بالوفيات فى ترجمة ابراهيم بن السري بن سهل ابو اسحق الزجاج النحوي قال الخطيب كان من أهل الدين والفضل وحسن الاعتقاد جميل المذهب وله مصنفات حسان فى الادب توفى سنة احدى عشرة وثلاثمائة وهو استاذ أبي علي الفارسى قال كنت اخرط الزجاج فاشتهيت النحو فلزمت المبرد وكان لا يعلم الا باجرة فقال لى أى شيء صناعتك قلت اخرط الزجاج وكسبي كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف وأريد ان تبالغ في تعليمى وأنا أعطيك كل يوم درهم والتزم بذلك أبداً الى ان يفرق الموت بيننا استغنيت عن التعليم أو احتجت اليه وكان ينصحنى في التعليم حتى استقللت وأنا اعطيه الدرهم كل يوم فجاءه كتاب من بعض بني مارية من الصراة يلتمسون نحوياً لاولادهم فقلت له اسمني لهم فاسماني فخرجت فكنت اعلمهم وانفذ اليه كل شهر ثلاثين درهماً وأزيده ما اقدر عليه ومضت مدة فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم فقال لا اعرف الا رجلاً زجاجاً بالصراة مع بني مارية فكتب اليهم فاحضروني واسلمني الى القاسم فكان ذلك سبب غناي فكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم الى ان مات ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتى فكنت أقول للقاسم بن عبيد الله ان بلغك الله

الوزارة ماذا تصنع بي فيقول ما أحببت فاقول له تعطيني عشرين الف
دينار وكانت غاية أمنيتي فلما ولي القاسم الوزارة وأنا قديمه وملازمه
فهبته ان اذكره فلما كان اليوم الثالث من وزارته قال حدثنا يا أبا اسحاق
لم أرك تذكرني بالنذر فقلت عولت على رعاية الوزير فقال أنه للمتضد
ولولاء ما تعاظمني دفع ذلك اليك جملة ولكن أخاف ان يصير لي
معك حديث في ذلك فاسمح باخذه فرقاً فقلت ياسيدي افعل فقال
اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها ولا يمتنع
عليك من مسئلتي شيئاً تخاطبني فيه صحيحاً كان أو محالاً الى ان يحصل
لك مال النذر فكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً فيوقع لي فيها وربما
قال كم ضمن لك على هذا فاقول كذا وكذا فيقول غبنت هذا يساوي كذا
وكذا ارجع فاستزد فاراجع القوم ولا أزال أماكسهم حتى أبلغ الحد
الذي رسم لي فحصل عندي عشرين الف دينار في مديدة واكثر
فقال لي بعد شهور يا أبا اسحاق حصل مال النذر فقلت لا فسكت
وكنت أعرض عليه ويسألني في كل شهر ونحوه حصل المال فاقول
لا خوفاً من انقطاع الكسب الى ان حصل لي ضعف ذلك فسألني
يوماً فاستحيت من الكذب المتصل فقلت قد حصل ذلك ببركة
الوزير فقال قد فرجت والله عني وقد كنت مشغول القلب الى ان
يحصل لك ثم وقع الى خازنه بثلاثة آلاف دينار صلة فاخذتها وامتنعت
عن ان اعرض عليه شيئاً فلما كان من الغد جئت وجلست على رسمي
فأومى اليّ ان هات ما معك فقلت ما أخذت من أحد شيئاً ان النذر

حصل فقال ياسبحان الله أرى اني اقطع عنك شيئاً قد صار لك مادة وعليه الناس وصارت لك به وجاهة ومنزلة وللناس غدو ورواح الى بابك ولا يعلم السبب فيظن ذلك ضعف جاهك عندي أعرض على رسمك وخذ بلا حساب فقبلت يده وباكرت بالرقاع ولم أزل كذلك الى ان مات رحمه الله انتهى

(قيل بينما خالد بن عبدالله القسري) جالس على سرير ملكه اذ رأى اعرابياً يشق الصفوف فقال افسحوا له فلما مثل بين يديه انشأ يقول

أقول بما عندي اليك فتسمع ... أم لا فرني أي شيء اصنع

قال فرفع خالد رأسه وقال يااعرابي

قل ما تشاء فانني لك اسمع ... هذا وفي نظري لشانك مقنع

فانشأ الاعرابي يقول

اصلحك الله قل ما بيدي ... فما أطيق العيال اذ كثروا

الح دهري إذ أرى بكلكله ... فارسلوني اليك وانتظروا

فاطرق خالد ساعة ثم رفع رأسه وقال ارسلوك الي وانتظروا قال أي والله أيها الامير قال خالد والله لاعجلن بسراحك اليهم ثم قال ياغلام علىَّ بالف دينار والف دينار فلم يستتم كلامه حتى أتى بها ثم قال الف دينار والف دينار والف دينار فأتي بها فقال خذها يااعرابي قد الاعرابي كساه له فلف فيها الالوف وأراد ان يحملها فعجز فبكى فقال خالد مما بكاؤك ياأخا العرب استقللت ما اعطيناك فقال لا والله

أيها الامير ولكن بكيت لما تأكل الارض من كرمك فقال خالدياغلام الف دينار فاتى بها فامر بها لبلال فحمل بين يديه فلما ولى خالدرده فلما وقف بين يديه قال ياأخا العرب متى عاد اليك خصمك متعتباً فعد الينا متظلماً فانا منصفوك عنه ان شاء الله تعالى فقال والله أيها الامير ان مي من فضلك ما ادحض حجة خصمي بقية عمري انتهى

(قيل) قام رجل على باب معن بن زائدة الشيباني سنة لا يصل اليه فرق له الحاجب وقال ياهذا اكتب حاجتك فى رقعة واختصر فيها فقال والله لازدت على بيت واحد من الشعر ثم كتبه فى ورقة وختمها ودفعها الى الحاجب فاخذها الحاجب وأوصلها الى معن فاذا فيها مكتوب

أيا جود معن ناج معناً بحاجتي فمالي الى معن سواك رسول

فامر له بعشرة آلاف درهم ثم اشتغل بالحديث ساعة ثم التفت فرأى الرقعة فامر له بعشرة آلاف أخرى فلم يلحقه الرسول فرجع وقال ياسيدي ما لحقت الرجل فقال معن أراه ظن انا نسترجعها منه والله لو وقف لانفذت اليه بعشرة تتبعها عشرة الى ان يفنى بيت المال انتهى

(قيل) وقف رجل بباب خمارويه بن احمد بن طولون سنة كاملة لايقدر على الدخول اليه فاوق ذات ليلة خمارويه فقال لغلامه اخرج وانظر من بالباب من الشعراء فوجد اعرابي شاعر فادخله فلما مثل بين يديه وسلم عليه قال له يا أخا العرب هات ماقلت فينا فقال ايها الملك لى اليوم سنة كاملة لم أقدر على الدخول اليك وقد قلت

فاكثرت ومدحت فأطلبت غير انى جاءنى بالامس كتاب من امرأتى
من بغداد ووددت جوابها فقال وماكتبت جوابها فانشأ يقول

كتبت تبتغى الاياب وتوصـــينى بتعجيله أشد وصيه

وشكت عيـلة الى وقالت عد الينا ولو بغير هديه

قد لبسنا ثياب النخل من بعـ دك حتى لم تبق فيه بقيه

فالى كم تغيب والغائب النا زح يخشى عليه صرف المنيه

اتزوجت ام اصبت بمصر غضة بضة البنان صبيه

فتشاغلت عن عيون ترا عيك على القرب بكرة وعشيه

فرددت الجواب مهلا فانى سوف آتيك منه بالامنيه

بالوف من الدنانير حمر من خاروية بن احمديه

قال وضمنت الهـا يا أخا العرب اذا واالله لا تعجلن سراحك اليهـا ولا
وفين ضمانك لها يا غلام الفين دينار من صربي وثلاثة آلاف من
ضرب أبي فاتى بها الغلام قال الاعرابي فضمنتها وخرجت مسرعاً فما
أشعر والا والخادم قد لحقني فقال ارجع فرجعت اليه مسرعا وظننت
أنه يستعيدها منى فلما وقفت بين يديه قال يا أخا العرب انك ضمنت
لها الوفاء في شعرك ثم ذكرت انه لابد من النفقة في الطريق وتوصل اليها
بغير ما ضمنت لها ياغلام سلم اليه خمســة آلاف أخرى قال فضممتها
وخرجت مسرعاً ولم أشعر الا والخادم في أثرى قد لحقني وقال ارجع
فرجعت اليه فلما وقفت بين يديه قال يا أخا العرب انها تذكر لك
انك اتزوجت ام اصبت بمصر غضة بضة البنان صبيه وقد أردت أن

أحققها ظنها فيك يا غلام سلم اليه جارية بخمسمائة دينار وجهزها بثمنها
قال فضممت المال والجارية وانصرفت غنياً في احسن حال والنعم بالله
(قال محمد بن يزيد الدمشقي) ما شعرت في بعض الليالي الا
بقارع يقرع الباب فقلت من أنت قال أجب الامير فقلت ومن الامير
قال الفضل بن يحيى البرمكي فقلت لعلك غلطت علىَّ في الرسالة فقال الست
محمد بن يزيد الدمشقي قلت بلى قال اليك أرسلت قال فدخلت الى منزلي
ولبست بغية الحمار كانت لى فخرجت أقفوا أثره حتى أتيت دار الفضل
فدخل قبلى مبادراً وقال لى قف مكانك حتى اخرج اليك فما لبث
الا قليلا حتى خرج اليَّ وقال ادخل يا محمد فدخلت فاذا أنا ببهو عظيم
وفي صدر ذلك البهو مرتبة وفيها يحيى بن خالد والفضل وجعفر وسائر
ولده على مراتبهم والخلق بين أيديهم من القضاة والعدول والفقهاء والتجار
وجميع أهل الدولة وغيرهم فاقبلت اشق الصفوف حتى سلمت عليهم فامرنى
الفضل بالجلوس في ناديهم فلما استقر المجلس باهله فتح باب بيت عن يمين
الفضل فاخرج مولود الفضل ووضع في وسط القوم وكان ليلة سابعه والاعلم
لي فاقبل القوم يقرؤن ومجامر الند بينهم تختلف والشماع والعنبر تضىء
عليهم بايدي الخدم فلما فرغ القوم من ختمتهم قام الشعراء واحداً بعد
واحد كل منهم يهنئه بطلعة المولود ويبشره برؤيته فلما فرغوا نثرت
عليهم الدنانير ملتوتة بالمسك فما بقى منهم أحد الا أخذ في كفه وأخذت
من جلتهم فلما انصرف القوم وانصرفت في جلتهم لحقنى خادم الفضل
وقال ارجع يا محمد فرجعت فالفيت الفضل وهو جالس مع ابنه فقال

يا محمد اجلس فجلست فقال قد سمعت ما كان منذ الليلة والله ما أعجبني شيء من اشعارهم وقد احببت ان تقول في ذلك شيئاً قلت ايد الله الامير هيبتك تمنعني من قول الشعر فقال لا بد ولو كان بيتاً فقليلك كثير فاطرقت ساعة ورفعت رأسي وقلت حضرني بيتان فقال هاتهما فانشأ يقول

وتفرح بالمولود من آل برمك   لبذل الندا والجد والجود والفضل
ويعرف فيه الخير عند ولاده   ولا سيما ان كان من ولد الفضل

فتهلل وجه الفضل فرحاً وسروراً وقال ما سررت قط بمثلها وامر لي بعشرة آلاف دينار وقال خذها يا محمد وهي دون حقك فاخذتها وتوجهت الى منزلي وانا من أشد الناس فرحاً فلما اصبحت اشتريت أرضاً وعقاراً وفتح الله علي وكثر مالي وعظم جاهي فما اقت الا يسيراً حتى دارت على البرامكة الدائرة وقتلوا باجمعهم وكان من أمرهم ما كان فلما كان بعد سنين كثيرة اتفق لي ان اردت دخول الحمام فارسلت الى حمام بازاء داري وأمرت قيمه بتنظيفه وان لا يدخله احداً ثم ركبت بغلتي ودخلت الحمام فلما قضيت ما احتاج اليه امرت صاحب الحمام ان يدخل لي قيماً فدخل اليَّ غلام حسن الوجه فدلكني فلما استلقيت على قفاي ذكرت أيام البرامكة والفضل وان جميع ما املكه من عندالله وعلى يده فقلت * وتفرح بالمولود من آل برمك * البيتان قال فرأيت الغلام الذي كان عندي يدلكني قد انقلبت عيناه وتغير وجهه وانتفخت أوداجه وسقط مغشياً عليه فلما عاينت منه لم أشك أنه مجنون

فخرجت مبادراً فاغتسلت ولبست ثيابي وركبت بغلتي وانصرفت الى منزلي ثم أرسلت الى قيم الحمام فلما حضر قلت له ما حملك على ان أدخلت علىّ مجنوناً يدلكني فقال والله يامولاي ماهو مجنون وله عندي سنين كثيرة ما رأيت منه قط هذا فقلت علىّ به الساعة فلما أتاني به وحصل عندي أدنيته مني وآنسته فلما اطمأن به المجلس قلت له ماذلك العارض الذي رأيته منك قال وما رأيت وقد ظهر منك ما استحى ان اذكره لك قال رأيتني جننت قلت نعم قال وهل تعلم ماكان سبب ذلك قلت لا أدري قال ماكنت تنشده قلت بيتين من الشعر قال وما هما فانشدته إياهما قال ومن قائلهما قلت أنا قائلهما قال فيمن قلتهما قلت في ولد الفضل بن يحيي قال أتعرف الساعة ولد الفضل بن يحيي قلت لا قال انا ولد الفضل بن يحيي وأنا صاحب السابع وفيّ قلت البيتين فلما سمعتهما منك وكنت قد سمعتهما قبل وعلمت انهما في ضاقت علي الارض برحبها وظهر مني ما رأيت قال محمد فوثبت وقبلت رأسه وبين عينيه وقلت له ياسيدي أنا والله عبدك وجميع ما املكه لك لابيك وببركتك والله مالي ولد ولا قرابة يرثني وأنا شيخ كبير وقد عزمت ان احضر شاهدين واشهدهما أن جميع ما بيدي وما املكه لك دوني ومالي من مال وأكون أعيش في فضلك الى أن أموت فتغرغرت عيناه بالدموع وقال لا والله لا أرجع في شيء وهبه لك أبي وان كنت محتاجاً الى ذلك وخرج مولياً فخرجت وراءه وأقسمت عليه بالله ان يأخذ الكل أو البعض فكره ومضى وكان آخر العهد به انتهى

(ذكروا) عن الواقدي انه قال اصبت اضافة شديدة وهجم رمضان وأنا بغير نفقة فضاق صدري لذلك فكتبت الى صديق لي علوي اسئله ان يقرضني الف درهم فبعث بها مع الغلام في كيس مختوم فتركها عندي فلما كان عشاء ذلك اليوم وردت ورقة من صديق لي يسألني اسعافه بنفقة شهر رمضان بالف درهم فوجهت اليه بالكيس بختمه فلما كان الغد جاءني صديقي الذي اقترض مني هو والعلوي الذي اقترضت منه الالف فسألني العلوي عن خبر الدراهم فقلت صرفتها في حوائجي فاخرج الكيس بختمه وقال اعلم انه قد قرب هذا الشهر وما عندي سوى هذه الدراهم فلما كتبت اليَّ وجهت بها اليك وكتبت الى صديقنا هذا اقترض منه الف درهم فوجه اليَّ بالكيس فسألته عن القصة فشرحها لي وقد جئنا اليك لنقتسمها بيننا والي ان ننفقها يكون قد فتح الله بالفرج قال الواقدي فقلت لست ادري أينا أكرم فاقتسمناها فدخل شهر رمضان فانفقت ما حصل لي منها وضاق صدري وبقيت الفكر في امري فبينما أنا كذلك إذ بعث اليَّ يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يوم فمضيت فقال لي يا واقدي اني رأيتك البارحة فيما يرى النائم وانت في حالة دلتني انك في حالة شديدة فاشرح لي امرك فشرحته الى ان بلغت حديث العلوي وصديقي والالف دينار فقال لا أدري ايكم أكرم وامر لي بثلاثين الف درهم ولصاحبي بعشرة آلاف درهم وقلدني القضاء من ذلك الوقت انتهى

ونظيره ما حكي عن الاصمعي انه قال قصدت في بعض الايام رجلاً كنت اغشاه لكرمه فوجدت على بابه بواباً فنعني من الدخول اليه ثم قال والله يااصمعي ما أوقفني على بابه لامنعك الا لرقة حاله وقصور يده فكتبت اليه رقعة وفيها

اذا كان الكريم له حجاب فما فضل الكريم على اللئيم

ثم قلت له اوصل رقعتي اليه ففعل وعاد بالرقعة وقد كتب على ظهرها

اذا كان الكريم قليل مال تحجب بالحجاب عن الغريم

ومع الرقعة صرة فيها خمسمائة دينار فقلت والله لا تحفن المأمون بهذا الخبر فتوجهت اليه فلما رآني قال من أين يا أصمعي قلت من عند رجل من كرام الاحياء حاشا أمير المؤمنين قال ومن هو فدفعت اليه الرقعة والصرة وأعدت عليه الخبر فلما رأى الصرة قال هذه من بيت مالي ولا بد لي من الرجل فقلت والله يا أمير المؤمنين انى استحى ان اروعه برسلك فقال لبعض خاصته امض مع الاصمعي فاذا رأك الرجل قل له اجب أمير المؤمنين من غير ازعاج فلما حضر الرجل بين يدى المأمون قال له اما انت الذي وقفت لنا بالامس وشكوت رقة وان الزمان قد اناخ عليك بكلكله فدفعنا اليك هذه الصرة لتصلح بها حالك فقصدك الاصمعي ببيت واحد فدفعتها اليه قال نعم والله يا أمير المؤمنين ما كذبت فيا شكوت لامير المؤمنين من رقة الحال لكنني استحييت من الله تعالى ان أعيد قاصدي الا كما اعادني أمير المؤمنين فقال المأمون لله درك فما ولدت العرب اكرم منك ثم بالغ في اكرامه وجعله من

جملة ندمائه انتهى

ذكروا أنه كان في زمن سليمان بن عبد الملك رجل من بني
اسد يقال له خزيمة بن بشر بالرقة وكان له ثروة ونعمة حسنة وفضل
للاخوان فلم يزل على تلك الحال حتى فنى ماله وساء حاله فاحتاج الى
اصدقائه واخوانه الذي كان يتفضل عليهم فواسوه احياناً وملوه فلما
وأى تغيرهم عليه أتى امرأته وكانت ابنة عمه فقال لها يا ابنة العم قد
رأيت من اخواني تغيراً أعنى وقد عزمت على لزوم منزلي حتى يأتي
اليّ أجلي أو فرج الله سبحانه وتعالى فاغلق بابه وأقام يقوتهم مما بقى
عنده حتى نفد وكان عكرمة الفياض والياً على الجزيرة فبينما هو في
بعض الايام إذ جرى ذكر خزيمة وكان عنده عدة من أهل البلد فقال
عكرمة ما حاله فقيل في سوء الحال الى ان أغلق بابه ولزم منزله فقال
انا لله وإنا اليه راجعون اما وجد له مواس ولا مكاف قالوا لا فامسك
عكرمة على ما في نفسه فلما كان المساء عمد الى اربعة آلاف دينار
وجعلها في كيس وأمر باسراج دابته سراً من أهله وولده وركب ومعه
غلام من غلمانه يحمل الكيس ثم خرج فلم يزل سائراً حتى وقف
بباب خزيمة فاخذ الكيس من الغلام وأمره ان يتنحى عنه وقرع
الباب فخرج اليه خزيمة فناوله الكيس وقال اصلح بهذا شأنك
فرأى خزيمة كيساً ثقيلاً فوضعه بين يديه ثم تناول عنان دابته وقال
من انت جعلت فداك فقال له ما جئتك في هذه الساعة وانا أريد ان
تعرفني قال ما أقبلها أو تخبرني من انت فقال انا جابر عثرات الكرام

قال زدني قال لا ثم مضى ودخل خزيمة على امرأته وقال ابشري
فقد أتى الله بالفرج والخير وان كانت فلوساً فهي كثيرة اسرجي لنا
السراج فقالت لم يكن عندنا نار ولا سبيل الى السراج فبات يتلمسها
فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق لكثرتها ورجع عكرمة الى منزله
فوافي امرأته وكانت ابنة عمه أيضاً وقد انتبهت فسألت عنه فاخبرت
بركوبه منفرداً فشقت ثوبها ولطمت وجهها فلما نظر اليها غمه ذلك
وقال ما بالك يا ابنة عمي فقالت ياعكرمة غدرت بابنة عمك قال والله
ما فعلت فقالت أمير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفرداً ما
خرجت الا لزوجة أو لسرية قال ما خرجت الى واحد منهما قالت
فاخبرني ما الذى خرجت له قال ياهذه اني لم اخرج في هذا الوقت
وانا أريد ان يعلم بي أحد قالت لا بد قال وتكتمينه قالت افعل
فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله لخزيمة ورده عليه ثم
قال لها اتحبين ان أحلف لك على ذلك قالت لا فان قلبي قد اطمأن الى
ما ذكرت لى قال وأصبح خزيمة وأصلح حاله وحال الغرماء ثم تجهز
الى سليمان بن عبد الملك بفلسطين فلما وقف بباب داره دخل الحاجب
فاخبره بمكانه وكان مشهور المروءة والفضل فاذن له فلما سلم وكان
سليمان عارفاً به فقال ياخزيمة ما ابطأ بك عنا قال سوء الحال قال فما منعك
من النهضة الينا قال ضعفي عنها قال فبماذا نهضت الآن فاخبره بقصته
من أولها الى آخرها قال فهلا عرفته قال لا يا أمير المؤمنين وذلك انه
كان متنكراً قال فتلهف سليمان وقال والله لو عرفناه لأعناه على مروءته

ثم انه ولى خزيمة الجزيرة وعقد له بها وهي يومئذ بولاية عكرمة فلما دنا خزيمة من البلد خرج عكرمة للقائه والناس معه فلما سلم عليه سار الي موكبه ومضى خزيمة حتى دخل دار الامارة وأمر ان يؤخذ بعكرمة كفيلاً وامر بمحاسبته فوجد عليه فضولاً كثيرة فبعث اليه في ادائها فقال ما الى شيء منها سبيل ولا أجدها فقال خزيمة لا بد منها فقال ما هي عندي فاصنع ما انت صانع فامر به فكبل في الحديد واقام شهراً حتى اضناه القيد وبلغ امرأة عكرمة الخبر وان الوالي هو خزيمة فضاق صدرها فدعت مولاة لها ذات عقل وقالت اذهبي الى باب هذا الامير واستأذني عليه وقولي عندي نصيحة وما أحب ان يسمعها غيرك فاذا خلوت به قولي له ما هذا جزاء جابر عثرات الكرام وانت تكافئه بالحبس والحديد فلما قالت له ذلك قال خزيمة واسوأتاه وانه لهو قالت نعم ثم وثب وامر بدابته فاسرجت وبعث الى وجوه أهل البلد فجمعهم وخرج بهم الى السجن فلما رآه السجان قام مذعوراً فقال له افتح ففتح ودخل هو ومن معه فالفى عكرمة في قاعة السجن متغيراً قد اضناه القيد والحبس فلما نظر الى خزيمة والى من معه احتشم ونكس رأسه فاقبل خزيمة واكب على رأسه يقبله فرفع رأسه اليه وقال ما أوجب ذلك قال كرم فعالك وسوء مكافاتي قال يغفر الله لنا ولك قال وأتى بالحداد وفك قيوده وامر خزيمة بوضع القيد في رجله فقال عكرمة فماذا تريد قال أريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك من الحبس والضيق والقيد قال فآلى

عليه ان لا يفعل ثم خرجا جميعاً وقد أوقفت لهما دابتان بباب الحبس وركب وخرج الناس معهما حتى وافيا باب خزيمة فتكر له عكرمة وأراد الانصراف فقال خزيمة ما انت ببارح مني ودخل به قصره فقال له ما تريد قال أريد ان أغير ما ظهر بك من الحبس وحيائي من ابنة عمك اشد من حيائي منك فاس به الى الحمام واصلح ذاته وادخلا الحمام جميعاً وقام خزيمة اليه بنفسه ولم يول امره أحداً غيره ثم خرجا الى المنزل واكلا ثم دعي خزيمة باحسن ثيابه وافره دوابه وأفصح خدمه فدفع ذلك الى عكرمة واستأذنه بالسلام على ابنة عمه واعتذر اليها فقبلت عذره وجزته خيراً بما فعله ثم سأله خزيمة ان يسير معه الى سليمان بن عبد الملك فسارا جميعاً حتى قدما على سليمان بالرقة فلما دخل الحاجب على سليمان واعلمه بقدوم خزيمة راعه ذلك وقال والى الجزيرة يقدم بغير امرنا ما هذا الا لأمر عظيم فلما دخل عليه قال له سليمان قبل ان يسلم عليه ما وراءك قال خير يا أمير المؤمنين ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان أبشرك لما رأيت من تلهفك عليه قال ومن هو قال عكرمة الفياض قال وماكان من خبره فقص عليه امره واذن لعكرمة فدخل وسلم عليه ورحب به وادنى مجلسه وقال ياعكرمة ادفع حوائجك كلها فقال اعذرني يا أمير المؤمنين قال لا بد ثم دعا بدواة وقرطاس وقال قم واثبت حوائجك كلها فأثبتها ثم أُتي بالرقعة فامر بانفاذها من ساعته وامر له بعشرة آلاف دينار ثم دعا بقناة فعقد له على الجزيرة وارمينية واذربيجان وقال امر خزيمة اليك ان

شئت فاعزله وان شئت فاتركه قال بل اتركه ياأمير المؤمنين على عمله ثم انصرفا جميعاً ولا يزالا عاملين له مدة حياة سليمان بن عبد الملك انتهى

(ولما) حبس الحجاج بن يوسف يزيد بن المهلب لبقايا كانت عليه من خراج خراسان واقسم ليستأدى منه كل يوم مائة ألف درهم فبينا هو يوماً وقد اختلى فيه إذ دخل عليه الاخطل فانشده

أبا خالد ضاعت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين تريد
وما قطرت بالري بعدك قطرة ولا أخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرير بعد ملكك بهجة ولا لجواد بعد جودك جود

فقال ياغلام أعطه المائة ألف درهم وأنا اصبر على عذاب الحجاج ولا تخيب الاخطل فبلغ الحجاج فقال لله در ابن المهلب لو كان تاركاً للسخاء لتركه وهو يتوقع الموت فعفى عنه وخلى سبيله

(وروى) عن سعيد بن العاص وقد قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفان رضي الله عنه وكان بالكوفة رجلاً من القراء يتشاعنده وقد ساءت حاله فقالت له امرأته ويحك انه بلغنا عن أمير ناهذا انه كريم فاذكر حالك لعله ينيلنا شيئاً فلم يبق الصبر فينا بقية فقال ويحك لا تخلقي وجهي قالت فاذكر له ما نحن فيه من سوء الحال قال فلما كان وقت العشاء اكل عنده فلما أنصرف الناس قعد الرجل فقال له سعيد أظن جلوسك لحاجة فاذكرها فخجل الرجل فقال سعيد لغلمانه تنحو ثم قال للرجل انما بقي انا وانت فاذكر حاجتك فتمقد وتمسر فنفخ سعيد المصباح

فاطفأه ثم قال لست ترى وجهي فاذكر حاجتك فقال اصلح الله الامير اصابتنا حاجة فاحببت ذكرها لك وسكت فقال له سعيد اذا أصبحت فالق وكيلي فلان فلما أصبح الرجل لقي الوكيل فقال له الوكيل ان الامير قد أمر لك بشيء فاطلب من يحمله معك فقال ما عندي من يحمله وانصرف الى امرأته وجعل يلومها وقال لها قال لي وكيله إئتي بمن يحمله معك وما أظنه الا أمر لي بتمر أو شعير أو بر وذهب ماء وجهي ولو كانت دراهم أو دنانير أعطيتها بيدي فلما كان بعد ايام قالت له امرأته ياهذا قد بلغ بنا الامر الى ما ترى ومهما أعطاك الامير تقوتنا به اياماً فالق وكيله قال فلقي الوكيل فقال له اني كنت اخبرت الامير ان ليس معك من يحمل ما امر به فامرني ان اوجه معك بما امرني به لكنى لم أعرف منزلك ثم أخرج ثلاثة من السودان على رأس كل واحد منهم بدرة وقال امضوا معه الى منزله فلما بلغ الرجل باب منزله فتح بدرة واخرج منها دراهم ودفعها الى السودان وقال انصرفوا قالوا الى أين نحن عبيدك انه ما حمل مملوك للامير هدية الى احد فرجع المملوك الى ملكه قط قال فصلحت احوال الرجل واستظهر على دنياه انتهى

(قيـل) ان اعرابياً صاحب محمد بن معن بن زائدة الشيباني وانهما خرجا يطوفان في الآفاق لطلب الارزاق فلما قصر عليهما القوت وكانا يأويان الى المساجد والمصاطب ويقتنعان باليسير من المطاعم والمشارب وكان لباس محمد بن معن فروة مروزية قبيحة المنظر والصورة وكان

لباس الاعرابي عباءة قصيرة منهد فوقها بحصيرة فاقاما على ذلك اياماً
فخن كل واحد منهما الى وطنه فنال محمد بن معن منزلة أبيه في العلو
والشرف والرفعة والسمو وهو الذي يقول فيه الشاعر

معن بن زائدة الذي زادت به   شرفاً على شرف بنو شيبان

فلما استوى سلطانه وارتفع مكانه وأشتهر ذكره وعظم امره
وعلت كلمته سمع الاعرابي بخبره فقصده فلما وصل الى بابه نزل على
راحلته واستأذن بالدخول فدخل فوجد محمد بن معن قاعداً على
سرير ملكه فسلم وانشد

اتذكر ان لباسك جلد شاة   واذ نعلاك من جلد البعير

قال اذكر ذلك يا أخا العرب فقال الاعرابي

وتأوي كل مصطبة وسوق   بلا عبد لديك ولا وزير

قال ما أنسيت ذلك يا أخا العرب فقال الاعرابي

وفي يمناك عكاز قوي   تدوس به الكلاب مع الحرير

قال ما خفي عليك خبرها اذ هي كعصى موسى فقال الاعرابي

فسبحان الذي اعطاك ملكا   وعلمك الجلوس على السرير

قال بفضل الله سبحانه لا بفضلك فقال الاعرابي

فلا آتي بلاداً أنت فيها   ولو حزت الشآم مع الثغور

قال قد ملكناها يا اعرابي فاختر لنفسك موضعاً نضمك فيه فقال
الاعرابي

فر لي يابن معن باعتجال   فاني قد عزمت على المسير

فأمر له بألف دينار. فقال الاعرابي

قليل ما أمرت به واني   لاطمع منك بالشئ الكثير

فأمر له بألف أخرى فقال الاعرابي

فلك إذ ملكت الارض طرا   بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بألف أخرى فقال الاعرابي

ولا أدب كسبت به المعالي   ولا خلق ولا رأى منير

فأمر له بألف أخرى فقال الاعرابي

فنك الجود والإفضال حقاً   وجوديديك كالبحر الغدير

فقال محمد اضعفوا له العطايا فاعطوه أربعة آلاف أخرى لاجل المدح والاولى لاجل الهجاء فقال الاعرابي فانصرفت بالمال العظيم والغنى الجسيم وانا أردد الآية قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الآية انتهى

(ذكروا) أن قوماً من العرب توافقوا ليقصدوا طلحة الطلحات بسجستان فروا في طريقهم بعجوز من العرب فقالت أين تريدون قالوا نريد الجواد طلحة الطلحات بسجستان فنجحت لهم شاة لا تملك غيرها فعجبوا لكرمها فلما ارتحلوا من عندها قالوا يا عجوز الك حاجة قالت تحسنون الثواب في أمري وتحملون لى رقعة الى طلحة الطلحات مختومة على أنها أمانة عندكم لاتفكونها ولا تقفون على ما فيها قالوا نعم فاعطتهم رقعة مختومة وقد كتبت فيها وهى تقول

ايها المانح دلوى دونك   انى سمعت الناس يحمدونك

يثنون خيراً ويجحدونك ارجوك الخير الذي يرجونك

قال فلما بلغوا طلحة الطلحات ابرهم واكرمهم وكساهم فقالوا أيها الامير معنا رقعة مختومة وهي امانة لعجوز من العرب واخذت علينا الا نفكها حتى نوصلها اليك فأخذها فلما قرأها قال مارأيت أعجب من أمر هذه العجوز انها التمست جبنة من جبن سجستان فهل تحملونها اليها قالوا نعم قال فعودوا اذا عزمتم على الرحيل ثم أخذ جبنة كبيرة وقورها وصب فيها الف دينار ثم وضعها في جراب وختم عليها وقال هذه الجبنة والجزاء أماتي معكم كما كانت امانة العجوز لاتفتحوها ولا تفتنوا عليها حتى توصلوها الى العجوز وكتب اليها في الجواب

ما آتها فيضاً يفيض فيضا فلن تخافي ما بقيت هيضا

خذي اليك ثم عودي أيضاً

(ومن نوادر حاتم الطائي) انه مر بأرض غير أرضه فناداه أسير ياحاتم اكلني الاسار والقمل فقال ماأنا بأرض قومي وقدأخطأت اذ نوهت باسمي ولا معي ما أفديك به ثم قال للذي هو في يده خل سبيله واجعلني في القيد مكانه حتى آتيك بما افتدي به ففعل وبعث حاتم الى قومه فأتوه بمال فافتدى به عن نفسه اه

(روى ان ثلاث رجال) تلاحوا بفناء الكعبة فقال أحدهم أسخى الناس عبدالله بن جعفر وقال الآخر قيس بن سعد بن عبادة وقال الآخر عرابة الاوسي وكثر كلامهم في ذلك فقال لهم رجل ليمض كل واحد منكم الى صاحبه ويسأله حتى ننظر مايعطيه ونحكم على العيان

فقام صاحب عبدالله فصادفه قد وضع رجله في الركاب لزيد السفر فقال يا ابن عم رسول الله قال قل قال ابن سبيل ومنقطع فثنى رجله وقال خذ الناقة بما عليها ولا تخدعن في السيف فانه من سيوف على ابن ابي طالب كرم الله وجهه فجاء بالناقة عليها مطرف خز واربعة آلاف دينار واعظمها السيف ومشى الآخر الى قيس بن سعد بن عبادة فوجده نائماً فقال خادمه هو نائم فما حاجتك قال ابن سبيل ومنقطع به قال حاجتك أيسر من ايقاظه هذا كيس فيه سبعمائة دينار وما في دار قيس سواها وامض الى معاطن الابل بعلامة الى من فيها وخذ راحلة وعبداً وامض الى اهلك فقيل ان قيساً انتبه فأعلمه الخادم بما صنع فقال لما لا ايقظتني حتى كنت ازيده ومضى صاحب عرابة فالفاه قد خرج من منزله يريد الصلاة وهو متكئ على عبدين وقد كف بصره فقال يا عرابة قال قل قال ابن سبيل ومنقطع به فخلى عن العبدين وصفق بيده فقال أواه أواه ما تركت الحقوق لعرابة مالا خذ العبدين فقال ما كنت لاقص جناحيك قال ان لم تأخذهما فهما حران فان شئت فخذ وان شئت فاعتق وتركهما واقبل عرابة يلتمس الحائط بيده فاجمع الحاضرون ان عرابة أسخى الثلاثة لانه جهد من مقل وان الغير أعطى من فضل وسعة انتهى

(قيل) دخل اعرابي على خالد بن عبد الله القسري فقال

أخالد اني لم أزرك لحاجة ... سوى انني عاف وانت جواد

أخالد بين الحمد والاجر حاجتي ... فايهما تأتي فانت عماد

فقال خالد ما حاجتك قال مائة الف درهم قال خالد اسرفت فاحططنا منها قال حططتك منها الفاً قال خالد ما اعجب ماسألت وما حططت قال لاتعجب سألتك على قدرك وحططت على قدري فاعطاه ما طلب (وسأل) رجل اسد بن عبد الله فقال انى ما أتيتك لحاجة ولكنى رأيتك تحب من أعطيت فاحببت أن تحبنى فاعطاه عشرة آلاف درهم (وكتب) ابن طاهر الى اسماعيل رقعة يذكر فيها اختلال حاله وفى آخر الرقعة هذه الابيات

يا سيداً لى لم يزل غيثاً لكل مؤمليه
ان كنت أملك درهماً فكفرت بالمنقوش فيه

فبعث اليه ثلاثة آلاف دينار

(ومثل) بين يدي خالد بن عبد الله اعرابي فانشد

اني غلام لم أزل فقيرا اكفل أماً وأباً كبيرا
وقد أتيت مادحاً أميرا اطلب شيئاً نافعاً يسيرا
ان انت قد وهبتني بعيرا أو صلة كنت بها جديرا
تشكرك أمى وأبي كثيرا وندعوَ الله لك القديرا
ان لا تزال سيداً أميرا

فاستحسن كلامه وامر له ببعير فلما قبضه قام بين يديه وانشد

هل لك ان توقره طعاما تحيى به الشيخين والغلاما
وصبية من أهلنا يتاما

فقال له خالد والله ما انصفناك ولا أعطيناك ما تستحقه ثم أمر له

بخمسين بعيراً موقرة طعاماً وقال اقسم الطعام علي ما ذكرت وخذ الابل لنفسك انتهى

(ودخل) كثير عزة على طلحة الطلحات عائداً فقعد عنده رأسه فلم يكلمه لشدة ما به فاطرق ملياً ثم التفت الى جلسائه فقال • لقد كان بحراً زاخراً • وغيثاً ماطراً • ولقد كان هطل السحاب • حلو الخطاب • قريب الميعاد • صعب القياد • ان سئل جاد • وان ابتلى صبر • وان فوخر فخر • وان صارع بدر•وان جنى عليه غفر• سليط البنان • جرى الجنان • ذو الشرف القديم•والفرع الكريم•ذو والحسب الصميم • يبذل عطاياه • ويرفد جلساه •ويرهب اعداه • ففتح طلحة عينيه وقال ويلك يا كثير ما تقول فقال

يا ابن السماحة من خزاعة والذي أس المكارم وارتدى بنجاد
حلت سماحتك الوفود من الورى فكأنما كانوا على ميعاد
لتعود سيدنا وسيد غيرنا ليت التشكي كان بالعواد

فاستوى جالساً وأمر له بمائة من الابل وقال هي لك ان عشت فى كل سنة انتهى

(ولما) وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم مدحه بقصيدته التي يقول فيها

يا واحد العرب الذي أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك واحد ما كان فى الدنيا فقير

فدعا بخادمه وقال كم تحت يدك قال الفى دينار قال ادفعها له ثم التفت

اليه وقال العذر لك لو كان ثم أكثر لدفعته انتهى

(وقدم) على يزيد بن المهلب رجل من قضاعة فقال

مالي أرى ابوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الاسواق
أرجوك أم خافوك أم ساموا الذى بيديك فاجتمعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقاً والمكرمات قليلة العشاق

فامر له بألف دينار فلما كان في العام المقبل اتى اليه فانشده

والله ما ندري اذا ما فضنا طلب اليك من الذى نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحد سواك الي المكارم ينسب

فامر له بألف دينار وقال نحن صابرون على عادتك فعد متى شئت انتهى

(ولازم) بعض ابناء ملوك العجم باب كسرى دهراً فلم يؤذن له فتلطف بالحاجب فى ايصال رقعة فيها اربعة اسطر ٠٠الاول الامل والضرورة اقدمانى عليك ٠٠الثانى القل والعدم لا صبر لصاحبهما عن الطلب ٠٠ الثالث اما انم مربحة أو لا مربحة٠٠ الرابع اعلم أيها الملك أن الرجوع الي الاهل بلا قضاء حاجة شماتة الاعداء فوقع له اما الضرورة والامل فستغنيك عنهما واما القل والعدم فستغنيهما عنك واما الرجوع الى الاهل بلا حاجة شماتة الاعداء فالشماتة بنا أعظم اذا رجع قاصدنا خائباً وامر له بما شاء من خيل وإبل وذهب وفضة وأخذ عليه عهداً متى نفذ عطاؤك تعد الينا والسلام

(قدم) شاعر على أبى دلف قاسم بن عيسى العجلى فاقام ببابه مدة لا يصل اليه فكتب اليه في رقعة هذه الابيات

ماذا أقول اذا سئلت وقيل لي　ماذا لقيت من الجواد الافضل
إن قلت اعطاني كذبت وان أقل　بخل الجواد بماله لم يجمل
ولانت اعلم بالمكارم والعلى　ممن يقول فقلت ما لم تفعل
فاختر لنفسك ما أقول فانني　لا بد أعلمهم وان لم اسأل

ودفعها للحاجب فلما وقف عليها أبو دلف اجرى له عن كل يوم قامه الف درهم وكتب خلف الرقعة

عاجلتنا فاتاك عاجل برنا　نزراً ولو امهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل　ونكون نحن كأننا لم نسئل

(وقصد) الحكم بن عبدان الشامي اسماء بن خارجة فانشده

أغفيت قبل الصبح نوم مسهد　في ساعة ما كنت من نوامها
فرأيت انك رعتني بوليدة　مغناجة حسن لدى قوامها
وببدرة حملت لدي وبغلة　شهباء ناجية تصك لجامها
فسألت ربي ان يثيبك جنة　عوض يصيبك بردها وسكامها

فقال له أصبت عندنا كل شيء الا البغلة فانها دهماء فقال أذكرني أيها الامير فاني مارأيتها الا دهماء فضحك وأمر له بكل شيء سأله انتهى

(ونظيرها) ما حكي ان بعض الظرفاء قصد عيسى بن الشيخ بامر فأنشده

رأيتك في المنام خلعت خزاً　عليّ بنفسجي وقضيت ديني
فصدق لي فداك أبي وأمي　مقالا في المنام رأته عيني

فقال اعرض كل ما في الخزائن من الخز فعرضه فوجد فيه سبعين

شقة بنفسجية فدفعها اليه وقال كم دينك قال عشرة آلاف فأعطاه عشرين ألفا وقال لا تعد ترى مناما آخر انتهى

(ونظيرها) ما حكاه أبو العيناء قال وقف اعرابى بباب المأمون وأنشد

اني رأيتك في منامي سيدي   يابن الامام على الجواد اللاحق

فكسوتني حللاً ظرائف حسنها   يزهو على حسن الكميت السابق

فقال المأمون أعطوه خلعة وفرساً فقال

واجزتني بخريطة مملوءة   ذهباً وأخرى بالجين الفائق

فقال اعطوه الف دينار والف درهم في خريطة فقال

وحبوتني بمليحة ورومية   حسناء تشفع بالغلام الفائق

فقال اعطوه جارية وغلاماً ويا اعرابي انك ان ترى مثل هذا المنام ربما لم تجد من يفسره لك

(وقيل) كان ابو مزيد أحد الكرماء مدحه بعض الشعراء فقال للشاعر والله ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني للقاضي وادعى عليّ بعشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني محبوساً ففعل ذلك فلم يمس حتى دفعت اليه العشرة آلاف درهم وأخرج من الحبس

(وقيل) اعترض الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي في وقت خروجه الى خراسان فتى من التجار كان شخص الى الكوفة فقطع به وأخذ جميع ما كان معه فاخذ بعنان دابة الفضل وقال

سأرسل بيتا ليس في الشعر مثله   يقطع اعناق البيوت الشوارد

اقام الندا والبأس في كل منزل اقام بالفضل بن يحيى بن خالد

قال فامر له بمائة الف درهم انتهى (ودخل اسحاق بن ابراهيم) الموصلى على هارون الرشيد فقال مالك قال هذه الابيات

سوامي سوام المكثرين تجملا ومالي كما قد تعلمين قليل
وآمرة بالبخل قلت لها اقصري فذلك شيء ما اليه سبيل
وكيف اخاف الفقر واحترم الغنا ورأى أمير المؤمنين جميل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلا في العالمين خليل

فقال الرشيد هذا والله الشعر الذى صحت معانيه وقويت اركانه ومبانيه ولذ على افواه القائلين واسماع السامعين ياغلام أعطه خمسين الف درهم انتهى والله أعلم

﴿ الباب التاسع ﴾

(فى ذكر قطع متفرقة من الشعر وفيه فصول)

الفصل الاول في الغزل .. فمن ذلك ما استحسن من شعر بدر الدين الدماميني وهو

سل سيفاً من الجفون صقيلا مذ تصدى الىَّ رحت قتيلا
صح عن جفنه حديث فتور وهو مازال من قديم عليلا
مذ بدا لنا من الخصر ردفاً فارانا مع الخفيف ثقيلا
ذو قوام كأنه الغصن لكن بالهوى نحو وصلنا لن يميلا
كامل الحسن وافر ظل وجدي فيه ياعاذلي شديداً طويلا
فاتر الجفن ذو جمال كثير اتلف العاشقين الا قليلا

قلت إذ لاح طرفه ولماه ... قاتر الحظ بكرة وأصيلا
كيف حالى وهل لصب اليه ... من سبيل فقال لى سلسبيلا

﴿ بهاء الدين زهير ﴾

يعاهدني لاخانني ثم ينكث ... واحلف لاكلمته ثم احنث
وذلك دأبي لا يزال ودأبه ... فيامعشر الناس اسمعوا وتحدثوا
اقول له صلني يقول نعم غدا ... ويكسر جفنا هازئا بي ثم يعبث
امولاى اني فى هواك معذب ... وحتى ما ابقى فى العذاب وامكث
نخذ مرة روحي ترحني ولم اكن ... اموت فى النهار مرارا وأبعث
فانى لهذا الضيم منك لحامل ... ومنتظر لطفا من الله يحدث
اعيذك من هذا الصدود الذى بدا ... خلائقك الحسنى ارق وادمث
تردد ظن الناس فينا واكثروا ... اقاويل منها مايطيب ويخبث

﴿ وله أيضاً ﴾

حبيبي ماهذا الجفا الذى أرى ... وأين التقاضى بيننا والتعطف
لك اليوم أمر لا اشك يريبنى ... فاوجهك الوجه الذي كنت أعرف
نعم نقل الواشون عنى باطلا ... فلت لما قالوا فزادوا وأسرفوا
كأنك قد صدقت فينا حديثهم ... وحاشاك من هذا لخلقك أشرف
وقد كان قول الناس فى الناس قبلنا ... فكذب يعقوب وسرق يوسف
بعيشك قل لى ماالذى قد صنعته ... فانك تدرى ماأقول وتنصف
فان كان قولا صح انى قلته ... فللقول تأويل وللقول مصرف
وهب أنه قول من الله منزل ... فقدبدلوا التوراة قوم وحرفوا

وها أنا والواشي وانت جميعنا يكون لنا يوم عظيم وموقف

﴿ للصفي الحلي ﴾

شكرت الهى إذ بلا من أحبه بعشق مليح في الهوى ليس ينصف
بجرعة أضعاف ما بي من الاسى وبخله بالهجر منـه ويتلف
فاورده ما ورد الناس في الهوى واسلفه الوجد الذي كان يسلف
فأصبح مسلوباً وقد كان سالباً ففي الحزن يعقوب وفي الحسن يوسف

﴿ ابن عنين ﴾

ماذا على طيف الاحبة لو سري وعليهم لو ساعونى في الكرى
جنحوا الى قول الوشاة واعرضوا والله يعلم ان ذلك مفترى
يامعرضـاً عني بغير جناية الا لما وشق العذول وزورا
هبنى أسأت كما تقول وافترى وأتيت في حبيك أمراً منكرا
مابعد بعدك والصدود عقوبة ياهاجرى هل آن لى ان تغفرا
لاتجمعن علىّ عتبك والنوى حسب المحب عقوبة ان يهجرا
اشكو اليك نوي تمادى عمرها حتي حسبت اليوم منه أشهرا
لاعيشتى تصفو ولا رسم الهوي يعفو ولاجفنى يصافحه الكرى

﴿ غيره ﴾

لو ان قلبك لى يرق ويرحم مابت من الم الهوي اتألم
ومن العجائب انني لاسهم لى من ناظريك وفي فؤادى أسهم
ياجامع الضدين فى وجناته ماء يرق عليـه نار تضرم

عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل فعلي م يكسر عند ما يتكلم
ومن المروءة ان تواصل مدنفاً والدهر سمح والحوادث نوم

﴿ للصفي الحلي ﴾

عبث النسيم بقده فتأودا وسرى الحياء بخده فتوردا
رشأ تفرد فيه قلبي بالهوى لما غدا بجماله متفردا
قاسوك بالغصن الرطيب جهالة تالله قد ظلم المشبه واعتدى
حسن الغصون اذا اكتست اوراقها ونراك احسن ماتكون مجردا

(ابن صابر)

قبلت وجنته فالفت جيده خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره عرق يحاكي الطل فوق الآس
وكأنني استقطرت ورد خدوده بتصاعد الزفرات من انفاس

(ابن الساعاتي)

بكت للفراق وقد راعها بكاء المحب لبعد الديار
كأن الدموع على خدها بقية طل على جلنار

(الواوا الدمشقي)

قالت متى البين يا هـذا فقلت لها إما غداً زعموا أو لا فبعد غد
فامطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(وله أيضاً)

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجر ان تتلفه

وان تبسم قولا عن ملاطفة　　ما ضرلو بوصال منك تسعفه

وان بدا لمكان وجهه غضب　　فقالطاه وقولا لسنا نعرفه

(أخذه القائل فضمنه دوبيت في المعنى)

باللطف اذا لقيت من اهواه　　عاتبه وقل له الذى القاه

ان اغضبه الوصال غالطه به　　أو رق فقل عبدك لا تنساه

(غيره)

أى مرتحلاً • الى الحما مصرفه　　بالله عليك • خذ بمعك كتاب

لي ثم رشا • عساك تستعطفه　　ان هان عليك • فى رد جواب

ان عرض بى • فقل له أعرفه　　مشتاق اليك • قد رق وذاب

لا يتركه هوا • ك بل يتلفه　　والامر اليك • ما الهجر صواب

(وقال آخر)

ألا يانسيم الريح بلغ رسالتى　　سليمى وعرض بى كانك مازح

فان أعرضت عنى فوه مغالطاً　　بغيرى وقل ناحت بذاك النوائح

(وللصفدي فى المعنى)

ويارسولى اليهم صف لهم أرقى　　وان طرفي لضيف الطيف مرتقب

واسأل مواهبهم للعين بعد كرى　　عساهم يهبوا لى بعض ما نهبوا

وألطف القول لا تسأم مراجعة　　وأشكو الهوى والنوى قد ينجح الطلب

عرض بذكرى فان قالوا أتعرفه　　فاستثل لى الوصل وانكرنى اذا غضبوا

(المظفر بن عمر الآمدي)

قل للذي قد جفونى اذ بهجت بهم　　دون الانام وخير القول أصدقه

أحبكم وهلاكي في محبتكم   كعابد النار يهواها وتحرقه

(غيره)

قد كنت اسمع بالهوى واكذب   من كان يتّهم الهوى ويجرب
حتى بلوت بحلوه وبمره   وأرى المحب وما يقول فاعجب

(غيره)

ياذا الذي فتن الانام بحسنه   أغمض لحاظك قد قتلت بها الورى
وأمر جفوني من جفونك نومة   ما في المروءة ان تنام واسهرا

(غيره)

قد قلت اذ لحظته عيني مرة   فاحمر من خجل وفرط تترف
عيني التي غرست بخدك وردة   من ذا يقول لغارس لا تقطف
ياسافكاً دمي الحرام بطرفه   أو ما تخاف الله يوم الموقف
أرويته عن مالك أوجدته   في مسند اقرأته في مصحف

(غيره)

لقد ضاق في صدري فان كنت لاتدري
سـل الدمع عن عيني يخبرك عن سري

على حرق امسي وفي غرق محي   فقلبي على جمر وعيني في بحر
فلي مقلة عبرى ولي وجنة ريا   ولي شفة عطشى الى ذلك الثغر
الى الكوكب الدري الى القمر البدري   الى غرة زهرا الى الغصن النضر

(العماد الكاتب)

ابصرني مبليلا   من الغرام ممتحن   فقال من قتله   قلت له قاتل من

(اخذه من قول الاول وهو مشهور)

قالت لترب معها منكرة　　لوقفتي هذا الفتى نراه من

قلت فتى يشكو الهوى متيما　　قالت بمن قالت بمن قالت بمن

﴿ الفصل الثاني في وصف الفوا كه ﴾

فمن ذلك قول ابن المعتز في النارنج

أنظر الى منظر يسبيك رونقه　　بحسنه في البرايا يضرب المثل

نار تلوح على الاغصان في شجر　　لا النار تخبو ولا اشجار تحترق

(ابن وكيع في المشمش)

بدى مشمش الاسحار يذكو شهابه　　على خضر اغصان من الريح ميد

حكى وحكت اشجاره في اخضرارها　　جلا جل تبر في قباء زبرجد

(لبعضهم في الاترج)

اترجة مسكية ذهبية　　تهدي نسيم المسك للمستنشق

وكأنها كف يضم أناملا　　سبطا لتدخل في سوار ضيق

(ظافر الحداد في تفاح)

تفاحة محمرة قد بدت　　تميلها الريح على الغصن

كأنها خدان قد جمعا　　يلوح فيها طالع الحسن

(ابن رشيق فيه أيضاً)

وتفاحة من كف ظبي اخذتها　　جناها من الغصن الذي مثل قده

بها لين عطفيه وطيب نسيمه　　وطعم لماه ثم حمرة خده

(وليعضهم في الكمثرى)

حبي بكمثراية لونها لون محب زائد الصفره
تشبها البكر إن اقعدت وهي لها ان قلبت سره

(فيه أيضاً)

لله روض وبستان شربت به صفراء كالتبر أو حمراء كالشفق
تمسي الرياح بكمثراء مائلة كأنها سفرة مجموعة الحلق

(ابن فلاقس في البطيخ)

اتانا الغلام ببطيخة وسكينة قد أجيدت صقالا
فقطع بالبرق برق الدجا وناول كلا هلالا هلالا

(احمد الشنطوفي في النخل)

كأن النخيل الباسقات وقد بدت لناظرها حسناً قباب زبرجد
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بامراس عسجد

(كشاجم في الرمان)

ولاح رمانها فزينهـا بين صحيح و بين مفتوت
من كل مصفرة مزعفرة تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت فصرة في فصوص ياقوت

(الصنوبري في السفرجل)

لك في السفرجل منظر تحظى به وتفوز منه بشمه ومذاقه
كالشكل من اعلاه يحكي سفله ثدي الكعاب الى مدار نطاقه
والشكل من سفلاه يحكي سرة من شادن يزهو على عشاقه

(الطغرائي فيه)

وسفرجل على المصيف بحفظه   فكساه قبل البرد خزا اغبرا
يحكي نهود الغانيات وتحته   سرر لهن حشين مسكا اذفرا

(لبعضهم في التين)

اهلا بتين جاءنا   مشتملا على طبق
كسفرة مضمومة   قد جمعت بلا حلق

(ابن الرومي في العنب)

كان الرازقي وقد تناهى   وتاهت بالعناقيد الكروم
قوارير بماء الورد ملأى   تشف ولؤلؤ فيها يعوم
فكل مجمع له الثريا   وكل مفرق منه النجوم

(ظافر الحداد في الموز)

كأنما الموز الذي   قد جاءنا بالعنب
أنياب افيال صغار   قد طليت بالذهب

(لبعضهم في البندق)

أنما البندق اللذيذ لمعتق   خلته وهو ناظر ذو ابتهاج
حب در ملفف في حرير   احمر ضمنوه احقاق عاج

(لبعضهم في الجوز)

اشرب على خضر الرياض مدامة   تحلو مرارتها بها وتسوغ
والجوز مقشور يفوق كأنه   لونا وشكلا مصطكى ممضوغ

(غيره في الفستق)

كأنما الفستق المملوح حين بدا   مفتح القشر موضوعاً على طبق
وقد بدا لبه للعين السنة   للطير عطشى بها شئ من الرمق

(ابن القيسراني في قصب السكر)

نزلنا على القصب السكري   نزول رجال يريدون نهبه
بحز كحز رقاب العدى   ومص كمص شفاه الاحبه

(ابن رافع الاندلسي في القرع)

وقرع تبدى للعيون كأنه   خراطيم افيال لطخن بجزار

(وله في الجوز)

انظر الى الجوز البديع كأنه   في حسنه قصب من المرجان
أوراقه كزبر جد في لونها   وقلوبه صيغت من العقيان

(لبعضهم في الثوم)

يا حبذا ثومة في كف طاهية   بديعة الحسن تسبي كل من نظرا
أبصرتها وهي من عجب تقلبها   من صرة ديبقي قد حوت دررا

﴿ الفصل الثالث في وصف الازهار ﴾

(قال ابن المعتز يصف الورد)

وردة في بنان معطار   حيا بها في خفي اسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد   نقطها عاشق بدينار

(ابن خطيب داريا فيه)

انظروا الى الورد ما أحلى شمائله   سبحان خالقه من يابس الحطب
كأنه وجنة المحبوب نقطها   كف المحب بدينار من الذهب

(ابن المعتز فيه)

وترى الغصون تميل في أوراقها مثل الوصائف في صنوف حرير
والورد في خضر القموع كأنه حمر الخدود بخضرة التعذير

(الشريف الرضي)

كم وردة تحكي بسبق الورد طليعة تسرعت من جند
قد ضمها الغصن بفرط البرد ضم فم لقبلة من بعد

(ابن العفيف)

قامت حروب الزهر ما بين الرياض السندسيه
وأتت باجمها لتغزوا روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لأن الورد شوكته قويه

(محي الدين بن نعيم في الورد قبل انفتاحه)

سبقت اليك من الحدائق وردة جاءتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت فمها اليك كطالب تقبيلا

(الخالدي في النرجس)

ابحت النرجس البلدي ودي ومالي باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق وأني أرى التفضيل بينهما حماقه
هما في عسكر الازهار هذا مقدمة يسير وذاك ساقه

(أبو نواس فيه)

تأمل في نبات الارض وانظر الى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين فاترات باحداق كا الذهب السبيك
على قصب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك
وان محمداً عبداً رسولا الى الثقلين أرسله المليك

(القاضي الفاضل في زهر النارنج)

نديمي هبا قد قضا النجم نحبه وهب نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد ازهر النارنج ازرار فضة تزرعلى الازهار أوراقها الخضرا

(ابن تميم في زهر اللوز مضمناً)

ازهر اللوز أنت لكل زهر من الازهار تأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى كأنك في فم الدنيا ابتسام

(البدر الذهبي فيه)

ما نظرت مقلتي عجيباً كاللوز لما بدا عذاره
اشتعل الرأس منه شيباً واخضر من بعد ذاك عذاره

(ابن عبد الظاهر في الياسمين)

وياسمين قد بدت اشجاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

(وقال آخر فيه قبل افتتاحه)

خليلي هبا ينقضي الدهر غنكا وقوما الى روض وكاس رحيق
فقد لاح زهر الياسمين منوراً كأقراط در قمعت بعقيق

(ابن العفيف في البان)

تبسم زهر البان عن طيب نشره واقبل في وصف يجل عن الوصف
هلموا اليه بعد قصف ولذة فان غصون البان تصلح للقصف

(وقال آخر)

او ما ترى البان الذى يزهو على كل الغصون بقده المياس
وافى يبشر بالربيع وقربه يختال فى النسجات والبرطاس

(وقال آخر فيه)

قد اقبل الصيف وولى الشتا وعن قليل تأم الحرا
اما ترى البان باغصانه قد قلب الفرو الى برا

(ابن تميم في المنثور)

وقد قلت للمنثور انى مفضل على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولى وزاد اصفراره وفتح كفيه وأومى الى وجهى

(فى السوسن الاصفر)

انظر الى السوسن فى نباته فانه نبت عجيب المنظر
كأنه ملاعق من ذهب قد خط فيها نقط من عنبر

(فى السوسن الابيض)

وسوسن راق مرآه ومخبره وجل فى أعين النظار منظره
كأنه أكؤس البلور قد صنعت مسدسات تعالى الله مظهره
رؤسها ألسن قد طوقت ذهبا من ثنها قائم بالملك تؤثره

(ابن وكيع في الريحان)

وصعترى ارق من أرجل النمـ ل واذكى من نفحة الزعفران
كسطور كتبن نقطاً وشكلا من يد كاتب ظريف البيان

(ظافر الحداد فى الاقحوان)

انظر قد ابدى الاقاحي مبسما ضحكا يدر في قدود زبرجد
كفصوص در لطفت اجرامها ونُظمت من حول شمسة عسجد

(في البنفسج)

بنفسج بذكي الريح مخصوص مافي زمانك إن وافاك مخصوص
كأنه شعل الكبريت منظره او خد غيد بالتخميش مقروص

(ابن الرومي في الينوفر)

وبركة تزهو بالينوفر نسيمها يشبه ريح الحبيب
مفتح الاجفان في يومه حتى اذا الشمس دنت للمغيب
اطبق جفنيه على عينه وغاص في البركة خوف الرقيب

(في النسرين)

انظر للنسرين يلو ح في قضيب اسلد
كدراهن من فضة فيها برادة عسجد
جنتك من أيدي الفصو ل بها أكف زبرجد

(في الخشخاش)

وللاغد الخشخاش في الروض مزهرا وقد نظرت شذوا اليه الحدائق
حكت قلعة أبراجها مستديرة مشرفة دارت عليها السناجق

﴿ الفصل الرابع في الالغاز ﴾

(فمن ذلك قول الشيخ عمر بن الفارض في سلامه)

ما اسم اذا سأل المرء عن تصحيفه خلا له افخمه
فتصحيف يس له اول من غير ماشك ولا جمجمه

وان ترد ثانيه فهو لا   يذكر للسائل كي يفهمه
وان تقل بين لنا ما الذى   منه تبقى بعد ذا قلت مه
بينه لي ان كنت ذا فطنة   فانني قد جئت بالترجمه

(وله في بطيخ)

خبروني عن اسم شئ شهى   اسمه خلق في الفواكه سائر
نصفه طائر وان صحفوا ما   غادروا من حروفه فهو طائر

(وله في الطيف)

ما اسم شئ من النبات إذا ما   قلبوه وجدته حيوانا
واذا ما صحفت ثلثيه حاشا   بدأه كنت واصفاً انسانا

(اسامة ابن منقذ)

وصاحب لا يمل الدهر صحبته   يشقى لنفعى ويسعى سعي مجتهد
لم القه قد تصاحبنا فذ وقعت   عيني عليه افترقنا فرقة الابد

(الصلاح الصفدى)

ما غائص في يابس كلما   تضربه سوطاً أجاد العمل
ذو مقلة غاص بها رأسه   والرأس في العادة مأوى المقل

(اجابه عنه السبكي)

لله لغــز فاق في حسنه   فطال للالغاز فرداً فضل
أراه في القلب ان لم يكن   قد غاب عن فاسد فكر فضل

(لابن نقاذة في يوسف)

ياسائلي ما اسم الذى أحببته   انى بسر هواه غير مصرح

لكن اذا فكرت فيه وجدته مكوس سابع لفظة من سبح

(لبعضهم فى الـكمأة)

الا قل لاهل الرأى والعلم والادب وكل بصير بالامور لذي أرب
الا خبروني أى شئ رأيتم من الطير فى أرض الاعاجم والعرب
قديم حديث بادئ وهو حاضر يصاب بلا صيد وان جد فى الطلب
ويؤكل احياناً طبيخاً وتارة قلياً ومشوياً اذا دس فى اللهب
وليس له لحم وليس له دم وليس له عظم وليس له عصب
وليس له رجل وليس له يد وليس له رأس وليس له ذنب
ولا هو حي لا ولا هو ميت الا خبروني ان هذا هو العجب

(فى كون)

أيهـا العطار بين لنا عن اسم شئ قل فى سومك
تراه بالعينـين فى يقظة كما تراه بالقلب فى نومك

(للنواجي فى ماح)

ما اسم شئ له نفع وقيمته حقيرة وهو معدود من النعم
تراه فى يقظة بالعين منك كما تراه بالقلب ان امسيت فى حلم

(وله)

وما بلدة فى النصف منها قبيلة وفى نصفها وحش من الهند يجلب
فتصحيفه فيك استبانت حروفه وفى قلبه شئ الى النخل ينسب

(وله فى موز)

ما اسم شئ حسن من شكله تلقاه عند الناس موزوناً

تراه معدوداً و ان زدته   واواً ونونا صار موزونا

(في جبل)

ايما اسم وصفه وتر   وهو ان محفته سبب
ويرى في الوزن فاصلة   ساكن تحريكه عجب

(في دينار)

ما صاحب ان انت أمسكته   ضر وان فارقته ينفع
تراه ذا وجهين فاعجب له   وهو وجيه حيث ما يشفع

(في قلم)

وذا خضوع راكع ساجد   ودمعه في جفنه جار
مواضب الخمس لاوقاتها   منقطع في خدمة البارى

(في زرموزه)

مطية فارسها راجل   تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب منعولة   لاتشرب الدهر ولاتأكل

(في طاحون)

ومسرعة في سيرها طول دهرها   تراها مدى الايام تمشي ولاتتعب
وفي سيرها لاتترك الا كل ساعة   وتأكل في كل المدى وهي لاتشرب
وما قطعت في سيرها خمس اذرع   ولا ثلث ثمن من ذراع ولا اقرب

(في فيل)

أي اسم تركيبه من ثلاث   وهو ذو أربع تبارك الاله
حيوان والقلب منه نبات   لم يكن عند جوده يرعاه

فيك تصحيفه ولكن اذا ما   رمت عكساً يكون لى نشاه

(فى على)

اسم الذى عشقته   اوله   ناظره

ان فاتني   اوله   يكون لى آخره

﴿ الفصل الخامس فى الدوبيت والرباعيات وغير ذلك ﴾

(قال التلعفرى)

لو بات بما أحبه متكرثاً   ماخان ولا كان لعهدى نكثا

يبدو فيقول كل من يبصره   سبحانك ماخلقت هذا عبثا

(وله)

ما احسن ما يكون من تهواه   فى حضنك والنعاس قد غشاه

اوصيك اذا تبرجت عيناه   مص لسانه وقبّل فاه

(وله)

بالله سحر مقلتيك النشوى   وهو القسم البر العظيم الفتوى

لا تسمع فى قول من قال سلا   فى ثغرك من أين منه السلوى

(وله)

ياناوك ربع الصبر منى مهدوم   ما ان ترى لغائب الوصل قدوم

خف ربك فى العشاق وارفق بهم   لا تحسب ان دولة الحسن تدوم

(ابن تاج الخطيب القوصى)

ياغاية منيتى ويا مقصودى   قد صرت من السقام كالمفقود

ان كان بدت منى ذنوب سلفت   هبها لكريم عفوك المعهود

(صلاح الدين الاربلي)

ما امر تجنيبك على الصب حتى افنيت زماني بالاسى والاسف
ماذا غضت بقدر ذنبي فلقد اسرفت وما اردت الا تلفي

(وله)

اصنع ماشئت أنت المحبوب مالي ذنب كما قلت ذنوب
هل تسمح بالوصال في ليلتنا تجلو صدا القلب وتعفو واتوب

(للشيخ عمر بن الفارض رحمه الله تعالى)

اهوي قمرا له المعاني رق من نور جبينه اضاء الشرق
تدرى باقه ما يقول البرق ما بين ثناه وبين حبي فرق

(وله أيضاً)

أهوى رشا كل الاسى لي بعثا مذ عاينه تصبري ما لبثا
ناديت وقد فكرت في خلقته سبحانك ما خلقت هذا عبثا

(وله)

اهوى رشا هواه للروح غذا ما احسن فعله ولو كان اذا
ما انس وقد قلت له الوصل متى مولاى اذا مت اسي قال اذا

(وله)

روحي لك يازائراً في الليل فدا يامؤنس وحشتي اذا الليل هدي
اذا كان فراقنا مع الصبح بدا لا اسفر بعد ذاك صبح ابدا

(وله)

يا محيي مهجتي ويا متلفها شكوي تلفي عساك ان تكشفها

عين نظرت اليك ما أشرقها   روح عرفت هواك ما ألطفها

(غيره)

مااختاروا سواك لاولااختار   ياظالم ياخؤن ياغدار
اسكنتك مهجتى وقبها لهب   والظالم ما جزاء الا النار

(النصير الحمامي)

في وجهك للجمال وللحسن فنون   في طرفك للسحر فتور وفتون
اني أسلو هواك يامن بانت   عيناه تقول للهوى كن فيكون

(الشهاب الخفاجي)

مابي مهما رضيت عنى بأس   والصبر يرهم لجرحي يأس
لكن اختشى اذا طال نوى   ان يشمت في الرجا مني اليأس

(وله)

ما جر الظل لاحد اذيال   في الارض كرامة كما قد قالوا
هذا عجب وكم به من عجب   والناس بظله جميعاً قالوا

(حسن بن محمد البوريني)

ياقلب الى متى عداك النصح   كم تمزح كم جنى عليك المزح
ياجارحة عدي عليك الجرح   ماتشعر بالحمار حتى يصح

(التقي السبكي)

ياقلب من الغرام قد زدت وله   من خانك خنه او تعرض بدله
فالنفس عزيزة على من هي له   لايصلح لى من كنت اصلحله

(بهاء الدين الشامي)

اغتص بريقى لحسن الحاسى اذا ذكره وهو لمهدنا سي
ان مت وجرة الهوي في كبدي فالويل اذن لساكن الامرقاسي

(ومنها)

اهوى رشا عرضنى للبلوى ماعن لقلبي المعنى سلوى
كم جئت لاشتكي فذ ابصرني من لذة قربه نسيت السلوى

(ونحوه قول الشهاب الخفاجي)

لو تسمع لذة للمعنى الشكوى لأمن بذا وليس عنه سلوى
كل بهواه مبتلى دنف قالوا وتطيب باذ تم البلوى

(ومنها)

ياغائباً عن عينى لا عن بالى القرب اليك منتهى آمالى
اياك نوالك لا تسئل كيف بدت والله مضت باسوأ الاحوال

(وفي معناه ووزنه قول الارجاني)

لابأس وان أذبت قلبي بهواك القلب ومن سلبته القلب فداك
وليت وقلت أنعم الله مساك مولاي وهل بنعم من ليس يراك

(ابن خلكان)

فى هامش خدك البديع الثانى تصحيح غرام كل صب عاني
قد خرجها البارى فما أ لطفها من حاشية خطها بالقلم الريحاني

(وله)

يامن سلب الفؤاد هب لي الوسنا وارحم شجناً فيك يلاقى الحنا
وارفق بثلاثة يذوبون ضنا الخاطر والخصر المفدا وأنا

(وله)

ياشمس ضحى جبينه الوضاح ساعات رضاك كلها أفراح
عشاقك لو قطعات ماشئت بهم ماتوا كمدا وبالهوى ماباحوا

(الصفى الحلى)

للحسن حلاوة وبالعين يذاق ان كنت تراها بعيون العشاق
والعشق حلاوة يعرفها من خلد في نار جحيم الاشواق

(غيره)

يامن سلب الفؤاد مع جسماني ماضرك لو أخذت جسمي الفاني
يامطلق مدمعي من الاجفاني هل تطلق أسير قلبي العاني

(غيره)

البلبل ياصاح يغنى بفنن والورق تنوح يابرى العشق لمن
والكون جميعه غرام وشجن شبابك يامن هو للكل فتن

(الشهاب الخفاجي)

ياغاية منيتي واقصى شجني ارحم ضعفي ولا تمنع لمن ضنى
يا أي الأسى فتى تشكي سقما ما اصنع والطبيب قدامرضنى

(غيره)

يارب جملت رحمة الخلق لديك والعرض مع الموقف كله اليك
مالي عمل يصلح للعرض عليك ارحم ذلى وموقفي بين يديك

﴿ الفصل السادس فى اشياء مختلفة ﴾

﴿ الاديب كمال الدين على بن محمد بن المبارك ﴾

(يذم داراً يسكنها)

دار سكنت بها أقل صفاتها ... ان تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد ... والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته ... قد اعدم الاجفان طيب سناتها
وتبيت تسعدها براغيث متى ... غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن قافه ... قد قدمت فيه على اخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عيـ ... ـن الشمس ماطربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها ... فينا وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز ... ابصارنا عن حصر كيفياتها
تغشي العيون بمرها ومجيئها ... وتصم سمع الخلق من اصواتها
وبها خفافيش تطير نهارها ... مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافد مطبوخة ... نزع الطهاة بنضجها شوكاتها
فاقت على سمر القنا فى لونها ... وتمامها وشياتها وصفاتها
وبها من الجردان ما قد قصرت ... عنها العناق الجرد من حملاتها
فترى ابا زغوان منها هاربا ... وابا الحصين يروغ من طرقاتها
وبها الخنافس كالطنافس افرشت ... فى أرضها وعلت على جنباتها
لو شم أهل الارض منتن فسوها ... اردى الكماة الصيد من صولاتها

وبنات وردان وأشكال لها ... مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم متراكم متحارب ... متراكم في الارض دون نباتها
وبها قراد لا اندمال لجرحها ... لايفعل الشراك فعل أذاتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها ... حجامة لبدت على كاساتها
وبها من الخل السليماني ما ... قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لايدخلون مساكنا بحطمو ... ن جلودنا فالمقر من سطواتها
ما راعني شيء سوى وزغاتها ... فنعوذ بالرحمن من نزعاتها
سجعت على أوكانها فظننتها ... ورق الحمام سجعن في شجراتها
وبها زنابير تظن عقارباً ... لا بد للمسموم من لدغاتها
وبها عقارب كالاقارب رتعا ... فينا حمانا الله لدغ حماتها
وكأنما حيطانها كغرابل ... اطلعن ارؤسهن من طاقاتها
كيف السبيل الى النجاة ولانجا ... ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم في نفثاتها والمكر في ... فلتاتها والموت في لسعاتها
ماسوجة بالعنكبوت سماؤها ... والارض قد نسجت بزاقاتها
فلقد رأينا في الشتاء سماءها ... والصيف لاتنفك عن صفعاتها
فضجيجها كالرعد في جنباتها ... وترابها كالوبل من خشناتها
والبوم عاكفة على ارجائها ... والال يلمع من ثرى عرصاتها
والنار جزء من تلهب حرها ... وجهنم تعزي الى نفحاتها
قد رمت من قبل ان يلقى ابو ... نا آدم حواء في عرفاتها
شاهدت مكتوباً على ارجائها ... ورأيت مسطوراً على عتباتها

لاتقربوا منها وخافوها ولا ... تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون ببابها ... يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا ... يتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا الفا غراب ناعق ... كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة ... للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها ... فيها وتنذر باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفرداً والعين شر ... ق للصباح تسح من عبراتها
واقول يارب السموات العلى ... يارازقا للوحش في فلواتها
اسكنتني بجهنم الدنيا ففي ... اخراى هب لى الخلد في جناتها
واجمع بمن أهواه شملى عاجلا ... ياجامع الاموات بعد شتاتها

﴿ ابن دنيال يصف الحشرات التي في بيته ﴾

أصبحت أفقر من يروح ويغتدى ... ما في يدى من فاقتى الايدي
في منزل لم يحو غيرى قاعـدا ... فمتى رقدت رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة ... ومخدة كانت لام المهتدى
تلقى على طراحة في حشوهـا ... قمل شبيه السمسم المتبـدد
والبق أمثال الصراصر خلقة ... من متهم في حشوها أو منجد
يجعلن جلدك وارما فتخاله ... من قرصهن به يذوب الجلمد
وترى براغيثاً بجسمي علقت ... مثل المحاجم في المساء وفي غد
وكذا البعوض يطير وهو بريشه ... فمتى ثملن فوق عرق يفصد
وترى الخنافس كالزنوج تصفت ... من كل سوداء الاديم وأسود

ولربما قرنت بجمع عقارب ... قتالة قدر الحام الركد
وتقيم لى عنـد المساء زبانها ... فاراه وهو كاصبع المتشهد
هذا وكم من ناشر طاوي الحشا ... يبدو شبيه الفاتك المتسرد
يبدى اذا ما انساب صفحة جدول ... عبثت به ريح الصبا المتجعد
والفار يركض كالخيول تسابقاً ... من كل جرداء الاديم وأجرد
يأكلن فارات السقوف كمثل فا ... رات النجارة إذ تحد بمبرد
وكأن نسج العنكبوت وبيتـه ... شعرية من فوق مقلة أرمد
وكذاك للجرذون صوت مثله ... فى مسمعي صوت الزناد المصلد
واذا رأ الخفاش ضوء زبالة ... عندي لضر بضوئها المتوقد
وكأنها الزنبور ألبس حـلة ... موشية أعلامها بالعسجـد
مترنم بين الذباب مغـرد ... لا كان من مترنم ومغرد
حشرات بيت لو تلقت عسكراً ... ولى على الاعقاب غير مردد
هذا ولى ثوب تراه مرقعاً ... من كل لون مثل ريش الفدفد
لولا الشقاوة ما ولدت وليتني ... إذ كان حظى هكذا لم أولد
ولـكيف أرضى بالحياة وهمتى ... تسمو وحظى فى الحضيض الاوهد
وأرى السعادة قد أحلت معشرا ... رتب العلى لا بالنهي والسؤدد

﴿ الباب العاشر في الطفيليين ﴾

قيل كان طفيل العرائس الذي ينسب اليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد طفيل فى علته فيقول اذا دخلت عرساً فلا تتلفت تلفت

المريب وتخير المجالس فان كان العرس كثير الزحام فأمر وانه ولا تنظر فى عيون أهل المرأة ولا فى عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء انك من هؤلاء ويظن هؤلاء انك من هؤلاء فان كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به وامره وانهه من غير ان تعنف به وعليك بكلام بين النصيحة والادلال وقال شعراً

لا تجزعن من القريب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ بيديك مغرفة الثريد
متدلياً فوق الطعا م تدلى الباز الصيود
لتلف ما فوق الموا ئد كلها لف الفهود
واطرح حياءك فانما وجه المطفل من حديد
لا تلتفت نحو البقول ولا الى غرف الثريد
حتى اذا جاء الطعام ضربت فيه بالشديد
وعليـك بالفالوذجات فانها عين القصيـد
هـذا انا حررته ودعوتهم هل من مزيد
والعرس لا يخلو من الا وزينج الرطب العتيد
فاذا أتيت به محو ت محاسن الجام الجديد

قال ثم اغمى عليه عند ذكر اللوزينج ساعة فلما أفاق رفع رأسه وقال

وتقلبي على الموا ئد فعل شيطان مريد
واذا انتقلت عبثت بالكعـك المجفف والقديد
يارب انت رزقتني هذا على رغم الحسود

واعلم بانك ان قبلـ ـت نعمت يا عبد الحميد

(قيل جاء بنان) الى وليمة فأغلق الباب دونه فاكترى سلماً ووضعه على حائط الرجل وتسور فاشرف على عيال الرجل وبناته فقال له الرجل ياهذا ما تخاف الله رأيت أهلي ومالي فقال ياشيخ لقد علمت مالنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فضحك الرجل وقال له انزل فكل (روى) ان طفيليا جاء الى عرس فمنع من الدخول وكان يعرف ان أخاً للعروس غائب فذهب فاخذ ورقة فطواها وختمها وليس في بطنها شيء وجعل العنوان من الاخ الى العروس فجاء فقال معي كتاب من أخي العروس اليها فاذن له فدخل فرفع اليهم الكتاب وقالوا ما رأينا مثل هذا العنوان ليس عليه اسم أحد فقال وأعجب من هذا انه ليس في بطن الكتاب ولا حرف واحد لانه كان مستعجلا فضحكوا منه وعرفوا انه احتال لدخوله فقبلوه (صحب طفيلي) رجلا في سفر فقال له الرجل أمض فاشتر لنا لحماً قال والله ما أقدر فمضى هو فاشترى فقال قم فاطبخ قال لا أحسن الطبيخ فطبخ الرجل قال قم فاثرد قال أنا والله كسلان فثرد الرجل ثم قال قم فاغرف أي سق قال فاخشى ان تنقلب على ثيابي فغرف الرجل ثم قال له قم الآن فكل قال الطفيلي قد والله استحييت من كثرة خلافى لك وتقدم فأكل (اجتمع جماعة على عصيدة) فاخذ بعضهم لقمة فالقاها في السمن وقال فكبكبوا فيها هم والغاوون وجر السمن اليه وقال الآخر اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور وجر السمن اليه وقال الآخر

أخرقها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً امراً وجر السمن اليه وقال الآخر انا نسوق الماء الى الارض الجرز وجر السمن اليه وقال الآخر فيها عينان تجريان وجر السمن اليه وقال الآخر فيهما عينان نضاختان وجر السمن اليه وقال الآخر فالتقى الماء على امر قد قدر وجر السمن اليه وقال الآخر فسقناه الى بلد ميت وجر السمن اليه وقال الآخر وقيل يا أرض أبلعي ماءك وياسماء اقلعي وخلط

(جاء طفيل) الى بيت رجل مع جماعة فقال الرجل من أنت فقال اذا كنت لا تدعونا ونحن لا نأتي صار فهذا نوع جفاء (عرس طفيل) فاتاه طفيليان في أول الناس فادخلهما وجاء الي غرفة له يرتقي اليها بسلم فوضع السلم وقال اصعدا لنبعدا عن الاذي وأخصكما بفائق الطعام فصعدا فلما حصلا في الغرفة رفع السلم ووضع المائدة وأطعم أصدقاءه وجيرانه وهما مطلعان عليه فلما وضع فرغ القوم وضع السلم وقال انزلا فنزلا فدفع في اقفائهما وقال انصرفا راشدين (وقال) طفيل ابك والكلام على الطعام الا ان تقول نعم فانها مضغة (اوصى طفيل) غلامه فقال اذا ضاق بك الموضع قل للذي الى جانبك لعلي ضيقت عليك فانه سيوسع لك المكان كوضع رجل آخر (وقال بنان) حفظت القرآن ثم نسيته الا حرفين آتنا غداءنا (وقال بنان) التمكن على المائدة خير لك من زيادة أربعة الوان (ويحكي) ان جماعة قصدوا باب بعض الاكابر عند وقت غدائه فنعهم بوابه فكتب اليه بعضهم

قد أتيناك زائرين خفافا   وعلمنا بان عندك فضله

ولدينا من الحديث هناة   معجبات فمدها لك جله
ان تجدنا كما تريد والا   فاحتملنا فانما هي اكله

فأذن لهم فدخلوا (وص) بعضهم بقوم يأكلون فقال ما الذي تأكلون قالوا سم الموت فقال لا حياة لي بعدكم ثم جلس يأكل معهم انتهى والله أعلم

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

(في المتلصصين)

ذكر القاضي التنوخي في كتابه نشوان المحاضرة قال حدثني ابراهيم النصيبي عن جار له يقال له أبو القاسم الصفار قال خرجت من نصيبين بسيف نفيس كنت ورثته من أبي وقصدت العباس بن عمرو امير ربيعة لاهديه له وهو في رأس العين فصحبني شيخ من شيوخ الاعراب وسألني عن خبري فأخبرته وقد كنا قريبين من رأس العين فدخلناها وافترقنا وكان يأتيني ويراعيني ويظهر لي البر ويسألني عن حالي فاخبرته ان الامير قبل هديتي وأعطاني الف درهم وثيابا واني أريد الخروج الى كذا وكذا فمضي فلما كان ذلك اليوم خرجت من الدار راكباً حماراً فلما صرت في الصحراء اذا أنا بالشيخ راكباً دويبة ضعيفة متقلدا سيفاً فلما رأيته استربت منه وأنكرت وجهه وأيقنت بالشر في عينيه فقلت ماتصنع فقال قضيت حوائجي وأريد الخروج بصحبتك وبحبتك عندي آثر من صحبة غيرك فقلت على اسم الله فمضينا وهو يجتهد أني آنس به وأدنو منه وكلما دني مني تباعدت منه الى ان

سرنا شيئاً كثيراً من الطريق وليس معنا ثالث الا الله تعالى فقصر
عني فخشيت حمارى لافوته فاحسست الا بركضه في أثرى فالتفت وقد جرد
سيفه وقصدني فرميت بنفسي عن الحمار وغدوت فلما خاف أن افوته صاح
يا أبا القاسم انما مزحت فلم التفت اليه فضرب دابته وزاد في الجرى
ولاح لى ناؤوس فقصدته وقد كاد الاعرابى ان يلحقنى فلما دخلت
الناؤوس وقفت وراء بابه قال ومن صفة هذا الناؤوس انه مبنى بحجارة
وباب هذا الناؤوس حجر واحد عظيم قد نقر وخفف ولا تستمكن
اليد منه وله من خارج الباب حلقة وليس من داخله شيء يلزم به
اليد وانما يدفع من خارجه فينفتح فيدخل اليه فاذا جئت وجذبت
الحلقة انغلق الباب وتمكن الذى يكون من خارجه فاختبئت ورآء
باب الناؤوس فجاء الاعرابي فشد دابته فى حلقة الباب ودخل يطلبنى
فى الناؤوس وكان مظلماً فلم يرنى ومشى الى داخل فخرجت من
خلف الباب وجذبت الحلقة حتى صار مغلقاً فرأى الموت عياناً فصاح
فى الناؤوس يا أبا القاسم اتق الله فاني تالف لا محالة فقلت تتلف انت
أهون من أن أتلف أنا قال أخرجنى وأنا أعطيك أماناً واستوثق لك
بالأيمان انى لا أتعرض لك بسوء واذكر الحرمة فقلت انت لم ترعها
وايمانك كاذبة فاجرة لا أثق بها وأخذ يكرر هذا فقلت لا تهدى
فاني اركب الآن دابتك واجنب حماري والوعد بيننا بعد ايام ها هنا
فلا تبرح قال فاخذ يبكى ويستغيث ويصيح ويقول قتلتنى والله فقلت
الى [illegible] الله فركبت دابته وجنبت حمارى فوجدت على دابته خرجاً

فيه ثيابه فأيت نصيبين فبعت ثيابه ودابته وكتمت امرى فلما كان بعد شهور عرض لي المسير الى رأس العين فخرجت الى تلك الطريق وبدا لي ذلك الناؤوس فقصدته ودخلته فاذا الاعرابي صار عظاماً نخرة فحمدت الله على سلامتي وهلاكه فحركته برجلي وقلت على سبيل العبث كيف خبرك يافلان فاذا بشيء يتخشخش تحت رجلي فستة فاذا هو هميان فاخذته وأخذت سيفه وخرجت من الناؤوس وفتحت الهميان فاذا فيه خمسمائة درهم وبعت السيف بمائة درهم انتهى

(وروى القاضي التنوخي) أيضاً في كتابه نشوان المحاضرة عن شخص أنه قال كان لابي مملوكاً يقال له مقبل فهرب منا ولم نعرف له خبر منذ سنين كثيرة ثم تغربت عن بلدي ووقعت الى نصيبين وأنا إذ ذاك شاب ما نبتت لحيتي فاذا ذات يوم مجتاز وفي كمي منديل مملوء دراهم وأنا في سوق نصيبين اذ رأيت غلامنا مقبل فحين رآني بش بي وفرح واظهر سروراً عظيما وقال ياسيدي تجيء الى دعوتي اليوم قلت لم فمشى قدامي ومشيت خلفه وطال الطريق عليَّ وأنا أقول له ويحك أين بيتك فيقرب عليَّ المدا حتى بلغ الى آخر نصيبين في درب خراب يقارب الصحراء فدق بابا فخرج رجل يفتح البـاب فدخل ودخلت فحين حصلت في الدهليز ردم الباب واستوثق منه فانكرت ذلك ودخلت فاذا أنا بثلاثين رجلا في الدار بسلاح بلا بارية ولا غيرها واذا هم لصوص وهو عين لهم فايقنت بالبلية والشر فقام الى واحد منهم فقال انزع ثيابك فطرحت ما كان عليَّ الا السراويل فجاؤا ليأخذونه فسألتهم في ذلك

فتركوه وحلوا منديل كي وأخرجوا ثلاثين درهماً وقالوا للقبل امض
نخذ لنا شيئاً نأكله فتقدم مقبل فسار أحدهم وهو ويتبسم فقال لهم
ذاك فانه لا بد لنا من قتله فجئنا بما نأكله فاذا جئتنا قتلناه فلما
ان مقبـلا اشار عليهم بقتلي فطارت روحي جزعا وقال لهم الغلام
لا أمضي او تقتلوه فقلت لهم ياقوم ايش ذنبي ولم اقتل قد أخذتم
مالي وثيابي دعوني أروح ثم قلت له يا مقبل هذا من حقي عليك وحق
أبي ويحك لا ترحمني قال فكاشفني وقال للقوم انكم ان لم تقتلوه والا
يخرج ينبه عليكم السلطان فيقتلكم كلكم قال فجذبني واحد منهم واستل
سيفه وسحبني من صدر الدار الذى كانوا فيها ليذبحني عليها فوقعت
يدي على غلام منهم كان على قدر سني فقلت له ارحمني أنت غلام مثلي
وان خلصتني من يد هؤلاء أجرت بي فاستدفع البلاء من الله تعالى
مخلاصي قال وبكيت وبقيت احلف لهم اني لا أنبـه عليهم ابداً ولا
أتكلم ان تركوني قال فالهم الله عز وجل ذلك الفتى ان طرح نفسـه
عليّ وقال والله لا اقتل وأنا حي فاما تقتلوني قبله والا فلا تقتلوه قال
وتعصب له أسـتاذه وقال غلامي أجره فلا تقتلوه فشتموه وشتموا
غلامه وتعصب لها جماعة وجاؤا فأخذوني من البلاعة وقد كاد الرجل
يحبسني فأجلسوني في صدر صفة وجلسوا حولي وشتموا ذلك الغلام
ومنعوا الباقين عني وقالوا نحن جياع اتنا بشئ نأكله وقتل هـذا
لا يفوت فقال الباقون القول ما قالوا فكفوا عني ومضى فاشترى خمسين
رأساً وخبزاً كثيراً وجبناً وزيتوناً وجاءهم به فجلسوا يأكلون وأنا

أتخوف ان يتغافلني منهم انسان فيقتلني فقلت لذلك الفتى فترك الاكل
فجلس هو وأستاذه يحفظوني الى ان اكلت الجماعة ووكلوا بي قوماً من
أصحابهم ممن اكل وجلسوا يأكلون واستدعوني للاكل معهم فاردت
ايجاب الزام عليهم فأكلت معهم أكل معرض لقمة واحدة او لقمتين
بلا شهوة ولا عقل فقال لهم مقبل الآن اكلتم وترك هذا خطأ فاقتلوه
فعاد الكلام في قتلي وأقبل أولئك يمنعون وتزايد الامر الى ان جرد
بعضهم السيوف على بعض وجعلوني اؤلئك وراءهم واقبلوا يجادلون
عني واؤلئك يجون من خلفهم باطراف السيوف وأنا أروغ خوفاً من
أن يصل الي بعض ذلك فيقتلني وأنا أحلف لهم ان سلمت لم أنبه
عليهم الى أن كادوا يتجارحون ودخل بعضهم بينهم وقالوا لايكون هذا
ميشوماً عليكم فدعوه فتوافقوا على الكف عني وجلسوا يشربون الى
وقت العشاء الاخيرة فلما أرادوا أن يخرجوا بي قالوا يتوكل به من
يتعصب له حتى نخرج نحن فان صاح بي به من خلصه فقال لي الفتى
واستاذه قد سمعت يافتى فلا تكافينا على الجميل بقبيح فحلفت لهم بالله
اني لا أنبه عليهم فخرجت الجماعة الا الغلام واستاذه فلما بعدت الجماعة
خرج النفسان فما كان لي همة الا غلق الباب وراءهما وتوثقته ووقعت مغشياً
وذهب عقلي عني الي قريب من نصف الليل وقد لحقني البرد فلم أزل
ارتعد فزعاً وبرداً الى وجه السحر وسمعت صوت الدبادب فخرجت
عرياناً حتى أتيت الى بيتي وآليت على نفسي انني لا امضي الى موضع
لااخبره ولا مع من لا أعرف باطنه فحمدت الله على العافية انتهى

(روى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء) عن محمد بن عمر قال حدثني رجل من الدقاقين قال ورد على رجل غريب بصرة فيها دراهم وقال دعها عندك حتى آخذها متفرقة فكان يجي كل يوم فيأخذ بقدر نفقته الى ان نفدت فصار بيننا معرفة وألف الجلوس عندي وكان يراني أخرج من صندوق لي فاعطيه منه فقال لي يوماً ان قفل الرجل صاحبه في سفره وامينه في حضره وخليفته على حفظ ماله والذي ينفي لثقته عن أهله وعياله وان لم يكن وثيقاً تطرقت الحيل اليه وأرى قفلك هذا وثيقاً فقل لي ممن ابتعته لايتاع مثله لنفسي فقلت من فلان الاقفالي قال فما شعرت يوماً وقد جئت الى دكاني فطلبت صندوقي لاخرج منه شيئاً من الدراهم فحملته الي ففتحته واذا ليس فيه شيء من الدراهم فقلت لغلامي وكان غير متهم عندي هل انكرت من الدرابات شيئاً قال لا قلت ففتش هل ترى في الدكان نقباً فقال لا قلت فمن السقف حيلة قال لا قلت فاعلم ان دراهمي قد ذهبت الكيس بما فيه فقلق الغلام فسكنته واقمت يومي لا أدرى أي شيء أعمل وتأخر الرجل عليّ فاتهمته وتذكرت مسئلته عن القفل فقلت للغلام اخبرني كيف تفتح دكاني وتغلقه قال احمل الدرابات من المسجد دفعتين أو ثلاثة قلت فعلى من تخلي الدكان اذا حملت الدرابات قال خالياً قلت من هنا دهيت فمضيت الى الصانع الذي ابتعت منه القفل فقلت أجاءك انسان منذ ايام اشتري منك مثل هذا القفل قال نعم رجل من صفته كيت وكيت فاعطاني صفة صاحبي فعلمت انه

احتال على الغــلام وقت المساء لما انصرفت أنا وبقي الغلام يحمل الدرابات فدخل هو الى الدكان فاختبى فيه ومعه مفتاح القفل الذي اشتراه يوقع على قفلي وانه أخذ الدراهم وجلس طول الليل خلف الدرابات فلما جاء الغلام ففتح درابتين وحملها ليرفعهما فخرج وانه ما فعل ذلك الا وقد خرج من بغداد قال فخرجت ومعي قفلي ومفتاحه فقلت ابتدي بطلب الرجل بواسط فلما صعدت من السميرية طلبت خاناً أنزله فصعدت فاذا بقفل مثل قفلي سوآء على بيت فقلت لقيم الخان هذا البيت من ينزله قال رجل قدم من البصرة أمس قلت ما صفته فوصف صفة صاحبي فلم أشك انه هو وان الدراهم في بيته فاكتريت بيتاً الى جانبه ورصدت حتى انصرف قيم الخان ففتحت القفل فدخلت فوجدت كيسي بعينه فاخذته وخرجت واقفلت الباب ونزلت في الوقت في السفينة وانحدرت الى البصرة وما اقمت بواسط الا ساعتين من النهار ورجعت الى منزلي بمالي بعينه (وحكي عن بعضهم انه قال) كنت ناقداً بالابلة لرجل تاجر فاقتضيت له من البصرة نحو خمسمائة دينار عينا فلففتها في فوطة وأمسيت على المسير الى الابلة فما زلت اطلب ملاحاً فلا أجد الى ان رأيت ملاحاً مجتازاً فسألته ان يحملني فخفف عليّ الاجرة وقال أنا ارجع الى منزلي بالابلة فانزل فنزلت وجعلت الفوطة بين يدي وسرنا فاذا رجل ضرير على الشط يقرأ أحسن قراءة تكون فلما رآه الملاح كبر فصاح هو بالملاح احملني فشتمه الملاح فقلت له احمله فدخل الى الشط فحمله

فرجع الى قراءته فغلب عقلي بطيبها فلما قربنا من الابلة قطع القراءة
وقام ليخرج في بعض المشارع بالابلة فلم أر الفوطة فاضطربت وصحت
واستغاث الملاح فقلت ياهذا كانت بين يدي فوطة فيها خمسمائة دينار
فلما سمع الملاح ذلك لطم وبكى وتعرى من ثيابه وقال لم أدخل الشط
ولالي موضع فتتهمني بسرقة ولي اطفال وأنا ضعيف فالله الله في
أمري وفعل الضرير مثل ذلك فرحمتها وقلت هذه محنة لا أدري
كيف التخلص منها وخرجنا فعملت على الهرب وأخذ كل واحد منا
طريقاً وبت في بيتي ولم أمض الى صاحبي فلما أصبحت عملت على
الرجوع الى البصرة لاستخفي بها أياماً ثم أخرج في بلدشائع فانحدرت
وخرجت في مشرعة بالبصرة وأنا امشي وأتمتر وأبكي على فراق أهلي
وولدي وذهاب معيشتي وجاهي فاعترضني رجل فقال مالك فاخبرته
فقال أرد عليك مالك فقلت يا هذا اني في شغل عن طنزك بي قال ما
أقول الا حقاً أمض الى السجن بني غير واشتري معك خبزاً كثيراً
وشواء جيداً وحلواء وسل السجان ان يوصلك الى رجل محبوس
هناك يقال له أبو بكر النعاش قل له أنا زائره فانك لا تمنع فان
منعت فهب السجان شيئاً يسيراً حتى يدخلك اليه فاذا رأيته فسلم عليه
ولا تخاطبه حتى تجعل بين يديه ما معك فاذا اكل وغسل يديه فانه
يسئلك عن حاجتك فاخبره خبرك فانه سيدلك على من أخذ مالك
ويرتجعه لك ففعلت ذلك وطرحت ما معي بين يديه فدعي رفقاء له
فاكلوا فلما غسلوا ايديهم قال من انت وما حاجتك فشرحت له

قصتي فقال امض الساعة الى بني هلال فادخل الدرب الفلاني حتى تنتهي الى آخره فانك تشاهد باباً شعثاً فافتحه وادخله بلا استئذان فتجد دهليزاً طويلاً يؤدي الى بابين فادخل الايمن منهما فسيدخلك الى دار فيها بيت فيه أوتاد وبوارى وعلى كل وتدازار ومئزر فانزع ثيابك والقها على الوتد واتزر بالمئزر واتشح بالازار واجلس فسيجيء قوم يفعلون كما فعلت ثم يأتون بطعام فكل معهم وتعمد موافقتهم فى سائر أفعالهم فاذا أتي بالنبيذ فاشرب وخذ قدحاً كبيراً واملأه وقم قائماً وقل هذا سهم خالي أبي بكر النعاش فسيفرحون بك ويقولون أهو خالك فقل نعم فسيقومون ويشربون فاذا جلسوا فقل لهم خالي يقرأ عليكم السلام ويقول يا فتيان بحياتي ردوا على ابن أختى المئزر الذي اخذتموه بالامس فى السفينة بنهر الابلة فانهم يردونه عليك فخرجت من عنده ففعلت ما أمر فردت الفوطة بعينها وما حل شرطها فلما حصلت لي قلت يا فتيان هذا الذي فعلتموه لي هو قضاء لحق خالى ولى أنا حاجة تخصني قالوا مقضية قلت لهم عرفوني كيف أخذتم الفوطه فامتنعوا ساعة فاقسمت عليهم بجاه أبي بكر النعاش فقال لي واحد منهم أما تعرفني فتأملته جداً فاذا هو الضرير الذى كان يقرأ وانما كان متعامياً فاوى الى الآخر وقال أتعرف هذا فتأملته فاذا هو الملاح فقلت كيف فعلتما فقال الملاح أنا أدور المشارع في أول أوقات المساء وقد سبقت بهذا المتعامي فاجلسته حيث رأيت فاذا رأيت من معه شيء له قدرنا دبته وارخصت الاجرة وحملته فاذا بلغت الى

القاري وصاح بي شمشمة حتى لا يتبك الراكب باني اريد حمله فاذا حمله الراكب فذاك والا رقتنه عليه حتى يحمله فاذا حمله وجلس يقرأ ذهل الرجل كما ذهلت فاذا بلغنا الموضع الفلاني فان فيه رجلا متوقعاً لنا يسبح حتى يلاصق السفينة وعلى رأسي قوصرة فلا يفطن الراكب به فيسلب هذا المتعامي الشيء بخفة فيلقيه الى الرجل الذي عليه القوصرة فيأخذه ويسبح الى الشط واذا أراد الراكب الصعود وافتقد ما معه عملنا كما رأيت فلا يتهمنا فاذا كان من الغد اجتمعنا واقتسمناه فلما جئتنا برسالة استاذنا خالك سلمنا اليك القوطة قال فاخذتها ورجعت انتهى

(روى عن لص تائب) انه قال دخلت مدينة فجعلت أطلب شيئاً أسرقه فوقعت عيني على صيرفي موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيساً له وأسلت فما جزت غير بعيد اذا أنا بعجوز معها كلب قد وقعت في صدري تبوسني وتلزمني وتقول يا بني فديتك والكلب يبصبص ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون الينا وجعلت المرأة تقول انظروا الى الكلب كيف عرفه فعجب الناس من ذلك وتشككت أنا في نفسي قلت علها أرضعتني وأنا لا أعرفها وقالت قم معي الى البيت اقم عندي اليوم فلم تفارقني حتى مضيت معها الى بيتها واذا عندها أحداث يشربون وبين أيديهم من سائر الفواكه والرياحين فرحبوا بي وقربوني وأجلسوني معهم ورأيت لهم قبرة حسنة فوضعت عيني عليها فجعلت أسقيهم وأرفق بنفسي الى أن ناموا ونام كل من في الدار فقمت وكورت كل ما عندهم وذهبت أخرج فوثب عليّ الكلب وثبة الأسد وصاح

وجعل يتراجع وينبح الى أن انتبه كل نائم فخجلت واستحيت فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس وفعلت أيضاً أنا بهم مثل ذلك وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب الى الليل فما امكننى فيه حيلة فلما ناموا رمت الذى رمته فاذا الكلب قد عارضني بمثل ما عارضني فجعلت احتال ثلاث ليال فلما أيست طلبت الخلاص منهم باذنهم فقلت أتأذنون لى بالخروج فانى على وفاق فقالوا الامر الى العجوز فاستأذنها فاستأذنتها فقالت هات الذى أخذته من الصيرفى وامض حيث شئت ولا تعمل في هذه المدينة عملا فاخذت الكيس فعند ذلك أخرجتنى ووجدت مناى حين سلمت من يدها وكان قصارى أن أطلب منها نفقة فدفعت الىّ وخرجت معى حتى أخرجتنى من المدينة والكلب معهـا حتى بلغت حدود المدينة وقفت ومضيت والكلب يتبعنى حتى بعدت ثم تراجع ينظر الىّ ويلتفت وأنا أنظر اليه حتى غاب عنى

(روى) ان محتالين سرقوا حماراً ومضى أحدهما لبيعه فلقيه رجل معه طبق فيه سمك فقال تبيع هذا الحمار قال نعم قال امسـك هذا الطبق حتى أركبه وانظر اليه قال فدفع اليه الطبق فركبه ورجع ثم ركبه ودخل زقاقاً فمر به فلم يدر أين أخذه قال فرجع المحتال فلقيه رفيقه فقال ما فعل الحمار قال بعناه بما اشتريناه وربحنا هـذا الطبق من السمك

(روى) انه كان ببغداد رجل يطلب التلصص فى حداثته ثم تاب فصار بزازاً قال فانصرف ليلة من دكانه وقد أغلقه فجاء لص محتال

متزي بزي صاحب الدكان في كمه شمعة صغيرة ومفتاح فصاح بالحارس فأعطاه الشمعة في الظلمة وقال اشعلها وجئني بها فان لي الليلة في دكاني شغلا فمضى الحارس يشعل الشمعة وركب اللص على الاقفال ففتح ودخل الدكان وجاء الحارس بالشمعة فأخذها من يده فجعلها بين يديه وفتح سفط الحساب وأخرج ما فيه وجعل ينظر في الدفاتر ويرى بيده انه يحسب والحارس يتردد ويطالعه ولا يشك انه صاحب الدكان الى ان قارب السحر واستدعى اللص الحارس وكلمه من بعيد وقال اطلب حمالا فجاءه بحمال فحمل عليه أربع رزم مثمنة وقفل الدكان وانصرف ومعه الحمال وأعطى الحارس درهمين فلما أصبح الناس جاء صاحب الدكان لفتح الدكان فقام اليه الحارس يدعو ويقول فعل الله بك وصنع كما أعطيتني البارحة الدرهمين فأنكر الرجل بما صنعه وفتح دكانه فوجد سيلان الشمعة وحسابه مطروحا وفقد الاربع رزم فاستدعى الحارس وقال له من كان حمل الرزم معي قال اما استدعيت حمالا فجئتك به قال بلى ولكن كنت ناعساً وأريد الحمال فجئني به فمضى الحارس فجاء بالحمال وأغلق الرجل الدكان وأخذ الحمال معه ومضى فقال له الى أين حملت الرزم معي البارحة فقال أما ذهبت معك الى الشط واستدعيت لك فلاناً الملاح فركبت معه فقصد المشرعة وسأل عن الملاح فحضر وركب معه وقال أين رقيت اخي الذي كان معه الاربع رزم قال الى المشرعة الفلانية قال اطرحني اليها فطرحه قال من حملها معه قال فلان الحمال فدعي به فقال له امش بين يدي فمشى فاعطاه شيئاً

واستعان برفق الى الموضع الذي حمل اليه الرزم فجاء الى باب غرفة في موضع بعيد من الشط قريب من الصحراء فوجد الباب مقفلاً فاستوثق الحال وفش القفل فدخل فوجد الثلاث رزم بحالها واذا في البيت كساء معلق على حبل فلف الرزم فيه ودعي بالحمال فحملها عنه وقصد المشرعة فحين خرج من الغرفة استقبله اللص فرآه وما معه فأتبعه الى الشط فجاء الى المشرعة ودعى الملاح ليعبر فطلب الحمال ان يحط عنه فجاء اللص فحط الكساء كأنه مجتاز مقطوع فادخل الرزم الى السفينة مع صاحبها وجعل الكساء على كتفه وقال له يا أخي استودعتك الله قد ارتجعت رزمك فدع كسائي فضحك وقال انزل فلا خوف عليك فنزل معه واستتابه ووهب له شيئاً وصرفه ولم يسر اليه (قال محمد بن العقيلي) رأيت رجلا من بني عقيل وظهره كله مشروط كشرطات الحجاج الا انها اكبر فسألته عن ذلك فقال اني كنت هويت ابنة عم لي فخطبتها فقالوا لا نزوجك الا ان تجعل في الصداق فرسا سابقة كانت لبعض بني أبي بكر فتزوجها على ذلك وخرجت في ان احتال ان اسل الفرس من صاحبه لا يمكن من الدخول بابنة عمي فأتيت الحي الذي فيه الفرس وما زلت أداخلهم حتى دخلت الى الخباء وأختبيت فلما جاء الليل وافى صاحب البيت وقد زاولت المرأة عشاءه وجلسا يأكلان وقد استحكمت الظلمة ولا مصباح لهم فاخرجت يدي وأهويت الى القصعة فأكلت معهما وأحس الرجل بيدي فانكرها فقبض عليها فقبضت على يد المرأة فقالت له

المرأة مالك ويدي فظن انه قبض على يد امرأته فخلى يدي فخليت عن يد المرأة واكلنا ثم انكرت المرأة يدي فقبضت عليها فقبضت يد الرجل فقال لها مالك ويدي فخلت عن يدي فخليت عن يد الرجل وانقضى الطعام واستلقى الرجل نائماً فلما استثقل وأنا مراصدهم والفرس مقيد في جانب البيت والمفتاح تحت رأس المرأة فوافى عبد له اسود فنبذ حصاة فانتبهت المرأة فقامت اليه وتركت المفتاح مكانه وخرجت من الخباء الى ظاهر البيت فاذا هو قد علاها فاخذت المفتاح انا ففتحت القفل وكان معي لجام شعر فاوجزته للفرس وركبتها وخرجت عليها من الخباء فقامت المرأة من تحت العبد ودخلت الخباء وصاحت فاحسوا بي وركبوا في طلبي وانا اكد الفرس وخلفي خلق منهم فاصبحت وليس ورائي الا فارس واحد برمح فلحقني وقد طلعت الشمس فاخذ يطعنني فهذه آثار طعناته في جسدي ولا فرسه تلحق بي فيتمكن من طعنته ولا فرسي يجيئني الى حيث لا يمسني الرمح حتى وافينا الى نهر عظيم فصحت بالفرس فوثبته وصاح الفارس بالذي تحته فقصرت ولم يثب فلما رأيته عاجزاً عن العبور وقفت لاريح الفرس واستريح فصاح بي فأقبلت عليه بوجهي فقال يا هذا أنا صاحب الفرس الذي تحتك وهذه ابنتها واذ قد ملكتها فلا تخدعن فيها فانها تساوي عشر ديات وعشر ديات وعشر ديات وما طلبت عليها شيئاً الا لحقته ولا طلبني عليها أحد الا فته وانما سميت الشبكة لانها لم ترد شيئاً الا أدركته فكانت كالشبكة في صيده فقلت له اذ نصحتني فوالله لأ نصحنك كان من صورتي البارحة كيت وكيت

فقصصت عليه قصة امرأته والعبد وحيلتي في الفرس فأطرق ثم رفع رأسه فقال لا جزاك الله من طارق خيرا طلقت زوجتي وأخذت فرسي وقتلت عبدي

(روي) ان رجلا نام في مسجد وتحت رأسه كيس فيه الف وخمسمائة دينار قال فما شعرت الا بانسان جذبه من تحت رأسي فانتبهت فزعا فاذا شاب قد أخذ الكيس ومر يعدو فقمت لاعدو خلفه فاذا رجلي مشدودة بخيط قنب في وتد مضروب في آخر المسجد فالى ان تخلصت غاب الرجل عن عيني اه

(روي) انه كان بالبصرة رجل من اللصوص يلش بالليل فاروجدا مقدام يقال له عباس بن الخياطة قد غلب الامراء واشجى اهل البلد فلم يزالوا يحتالون الى ان وقع وكبل بمائة رطل حديد وجلس فلما كان بعد سنة من حبسه او اكثر دخل قوم الابلة على رجل تاجر كان عنده جوهر بعشرات فسرقوه الوف دنانير وكان مستيقظا جدا فجاء الى البصرة يتظلم واعانه خلق من التجار وقال للامير انت دسست على جوهري وما خصمي سواك فورد عليه امر عظيم وخلا بالبوابين يتوعدهم فاستنظروه فانظرهم وطلبوا واجتهدوا فما عرفوا فاعل ذلك فراجعهم الرجل والح فاستأجلوا الامير مرة أخرى وجاء أحد البوابين الى الحبس فتخادم لابن الخياطة ولازمه نحو شهر وتذلل له في الحبس فقال له قد وجب حقك علي فما حاجتك قال جوهر فلان المأخوذ بالابلة لابد ان يكون عندك منه خبر فان دماءنا مرتهنة به وحدثه الحديث فرفع

ذيله فاذا سقط الجوهر تحته فسلمه الي وقال قد وهبته لك فاستعظم ذلك
وجاء بالسفط الى الامير فسأله عن القصة فاخبره بها فقال علي بماص
فجيء به فأمر بالافراج عنه وازالة قيوده وأدخله الحمام وخلع عليه
وأجلسه في مجلسه مكرماً واستدعي الطعام فواكله وبيته عنده فلما كان
من الغد خلا به وقال أنا أعلم أنك لو ضربت مائة الف سوط ماأقررت
كيف كانت صورة أخذ الجوهر قال علي أني ومن ماوتني عليه آمنون
وانك لاتطالبنا بالقوم الذين اخذوه قال نعم فقال ان جماعة اللصوص
جؤني الى الحبس وذكروا حال هذا الجوهر وان دار التاجر لا يجوز
ان يتطرق عليها نقب ولا تسليق وعليها بابان من حديد والرجل
متيقظ وقد راعوه سنة فا أمكنهم وسألوني فساعدتهم ودفعت الى
السجان مائة دينار وحلفت له بالايمان الغليظة انه ان أطلقني عدت اليه
من غد وانه وان لم يفعل ذلك اغتلته فقتلته في الحبس فأطلقني فنزعت
الحديد وتركته فخرجت المغرب فوصلنا الى الاباة العتمة وخرجنا الى
دار الرجل فاذا هو في المسجد وبابه مغلق فقلت لاحدهم تصدق من
الباب فتصدق فلما جاؤا ليتصحوا قلت له إختفي ففعل ذلك مرات
والجارية تخرج فاذا لم تر أحداً عادت الى أن خرجت من الباب ومشت
خطوات تطلب السائل فتشاغلت بدفع الصدقة اليه فدخلت أنا الي
الدار فاذا في الدهليز بيت فيه حمار فدخلته وقفت تحت الحمار
وطرحت الجل علي وعليه وجاء الرجل فاغلق الابواب وفتش ونام
على سرير عال والجوهر تحته فلما انتصف الليل قت الي شاة فى الدار

فحركت أذنها فصاحت فقال الرجل للجارية اطرحي لها علفاً ففعلت ونامت فحركت أذنها فصاحت فقال ويلك أقول لك اقتديها قالت قد فعلت قال كذبت وقام بنفسه ليطرح لها علفاً فخالسته الى السرير وفتحت الخزانة وأخذت السفط فعدت الى موضعي وعاد الرجل فنام واجتهدت أنا أن أجد لى حيلة باب أنقب الى دار بعض الجيران فاخرج فما قدرت لان جميع الدار مؤزرة بالساج ورمت صعود السطح فما قدرت لان المفارق مقفلة بثلاثة اقفال فممدت الى ذبح الرجل ثم استقبحت ذلك وقلت هذا بين يدى ان لم أجد حيلة غيرها فلما كان السحر عدت الى موضعي تحت الحمار وانتبه الرجل يريد الخروج فقال للجارية افتحي الاقفال عن الباب ودعيه مترساً ففعلت وقربت من الحمار فرفس فصاحت فخرجت أنا ففتحت المترس وخرجت اعدو حتى جئت الى الشرعة ووقعت الصيحة فى دار الرجل فطالبني اصحابي ان أعطيهم شيئاً منه فقلت لا هذه قصة عظيمة وأخاف ان ينتبه علينا ولكن دعوه عندى فان مضى على الحديث ثلاثة اشهر فانكم تصبروا الىّ أعطكم النصف وان ظهر خفت عليكم وعلى نفسي وجملته حقنا لدمائكم فرضوا بذلك فارسل الله هذا البواب بلية يخدمني فاستحييت منه وخفت ان يقتل هو وأصحابه وقد كنت وطنت نفسى للصبر على كل عذاب فدخلتم على من طريق أخرى لم أستحسن فى الفتوة معها الا الصدق فقال له الامير جزاء هذا الفعل ان اطلقك ولكن تتوب فتاب وجعله الامير بعض اصحابه وأسنى له الرزق واستقامت طريقته

(وروى) عن طالوت بن عباد الصيرفي انه قال كنت ليلة نائماً بالبصرة في فراشي وحراسي يحرسوني وابوابي مقفلة فاذا أنا بابن الخياطة ينبهني من فراشي فانتبهت فزعاً فقلت من انت فقال ابن الخياطة فتلفت فقال لي لا تخف قد اردت الساعة خمسمائة دينار اقترضني إياها واردها عليك فاخرجت خمسمائة دينار فدفعتها إليه فقال نم ولا تتبعني لاخرج من حيث جئت والا قتلتك قال وأنا اسمع صوت حراسي ولا أدري من اين دخل ولا من حيث خرج وكتمت الحديث خوفاً منه وزدت في الحرس ومضت ليال واذا أنا به قد نبهني على تلك الصورة فقلت مرحباً ما تريد قال جئت بتلك الدنانير تأخذها مني فقلت انت في حل منها وان أردت شيئاً آخر نفذ فقال لا أريد من لصح التجار شاركهم في أموالهم ولو كنت أردت أخذ مالك باللصوصية فعلت ولكنك رئيس بلدك وما أريد اذايتك فان ذلك يخرج عن الفتوة ولكن خذها فان احتجت الى شيء بعد هذا أخذت منك فقلت ان عودك اليَّ يفزعني ولكن اذا أردت شيئاً فأتني اليَّ نهاراً أو رسولك فقال افعل وأخذت الدنانير منه وانصرف وكان رسوله يجيئني بعلامة بعد ذلك فاعطيه ويرده بعد مدة ما اكثر لى عنده شيء الى ان قبض عليه انتهى

(وروى) ان رجلاً اشترى من مخلطي قطعة صابون ومضى الى النهر ليغسل ثيابه فلما وصل اخرجها فاذا هي قطعة آجر فصعب الامر عليه وقال هذا يبيع الناس آجرا أوصابونا فمضى اليه ليردها

فلما وصل قال ويحك أنبيع الناس آجرا أو صابونا قال كيف أبيع آجرا فاخرجها من كمه فاذا هي صابون فاستحى ورجع الى النهر فاخرجها فاذا هي آجرة فعاد اليه ووبخه وأخرجها فاذا هي قطعة صابون فعاد مرة أخرى كذلك حتى ضجر فقال له المخاطي لا يضيق صدرك فان لنا ولد قد اخرجناه لعلمه ان يحتال وانك كلما مضيت قال هذا واذا رأك قد عدت لردها اعادها فى كمك وانت لا تعلم (وروى) ان رجلاً جاء الى بزاز فاستقصى منه ثياباً بثلاثمائة دينار ثم وزنها له فلما تسلمها صاحب الثياب قال له الرجـل لقد غبنتني فعاد وجمع الدنانير وأنزلها فى خرقة وختمها ورمى بها فى كم غلامه ثم قال ما أنا الا متردد افتأذن لى أن أرى الثياب من اشتريتها له فان رضى والا رددتها قال نعم فادخل يده فى كم غلامه فاستخرج الخرقة فرمى بها الى البزاز وأخذ الثياب ومضى ففتح البزاز الخرقة فاذا بها فلوس وقد جعل فى كم غلامه خرقة مثلها وفيها وزن الثلاثمائة

(قال أبو الفتح البصري) اجتمع جماعة من اللصوص فاجتازعليهم شيخ صيرفي معه كيس فقال احدهم ماتقولون فيمن يأخذ كيس هذا قالوا كيف تفعل قال انظروا ثم تبعه الى منزله فدخل الشيخ فرمى بكيسه على الصفة وقال للجارية انا حاقن فالحقيني بماء فى الغرفة وصعد فدخل اللص وأخذ الكيس وجاء الى اصحابه فحدثهم فقالوا ما عملت شيئاً تركته يضرب الجارية ويعذبها وماهذا بمليح قال فكيف تريدون قالوا تخلص الجارية من الضرب وتأخذ الكيس قال نعم فمضى وطرق الباب فاذا به

يضرب الجارية فقال من قال غلام جارك في الدكان فخرج فقال ماذا تريد فقال سيدي يسلم عليك ويقول لك قد تغيرت ترمي كيسك في الدكان وتمضي ولولا آثار أبنائه كان قد أخذ وأخرج الكيس فقال أليس هذا هو قال بلى والله هو ثم أخذه فقال لا بل أعطانيه وادخل فاكتب في رقعة انك قد تسلمت الكيس حتى اتخلص أنا ويرجع اليك مالك فناوله اياه ودخل ليكتب فأخذه ومضى اه

(وروى) عن رجل من الجندانه قال خرجت من بعض بلدان الشام اريد قرية من قراها فلما صرت في الطريق وقد سرت عدة فراسخ تعبت وكنت على دابة وعليها خرجي ورحلي وقد قرب المساء فاذا بحصن عظيم وفيه راهب في صومعة فنزل الي واستقبلني وسألني المبيت عنده وان يضيفني ففعلت فلما دخلت الدير لم أجد فيه غيري فأخذ دابتي وطرح لها شعيراً وعزل رحلي في بيت وجاءني بماء حار وكان الزمان شديد البرد والثلج يسقط وأوقد بين يدي ناراً عظيمة وجاءني بطعام طيب فأكلت ومضت قطعة من الليل فأردت النوم فسألته عن طريق المستراح فدلني على طريقه وكنا في غرفة فمشيت فلما صرت على باب المستراح اذا بارية عظيمة فلما صارت رجلي عليها نزلت فاذا أنا بالصحراء واذا البارية كانت مطروحة على غير تسقيف وكان الثلج يسقط سقوطاً عظيما فصحت فما كلمني فقمت وقد تجرح بدني الا أني سالم فجئت فاستظللت بطاق باب الحصن من الثلج فاذا حجارة قد جاءتني لو تمكنت من دماغي لطحنته فخرجت أعدو وأصبح

فتشمني فعلمت ان ذلك من جانب طمع في رحلى فلما خرجت وقع
الثلج على وبلّ ثيابي ونظرت فاذا أنا تالف بالبرد والثلج فولد الفكر
ان طلبت حجراً فيه نحو ثلاثين رطلا فوضعته على عاتقي وأقبلت
أعدو في الصحراء شوطاً طويلا حتى أتعب واذا تعبت وحميت وعرقت
طرحت الحجر وجلست استريح فاذا سكنت وأخذني البرد تناولت
الحجر وسعيت كذلك الى الغداة فلما كان قبل طلوع الشمس وأنا خلف
الحصن اذ سمعت صوت باب الدير قد فتح واذا بالراهب قد خرج
وجاء الي الموضع الذي سقطت منه فلما لم يرض قال ياقوم مافعل وأنا
أسمعه وأظن المشؤم قد رأى بقربه قرية فقام يمشي اليها كيف أعمل
قال وأقبل يمشي نخالفته أنا الى الباب ودخلت الحصن وقد مشا هو من
ذلك المكان فطلبني حوالى الحصن فحصلت أنا خلف باب الحصن وقد كان في
وسطي سكين لم يعلم بها الراهب فوقفت خلف الباب فطاف الراهب فلما لم
يقف لي على أثر عاد ودخل وأغلق الباب فحين صار من داخل الحصن
خفت ان يراني فبرزت اليه وأوجأته بالسكين وصرعته وذبحته وأغلقت
باب الحصن وصعدت الى الغرفة واصطليت بنار كانت موقودة هناك
وطرحت عليّ من تلك الثياب وفتحت خرجي ولبست منه ثياباً
وأخذت كساء الراهب فنمت فيه فما افقت الا قريب العصر ثم انتبهت
فطفت الحصن حتى وقفت على طعام فاكلت منه وسكنت نفسي
ووقعت بمفاتيح بيوت الحصن وأقبلت أفتح بيتاً بيتاً فاذا باموال
عظيمة من عين وورق وأمتعة وثياب وآلات ورحال قوم واخراجهم

وحولانهم واذا الراهب من عادته تلك الحال مع كل من يجتاز وحيداً فيتمكن منه فلم أدر كيف احمل في نقل المال فلبست من ثياب الراهب شيئاً وأقمت في صومعته أياماً أتراآى لمن يجتاز بي في الموضع من بعيد لئلا يتشكوا في اني أنا هو فاذا قربوا لم أبرز لهم وجهي الى ان اخفي خبري ثم نزعت تلك الثياب وأخذت جوالقين مما كان في الدير من تلك الامتعة وملأتهما مالاً وجعلتهما على الدابة وسقتها الى أقرب قرية كانت واكتريت فيها منزلاً ولم أزل انقل اليه الصامت حتى حملته كله ثم ما خف وكثرت قيمته حتى لم ادع الا الامتعة الثقيلة فاكتريت جمالا وحميراً ورجالاً وجئت بهم دفعة واحدة وحملت كل ما قدرت عليه وسرت في قافلة عظيمة لنفسي بغنيمة هائلة حتى قدمت بلدي وقد حصل لي عشرات الوف دراهم ودنانير كثيرة مع قيمة الامتعة وغصت في الارض فاعرف خبري انتهي والله تعالى أعلم

﴿ الباب الثاني عشر في اخبار النساء ﴾

روى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء عن هشام بن محمد الكلبي عن ابيه قال كان جذيمة بن مالك ملكاً على الحيرة وما حولها من السواد ملك ستين سنة وكان به وضح وكان شديد السلطان قد خافه القريب وهابه البعيد فهيبته العرب ان يقولوا الابرص فقالوا الابرش فغزا مليح بن البراء وكان ملكا على الحضر وهو الحاجز بين الروم والفرس فقتله جذيمة وطرد ابنته الزبا الى الشام فلحقت بالروم وكانت

عربية اللسان حسنة البيان شديدة السلطان كبيرة الهمة قال ابن
الكلبي ولم يكن في نساء عصرها اجمل منها وكان اسمها فارعة وكان
لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء قال
ابن الكلبي وبعث عيسى بن مريم بعد قتل ابيها فبلغت بها همتها ان
جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار ابيها ومملكته فازالت
جذيمة الابرش عنها وابتنت على عراقي الفرات مدينتين متقابلتين من
شرقي الفرات وغربيه وجعلت بينهما نفقاً تحت الفرات وكان اذا رهقها
الاعداء آوت اليه وتحصنت به وكانت قد اعتزلت الرجال فهي عذراء
بتول وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة فحدثت جذيمة نفسه
بخطبتها فجمع خاصته وشاورهم في ذلك وكان له ابن عم يقال له قصير
بن سعد وكان عاقلاً لبيباً وكان خازنه وصاحب امره وعميد دولته
فسكت القوم وتكلم قصير فقال أبيت اللعن أيها الملك ان الزباء قد
حرمت الرجال فهي عذراء بتول لا ترغب في مال ولا في جمال
ولها عندك ثار والدم لا ينام وانما تاركتك رهبة وحذراً والحقد
دفين في سويداء القلب له كمون كمون النار في الحجر ان قدحته
أورى وان تركته توارى وللملك في بنات الملوك الاكفاء متسع ولهن
فيه منتفع وقد رفع الله قدرك عن الطمع فيمن دونك وعظم شأنك
فما احد فوقك فقال جذيمة يا قصير الرأي ما رأيته والحزم ما قلته
ولكن النفس تواقة والى ما تحب وتهوى مشتاقة ولكل أمر قدر
لا مفر عنه ولا وزر فوجه اليها خاطباً فقال إئت الزباء فاذكر لها ما

برغبها وتصبو اليه لجاءها خطيبه فلما سمعت كلامه وعرفت مراده قالت له انعم بك عيناً وبما جئت به وله واظهرت له السرور به والرغبة فيه واكرمت مقدمه ورفعت موضعه وقالت قد كنت اضربت عن هذا الامر خوفاً ان لا أجد كفؤاً والملك فوق قدري وأنا دون قدره وقد اجبت الى ما سأل ورغبت فيما قال ولو ان السعي في مثل هذا الامر ليس الا للرجال لسرت اليه ونزلت عليه ثم أهدت له هدية سنية ساقت بها العبيد والاماء والكراع والسلاح والاموال والابل والغنم وحملت من الثياب والعين والورق فلما رجع عليه خطيبه اعجبه ما سمع من الجواب وابهجه ما رأى من اللطف وظن ان ذلك لحصول رغبتها فاعجبته نفسه وسار من فوره فيمن يثق به من خاصته وأهل مملكته ومنهم قصير خازنه واستخلف على مملكته ابن أخته عمرو بن عدي وهو أول ملوك الحيرة من لخم وكان ملكه عشرين سنة وهو الذي استطفته الجن وهو صبي وردته وقد شب فقالت أمه البسوه الطوق فقال خاله جذيمة شب عمرو عن الطوق فذهب مثلا فاستخلفه وسار الى الزبا فلما صار قريباً منها نزل واكل وشرب واستعاد المشورة والرأي على اصحابه فسكت القوم وافتتح الكلام قصير بن سعد فقال أيها الملك كل عزم لا يؤيد بحزم ولا تثق بزخرف قول لا محصول له ولا تعقد الرأي بالهوى فيفسد ولا يأتي بخير ولا الحزم بالمنى فيبعد والرأي عندي للملك ان يتعقب امره بالتثبت ويأخذ حذره بالتيقظ ولولا ان الامور تجري بالمقدور لعزمت على الملك عزماً ثابتاً أن لا يفعل فأقبل جذيمة على الجماعة فقال ما

عندكم أنتم في ذلك فصوبوا رأيه وقووا عزمه فقال جذيمة الرأى مع الجماعة والصواب ما رأيتم فقال قصير أرى القدر يسابق الحذر ولا يطاع لقصير أمر فأرسلها مثلا وسار جذيمة فلما قرب من دار الزبا نزل وأرسل اليها يعلمها بمجيئه فرحبت وقربت وأظهرت السرور به والرغبة فيه وأمرت أن يحمل اليه الانزال والعلوفات وقالت لجندها وخاصة أهل مملكتها وعامة أهل دولتها وعيتها تلقوا سيدكم وملك دولتكم وعاد الرسول اليه بما رأى وسمع فلما أراد جذيمة أن يسير دعا قصيراً فقال أنت على رأيك قال نعم قد زادت بصيرتي فيه وقال ليست الامور لصاحب من لم ينظر في العواقب وقد يستدرك الامر قبل فوته وفي يدى الملك بقية هو بها مسلط على استدراك الصواب فانك وثقت بانك ذو ملك وسلطان وعشيرة ومكان فانك قد نزعت يدك من سلطانك وفارقت عشيرتك ومكانك والقيتها في يد من لست آمن عليك مكره وقدوه فان كنت ولا بد فاعلا ولهواك تابعاً فان القوم ان تلقوك غدا فرقا وساروا أمامك وجاء قوم وذهب قوم فالامر في يدك والامر فيه اليك وان تلقوك رزماً واحداً وقاموا لك صفين حتى اذا توسطتهم انقضوا اليك من كل جانب فأحدقوا بك فقد ملكوك وصرت في قبضتهم وهذه العصا لا يشق غبارها وكانت لجذيمة فرس تسبق الطير وتجارى الريح يقال لها العصا فاذا كان كذلك فتجلل ظهرها فهي ناجية بك ان ملكت ناصيتها فسمع جذيمة كلامه ولم يرد جواباً وسار وكانت الزبا لما علمت بقدومه ورجوع رسول جذيمة من عندها قالت لجندها اذا أقبل جذيمة غداً

فتلقوه بأجمكم وقوموا له صفين عن يمينه وعن شماله فاذا توسط جمكم فاقتضوا عليه من كل جانب حتى تحدقوا به وإياكم أن يفوتكم وسار جذيمة وقصير عن يمينه فلما لقيه القوم تجمعوا زردقاً واحداً وقاموا له صفين فلما توسطهم أقتضوا عليه من كل جانب انقضاض الاجدل على فريسته وأحدقوا به وعلموا أنهم قد ملكوه وكان قصير يسايره فأقبل عليه وقال صدقت ياقصير فقال قصير أيها الملك أبطأت بالجواب حتى فات الصواب فأرسله مثلا فقال كيف الرأي الآن فقال هذه العصا فدونكها لعلك تنجو بها فأنف جذيمة من ذلك وسارت به الجيوش فلما رأى قصير أن جذيمة قد استسلم للاسر وأيقن بالقتل جمع نفسه وصار على ظهر العصا وأعطاها عنانها وزجرها فذهبت به هوي الريح فنظر اليه جذيمة وهو يتطاول به وأشرفت الزبا من قصرها فقالت ما احسنك من عروس تجلى عليّ وتزف اليّ حتى دخلوا به على الزبا ولم يكن معها في قصرها الا جوار أبكار أتراب وكانت جالسة على سريرها وحولها ألف وصيفة كل واحدة لا تشبه صاحبتها في خلق ولا زي وفي بينهن كأنها قمر قد حفت به النجوم يزهو فأمرت بالانطاع فبسطت وقالت لوصائفها خذوا بيد سيدكن وبعل مولاتكن فأخذن بيده فأجلسنه على الانطاع بحيث تراه ويراها وتسمع كلامه ويسمع كلامها ثم أمرت الجواري يقطعن رواهشه ووضعت الطشت تحت يديه فجعلت دماؤه تتشخب في الطشت فقطرت قطرة على النطع فقالت لجواريها لا تضيعوا دم الملك فقال جذيمة لا يحزنك دم أراقه أهله فلما مات قالت والله ما

وفى دمك ولا شفا قتلك ولكنه غيض من فيض ثم امرت به فدفن وكان جذيمة قد استخلف على مملكته ابن اخته عمرو بن عدى وكان يخرج كل يوم الى ظهر الحيرة يطلب الخبر ويقتفى الاثر من خاله فخرج ذات يوم فنظر الى فارس قد أقبل يهوى به فرسه هوى الريح فقال أما الفرس ففرس جذيمة وأما الراكب فكالبهيمة لامر ماجاءت العصا فاشرف عليهم قصير فقالوا ما وراءك قال سعى القدر بالملك الى الحتف عن رغم أنفي وأنفه فاطلب بثأرك من الزبا فقال عمرو أى ثار يطلب من الزبا وهى أمنع من عقاب الجو قال قصير قد علمت نصحى كان لخالك وكان الاجل رائده وانى والله لا أنام عن الطلب بدمه ما لاح نجم وطلعت شمس أو ادرك به ثاراً أو تخترم نفسى فاعذر ثم انه عمد الى أنفه فجدعه ثم لحق بالزبا هارباً من عمرو بن عدى فقيل لها هذا قصير ابن عم جذيمة وخازنه وصاحب أمره قد جاءك فاذنت له فقالت ما الذى جاء بك الينا ياقصير وبيننا وبينك دم عظيم الخطر فقال يا ابنة الملوك العظام لقد أتيت فيما يؤتى مثلك فى مثله ولقد كان دم الملك يطلبه حتى أدركه وقد جئتك مستجيراً بك من عمرو بن عدى اتهمنى بخاله ومشورتى عليه والمسير اليك بجدع انفى وأخذ مالى وحال بينى وبين عيالى وتهددنى بالقتل وانى خشيته على نفسى فهربت منه اليك مستجيراً بك ومستندا الى كهف عزمك فقالت أهلا وسهلا لك حق الجوار وذمة المستجير وأمرت به فانزل واجرت له الانزال واوصلته واكسته واخدمته وزادت فى الاكرام ثم

انه قام مدة لا يكلمها ولا تكلمه وهو يطلب الحيلة عليها وموضع الفرصة منها وكانت ممتنعة بقصر مشيد على باب النفق لتعتصم به فلا يقدر أحد عليها فقال لها قصير يوماً ان لي بالعراق مالاً كثيراً وذخائر نفيسة مما يصلح الملوك فان اذنت لي بالخروج الى العراق واعطيتني شيئاً أتعلل به في التجارة واجعله سبباً الي الوصول الى مالي أتيتك بما قدرت عليه من ذلك فأذنت له وأعطته مالا فقدم العراق وبلاد كسرى فأطرفها من طرائفه وزادها مالا الي مالها كثيراً وقدم عليها به فأعجبها ذلك وسرها وترتبت له عندها منزلة وعاد الى العراق ثانية فقدم بأكثر من ذلك طرفاً من الجوهر والبز والخز والديباج فازداد مكانه ومنزلته عندها ورغبتها فيه ولم يزل قصير يتلطف حتى عرف موضع النفق الذي تحت الفرات والطريق اليه ثم خرج ثالثة فقدم بأكثر من الاولتين طرائف ولطائف فبلغ مكانه منها وموضعه عندها الى ان كانت تستعين به في مهمها وملمها واسترسلت اليه وعولت في أمورها عليه وكان قصير رجلا حسن العقل والوجه لبيباً أديباً فقال له يوماً اني أريد أن أغزو البلد الفلاني من أرض الشام فأخرج الى العراق فأتني بكذا وكذا من الكراع والسلاح والعبيد والثياب فقال قصير ولي في بلاد عمرو بن عدى الف بعير وخزانة من السلاح فيها كذا وكذا ومايعلم عمرو بها ولو علمها لأخذها واستعان بها على حربك وكنت أتربص به المنون فانا أخرج متنكراً من حيث لا يعلم فآتيك بها مع الذي سألت فأعطته من المال ما أراد وقالت يا قصير الملك يصلح بمثلك وعلى يد مثلك يصلح أمره ولقد بلغني أن أمر

جذيمة كان ايراده واصداره اليك ماتقصر يدك عن شئ تناوله يدى ولما رأى قصير مكانه منها وتمكنه من قلبها قال الآن صاب المصاع فخرج من عندها فأتى عمرو بن عدي فقال قد أصبت الفرصة من الزبا فانهض فحجل الوثبة فقال له عمرو قل ومن أفعل فأنت طبيب هذه القرحة فقال الرجال والاموال قال حكمك فيها مسلط فعمد الى الفى بعير وأتى بالرجال فالبسهم السلاح والسيوف والحجب وأنزلهم في الغرائر السود وجعل رؤسهم المسوح من اسافلها مربوطة من داخل وكان عمرو فيهم وساق الخيل والعبيد والكراع والسلاح والابل محملة فجاءها البشير فقال قد جاء قصير ولما قرب المدينة حمل الرجال في الغرائر متسلحين السيوف والحجب وقال اذا توسطت الابل المدينة فالاشارة بيننا كذا وكذا فاخترطوا الربط فلما قربت العير من مدينة الزبا كانت الزبا في قصرها فرأت الابل تهادي باحمالها فارتابت وقد كان وشى بقصير اليها وحذرت منه وقالت للواشى به اليها ان قصير اليوم منا وهو ربيب هذه النعمة وضيع هذه الدولة وانما يبعثكم على ذلك الحسد وان ليس فيكم مثله فلما قدم ورأت من كثرة الابل وعظم أحمالها في نفسها مع ما عندها من قول الواشى به اليها فقالت

أري الجمال مشيها وئيدا اجندلا يحملن أم حديدا

ام صرفانا باداً شديداً امالرجال في المسوح السودا

ثم أقبلت على جواريها فقالت أرى الموت الاحمر في الغرائر السود فذهبت مثلا حتى اذا توسطت الابل المدينة وتكاملت القوم لهم الامارة

فاختر طوا رؤس الغرائر فسقط الى الارض الفاذراع بالفي باتر يقولون يال ثارات القتيل غدراً وخرجت الزبا تمنع تريد النفق فسبقها اليه قصير فحال بينها وبينه وادركها عمرو فلما رأت ان قد أحيط بها التقمت خاتماً في يدها تحت فصه سم ساعة فقالت بيدي لا بيدك يا عمرو فادركها عمرو وقصير فضرباها بالسيف حتى هلكت وملكوا مملكتها على لعمتها وخط قصير على قبر جذيمة وضرب عليه فسطاطاً وكتب على قبره

ملك تمتع بالعساكر والقنا والمشرفية عزة ما توصف

فسعت منيته الى اعدائه وهو المتوج بالحسام المرهف

(روى ان امرأة) أتت الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وأنا اكره ان اشكوه وهو يعمل بطاعة الله فقال لها أي نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب فقال له كعب الاسدي يا أمير المؤمنين هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته اياها عن فراشه فقال له عمر كما فهمت فاقض بينهما فقال كعب علي بزوجها فأتى به فقال له ان امرأتك هذه تشكوك قال أفي طعام قال لا قال أفي شراب قال لا فقالت المرأة

يا أيها القاضي الحكيم رشده ألهى خليلي عن فراشي سجده

زهده في مضجعي تعبده نهاره وليله ما يرقده

ولست في أمر النساء احمده

فقال زوجها

زهدني في فرشها وفي الحجل ... اني امره أذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب

ان لها حق عليك يارجل ... تصيبها في أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله عزّ وجل أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة ايام ولياليهن تعبد فيهن ربك ولها يوم وليلة فقال عمر ما أدرى أي امريك أعجب من فهمك امرهما أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة انتهى

(قال المفضل) دخلت على الرشيد وبين يديه طبق ورد وعنده جارية مليحة شاعرة أديبة قد أهديت اليه فقال يا مفضل قل في هذا الورد شيئاً يشبهه فانشأت أقول

كأنه خد مرموق يقبله ... فم الحبيب فقد ابدى به خجلا

فقالت الجارية

كأنه لون خدى حين يدفعني ... كف الرشيد لامر يوجب الغسلا

فقال يامفضل قم فاخرج فان هذه الجارية قد هيجتنا فقمت وأرخيت الستور دوني

(قال الاصمعي) كنت عند أمير المؤمنين أنشده اذ دخل عليه رجل معه جارية للبيع فتأملها الرشيد ثم قال خذ بيد جاريتك فلولا كلف في وجهها وخلس في أنفها لاشتريتها فانطلق بها فلما بلغت الستر

قال يا أمير المؤمنين أردفني اليك النسدك بيتين حضراني فردها فأنشأت تقول

ماسلم الظبي على حسنه كلا ولا البدر الذى يوصف

الظبي فيه خلس بين والبدر فيه نكتة تعرف

فأعجبته بلاغتها فاشتراها وقرب منزلها فكانت أحظي جواريه عنده

(ونظير هذه الحكاية) ما رواه الصفدي في تاريخه عن أبي الفرج الاصفهاني فى الاغاني قال كانت بنان جارية المعتمد مغنية حسنة الغناء شاعرة عرضت على المعتمد على الله فامتحنها في الغناء والكتابة فرضي عا ظهر له من أمرها ثم قال لابن حمدون مانها فقال

وهبت نفسي للهوي فقالت غير متوقفة فجار لما أن ملك

فقال فصرت عبداخاضعاً فقالت سلك بي حيث سلك

فأمر المعتمد بشرائها فأبيعت بثلاثين الف درهم

(وروي ان أبا نواس) حضر يوماً عندزهير بن المسيب صاحب شرطة الرشيد فأخرج له جارية من جواريه شاعرة يقال لها عجيبة وسأله أن يمتحنها فقال

لحسن فيها صليع * له القلوب تريع * فما اليها سبيل * ولا لديها شفيع

فقالت الجارية مجيبة له

أبو نواس خليع * له أقر الجميع * وواحد الناس طرا * له الكلام البديع

(حكي ان اعرابياً) بعث غلاماً الى امرأة بواعدها موضعاً يأتيها فيه فذهب الغلام وأبلغها الرسالة فكرهت المرأة أن تقر الغلام

بما بينهما فقالت له والله لئن أخذتك لامركن أذنك مركة تبكي منها وتستند الى تحت الشجرة ويغشى عليك الى وقت العتمة فلم يعرف الغلام معنى هذا الكلام وانصرف الى صاحبه وحكى له الحديث فعلم أنها قد واعدته تحت الشجرة وقت العتمة

(قال الجاحظ) رأيت جارية ببغداد فقلت لها ما اسمك فقالت مكة قلت الله أكبر قد قرب الله الحج أتأذنين ان أقبل الحجر الاسود قالت اليك عني ألم تسمع إن الله يقول لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس

(قال الفضل بن ابراهيم) مرّ شاعر بنسوة فاعجبه شأنهن فانشأ يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا   نعوذ بالله من شر الشياطين

قال فاجابته واحدة منهن

ان النساء رياحين خلقن لكم   وكلكم يشتهي شم الرياحين

(وسئل اعرابي) عن النساء وكان ذا تجربة وعلم بهن فقال أفضل النساء اطولهن اذا قامت • وأعظمهن اذا قعدت • واصدقهن اذا قالت • اذا غضبت حلت • واذا ضحكت تبسمت • واذا صنعت شيئاً جودت • التي تطيع زوجها وتلازم بيتها • العزيزة في قومها • الذليلة في نفسها • الودود الولود • وكل أمرها محمود

(روى ان بعض العرب) اتهمته زوجته بجارية ليلاً فانكر فقالت بلى وقد رأيتك بعيني فلع في الانكار فامرته ان يقرأ من القرآن ما تستدل به على صدقه فقال

شهدت بان وعد الله حق ... وان النار مثوى الكافرين
وان العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمين
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الاله مسومين

فلم تشك انه من القرآن وصدقته (ونظيرها ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء) قال كان عبد الله بن رواحة مضطجعاً الى جنب امرأته فخرج الى بعض الحجر فواقع جارية له فانتبهت المرأة من نومها فلم تجده الى جنبها فاذا هو مع الجارية فاخذت حديدة فالتفت اليه فلقيته راجعاً فقالت ما انى لو وجدتك حيث كنت لفجرت بها بطنك فقال لها ولم ذلك فقالت لانك كنت مع جاريتك فانكر ذلك فقالت بلى وقد رأيتك بعينى فلج فى الانكار فقالت له فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الجنب عن قراءة القرآن فاقرأ اذاً منه ما أعلم به صدقك فقال عبد الله عند ذلك

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... كما الشق مشهور من الصبح ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا ... موقنات ان ما قال واقع
وبات يجافى جنبه عن فراشه ... اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

قال فلما سمعت قوله قالت آمنت بالله وكذبت بصري قال عبد الله فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فضحك حتى بدت نواجذه (قال نافع ورأته مرة أخرى) وقد علاها فقالت له فى ذلك فقال سبحان الله قالت اقرأ عليّ اذا قال

شهدت باذن الله ان محمداً ... رسول الذي فوق السموات من عل

وان أبا يحيي ويحيي كلاهما له عمل من ربه متقبل
(روى ان رجلاً من تميم) كانت له ابنة جميلة وكان غيوراً فابتنى
لها فى داره صومعة وجعلها فيها وزوجها من اكفائها من بني عمها
وان فتى من كنانة مرّ بالصومعة فنظر اليها ونظرت اليه فاشتد كل
واحد منهما بصاحبه ولم يمكنه الوصول اليها وانه افتعل بيتاً من الشعر
ودعا غلاماً من الحى فعلمه البيت وقال له ادخل هذه الدار وانشد
كأنك لاعب ولا ترفع رأسك ولا تصوبه ولا تومئ فى ذلك الى أحد
ففعل الغلام ما أمر به وكان زوج الجارية قد أزمع على سفر بعيد
يوم أو يومين فانشأ الغلام يقول

لحى الله من يلحى على الحب أهله ومن يمنع النفس اللجوج هواها

قال فسمعت الجارية ففهمت فقالت

الا أن بين الجمع والتفرق ليلة ويوم ولعطى كل نفس مناها

قال فسمعت الام ففهمت فانشأت تقول

الا انما يعنون ناقة رحلكم فمن كان ذا نوق لديه رعاها

قال فسمع الاب ففهم فانشأ يقول

وانا سنرعاها ونوثق قيدها ونطرد عنها كل وحش اتاها

قال فسمع الزوج ففهم فانشأ يقول

سمعت الذى قلتم فها أنا مطلق فتاتكم مهجورة لبلاها

قال فطلقها الزوج وخطبها ذلك الفتى وأرغبهم فى المهر فتزوجها (قيل
كانت هند بنت الحسن تحاجي الرجال فربها رجل فسألته المحاجات

فقال لها كاد • فقالت كاد العروس ان يكون أميراً فقال كاد • فقالت كاد المستعمل ان يكون راكباً • فقال كاد • فقالت كاد الفقران يكون كفراً • فقال كاد فقالت كاد البخيل ان يكون كلباً ثم حاجاها فقالت له عجبت قال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لمقرة بين فخذيك لا يحل حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وانقطعت (قال ابن السيراقي) عن ابن قطامي كان شن رجل من دهات العرب فقال والله لأطرقن حتى أجد امرأة مثلي فأتزوجها فسار حتى لقي رجلا يريد قرية يريدها شن فصحبه فلما انطلقا قال له شن أتحملني أو احملك فقال الرجل ياجاهل كيف يحمل الراكب الراكب فسارا حتى رأيا زرعا قد استحصد قال شن أترى هذا الزرع قد اكل أم لا فقال ياجاهل أما تراه قائماً فاستقبلتهما جنازة فقال أترى صاحبها حياً أو ميتاً فقال ما رأيت اجهل منك أتراهم حملوا الى القبور حياً ثم سار به الرجل الى منزله وكانت له ابنة يقال لها طبقة فقص عليها قصته فقالت أما قوله تحملني أو احملك فانه أراد تحدثني أم احدثك حتى تقطع طريقنا وأما قوله أترى هذا الزرع أكل أم لا فانه أراد اباعه أهله فاكلوا ثمنه أم لا وأما قوله في الميت فانه أراد ترك عقباً يحيي به ذكره أم لا فخرج الرجل فحادثه ثم أخبره بقول ابنته فخطبها اليه فزوجه اياها فحملها الى أهله فلما عرفوا عقلها ودهاها قالوا وافق شن طبقه

(وروي) أن امرأة جلست على باب دكان بزار عزب الى أب

أمست فلما أراد غلق الدكان تراءت له فقال لها ما هــذا المساء فقالت والله مالي مكان أبيت فقال تمضين معي البيت فقالت نم فمضي بها الى بيته وعرض عليها التزويج فاجابت فتزوجها وبقيت عنده أياماً واذا قد جاء في اليوم الرابع رجل ومعه نسوة فطلبوها فأدخلهم واكرمهم وقال من أنتم منها فقالوا أقاربها ابن عم وبنات عم وقد سررنا بما سمعنا من الوصلة غير أنا نسألك أن تتركها تزورنا لعرس بعض أقاربها فدخل اليها فقالت لاتجبهم الى ذلك وأحلف بطلاقي انك لاأخرجتني من دارك شهراً ليمضي زمن العرس فانه أصلح لي ولك والا أخذوني وأفســدوا قلبي عليك فاني كنت غضبي وتزوجت بغير مشورتهم ولا أدرى من قد دلهم اليك وقد علق قلبه بالمرأة فخرج وحلف كما ذكرت له فخرجوا ميؤيسين وأغلق البـاب وخرج الى الدكان فخرجت وراءه ولم تستصحب من الدار شيئاً فجـاء فلم يجدها فقال ترى ما الذى قصدت قال أبو الوفاء بن عقيل لعلها مستحلة به لاجلى زوج طلقها ثلاثاً فليتخوف الانسان من مثل هذا وليطلع به على غوامض حيل النساء

(عرض) على رجل جاريتان بكر وثيب فال الى البكر فقالت الثيب لم رغبت فيها دوني وما بيني وبينها الا يوم فقالت البكر وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون فأعجبتاه فاشتراهما

(روى مؤدب المسترشد) عن بعض التجار المسافرين قال كنا نجتمع من بلاد شتى في جامع عمرو بن العاصى فتتحدث فبينا نحن

جلوس يوماً واذا امرأة بقربنا تبكي في أصل السارية فقال لها رجل من التجار البغداديين ما شأنك فقالت أنا امرأة وحيدة غاب عني زوجي منذ أكثر من عشرين سنة ولم أسمع له خبراً فقصدت القاضي ليزوجني فامتنع وما ترك لي زوجي نفقة وأريد رجلا غريباً يشهد لي هو وأصحابه أن زوجي مات أو طلقني لاتزوج أو يقول أنا زوجها ويطلقني عنه القاضي لاصبر مدة العدة فقال لها الرجل تعطيني دينارين حتى أسير معك الى القاضي وأذكر له إني زوجك وأطلقك فبكت وقالت والله ما أملك غير هذه وأخرجت أربعة رباعيات فاخذها منها ومضي معها وأبطأ علينا فلما كان من الغداة لقيناه فقلنا ما أبطأ بك عنا فقال دعوني فاني حصلت في أمر ذكره فضيحة قلنا اخبرنا قال سرت معها الى القاضي وادعت علىّ الزوجية والغيبة عشر سنين وسألت أن أخلي سبيلها فصدقتها على ذلك فقال لها القاضي أتبرينه قالت لاوالله لي عليه صداق ونفقة عشر سنين وأنا مطالبة بذلك فقال ادفع اليها حقها ولك الخيار في طلاقها أو امساكها فورد علىّ ما أبلسني ولم أتجاسر أن أحكي صورتي معها فلا أصدق فتقدم القاضي بتسليمي الى صاحب الشرطة وتقرر الامر على عشرة دنانير اخذتها مني وغرمت للوكلاء وأعوان القاضي الاربع أرباعيات ومثلها من عندي فضحكنا منه وخرجنا من مصر فلم نعرف لها خبراً

(روى الشريف محمد بن عبد العزيز) الادريسي عن أبيه قال كنا أنا والرشيد والفقيه سليمان الديمي نجتمع بالقاهرة في منزل فغاب

عنا الرشيد يوماً وكان ذلك في عنفوان شبابه فجاءنا وقد مضى معظم النهار فقلنا ما أبطأ بك عنا فتبسم وقال لا تسألوا عما جرى فقلنا لابد وألححنا عليه فقال مررت اليوم بالموضع الفلاني واذا امرأة شابة صبيحة الوجه وضيئة المنظر حسنة الخلق ظريفة الشمائل فلما رأتني نظرت اليّ نظر مطمع لي في نفسها فتوهمت انى وقعت منها بموقع ونسيت نفسي وأشارت اليّ بطرفها فتبعتها وهي تدخل من سكة وتخرج من أخرى حتى دخلت داراً وأشارت الى فدخلت ورفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه ثم صفقت بيديها منادية باست الدار فنزلت اليها طفلة كأنها فلقة قمر فقالت لها ان رجعت تبولين في الفراش تركت سيدنا القاضي يأكلك ثم التفتت اليّ وقالت لاعدمني الله تفضل سيدنا القاضي أدام الله عزه فخرجت وأنا خزيان خجل لا أهتدي الطريق

(ونظيره في محاسن الغرر ومساوى العرر) عن الجاحظ قال كان دميم الصورة قبيح الوجه جاحظ العينين يحكى عنه أنه قال ما أخجلني قط الا امرأة أخذت بيدي واتت بي الى نجار وقالت مثل هذا ثم تركتني ومضت فبقيت متعجباً من أخذها لي مثالا فسألت النجار بعد ذلك فقال ان هذه المرأة سألتني ان اصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها فطلبت منها مثالا فجاءتني بك

(روى ان رجلا) أودع رجلامالا فلما تقاضاه جحده فقالت له امرأته انى ذاهبة الى منزله فاذا استقر جلوسى فتعال واطرق الباب وطالبه بما لك ثم أخذت حلياً كثيراً وثياباً فاخرة تساوى مالا عظيما

فجاءت هي وجاريتها الى الرجل فدخلت فقالت انى أريد أن أودعك وديعة لما بلغنى من صلاحك قال اوريني ما تودعينى فجعلت تخرج الجواهر الثمينة والحلي الكثير والثياب الرائعة واذا بالرجل قد طرق الباب فدخل فطالبه بالوديعة فقال الرجل له لقد كنت على أنتظارك فان لي مدة ما رأيتك ثم أخرج ماله فدفعه اليه فأخذه ومضى فقالت الجارية لسيدتها بالله ياسيدتي ما علمت أن غدا عرس فلانة وتحتاجي ان تلبسى هذه الثياب وهذا الحلي فاذا انقضى غدا العرس جئنا بالحلي اليه ثم نهضتا ومعهما جميع ما جاءتا به وسلم بذلك مال الرجل

(روي ان امرأة) كان لها عشيق فخلف عليها ان لم تحتالى حتى اطأك بمنظر من زوجك لم اكلك فوعدته ان تفعل ذلك فجلسا عندها يوماً وكانت فى دارهم نخلة طويلة فقالت للزوج اشتهي اصعد هذه النخلة فاجتنى منها رطباً بيدى فقال اصعدى فلما صارت في رأس النخلة أشرفت على زوجها فقالت يافاعل من هذه المرأة التي معك وبلك أما تستحي من الله تجامعها بحضرتي وأخذت تشتمه وتصيح وهو يحلف انه وحده وما معه أحد فنزلت وأخذت تخاصمه فحلف بطلاقها انه ماكان الا وحده وقال لها اقعدى حتى أصعد أنا فصعد فلما صار فى رأس النخلة استدعت صاحبها فوطئها فاطلع الزوج فرأى ذلك فقال لها جعلت فداك لا يكون فى نفسك شئ مما قذفتيني به فان كل من يصعد هذه النخلة يرى مثل ما رأيت انتهي

(قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي) قال لى ابن أبي وهب والله

لاحدثنك بحديث ما فتق سمعك أعجب منه قلت وما ذاك قال بينا أنا بسوق الليل بمكة أيام الموسم واذا أنا بامرأة من نساء مكة معها صبي يبكي وهي تسكته فأبي ان يسكت فاسفرت عن وجهها واخرجت من فيها كسر درهم ودفعته الى الصبي فسكت فاذا لها وجه رقيق كأنه قمر وثنايا كالدرر ولسان عذب فلما رأتني أحد النظر اليها قالت اتبعني قلت بشرط الحلال قالت ومن يريد لك حراماً فخجلت من قولها فغلبت الشهوة العقل فتبعتها فدخلت زقاق العطارين وصعدت درجة هنالك وقالت اصعد فصعدت فلما صرت في مكانها قالت اني امرأة مشغولة بزوج ولكن عندي امرأة صبية لها حسن ضيق ووجه أحسن من العافية بخلق ابن شريح وترنم معبد وتيه ابن عائشة وخنث طويس اجمع لك هذا باصفر سليم قلت وما اصفر سليم قالت دينار واحد في يومك وليلتك فان اقت جعل الدينار تزويجاً صحيحاً قلت لها ذاك عندي ان كان ما ذكرت صحيحاً فليس هذه صفة الدنيا بل صفة الجنة فاين هي فصفقت بيدها الى جارية فاجابتها فقالت قولي لفلانة البسي عليك ثيابك وعجلي ولا تمسي طيباً فحسبك بدلالك وعطرك فاذا أنا بجارية ما حسبت الا ان الشمس قد طلعت عليّ كأنها صورة تمثال فسلمت وقعدت كالخجلة فقالت لها الاولى ان هذا الذي ذكرت لك وهو في الهيئة التي ترين فقالت حياه الله وقرب داره قالت وقد بذل لك من الصداق ديناراً قالت هل اخبرته بشريطتي قالت لا والله لقد نسيتها ثم نظرت اليّ وغمزتني وقالت أتدرى ما شريطتها اكلمك

بحضرتها وهو شئ ما اخالك تكرهه منها قلت وما ذاك قلت انها اقتك من عمرو بن معدي كرب واشجع من عنترة بن عمرو بن شداد وربيعة ابن مكرم ولست تصل اليها حتى تسكر ويغلب على عقلها السكر فاذا بلغت تلك الحال فنيها المطمع للرجال فقال ما أهون هذا على واشباه الي وقالت الجارية تركت له شرطا آخر قالت ثم انك لا تقدر عليها أيضاً الا ان تجرد من ثيابك وتراك في المجلس مقبلا ومدبراً قال وهذا أيضاً حين فقالت هلم الدينار فاخرجت ديناراً فنقدته اليها فصفقت بيدها الاولى تصفيقة أخرى وقالت لها أمض الى أبي الحسن وأبي الحسين وقولي لهما هلما الساعة فقلت في نفسي ليت شعري من هما فاذا انا بشيخين نظيفين قد أقبلا وقعد فقصصت عليهما القصة فخطب احدهما وأجاز الآخر وأقررت بالتزويج واقررت المرأة بالرضى ودعوا لنا بالبركة وخرجا فاستقبحت ان اجمل مؤنة المرأة من الدينار فدفعت اليها ديناراً واحداً آخر وقلت لها هذا لطيبك فقالت باني لست ممن يمس الطيب لرجل انما أتطيب لنفسي قلت فاجعليه لغدائنا قالت اما هذا فنعم وخرجت من عندهم ومضيت وأمرت باصلاح ما يحتاج اليه ثم عدت اليهم فأتوا بطعام فتغدينا وأتوا بشراب يسرى في عروق الشارب كما يسرى السم في الملدوغ واندفعت تغنى بصوت ماسمعته قط ولا سمعت ترنما مثل ترنمها ولقد الفت بيوت القيان والمقامات في الشراب فما رأيت جارية حديثة السن أظرف منها وكلما رمت القيام اليها امتنعت فتأبى علي الى ان غنت شعراً لم أعرف معناها وهي تقول

رامو يصيدن الظباء واني لاري تصيدها عليّ حراما
اعزز علي ثان اروع سربها أوان تذوق على لدي حماما

فقلت لها جعلت فداك من غنى بهذا قالت اشترك فيه جماعة معبد وابن شريح وابن عائشة ويقال انه لمجنون بني عامر فلما قوى على الشراب وحان المغرب غنت بيتاً لم اعرف معناه للشقاء الذي أعد لي وكتب عليّ وهي تقول

كأني بالمجرد قـد علته نعال القوم والخشب الضواري

فقلت لهـا جعلت فداك هذا بيت لا أخ له قالت بلى معـه أخ وهو آخر ما أنفنى به هذه الليلة قال فبقيت لا أنازعها في شئ اجلالا لها وتعظيما فلما أمسيت وصليت العشاء الاخيرة ولم أعلم ما صليت من الشوق اليها فلما سلمت قلت أتأذني لي جعلت فداك بالدنو منك قالت مجرد وذهبت أيضاً كأنها تريد أن تتجرد فكدت أشق ثيابي عجلة للخروج منها فتجردت وقت بين يديها فقالت الى امض الى تلك الزاوية واقبل حتي أراك مقبلا ومدبرا وهناك قريب الزاوية حصر مبسوطين على خرق نافذ الى زقاق العطارين فما هو الا ان وضعت رجلاى عليها وقد سقطت فاذا أنا قائم في السوق واذا الشيخان الشاهدان فبينا أنا كذلك اذا أنا بصوت من فوق البيت تغني وتقول

ولو عـلم المجرد ما أردنا لبادر بالفرار الى الصحارى

فقلت في نفسي هذا والله البيت الذي كانت تعدني به وهذا وقت غنائه وهو آخر ما قالت فلما كادت نفسي تطفي جاءني رجل من اهل السوق

بقطعة إزار وقال لي بادر بالهرب قبل أن يدرك السلطان الخبر فتفتضح فمضيت الى رحلي ثم سألت عن الدار وصاحبتها وقالوا هذه امرأة من ولد أبي لهب لعنه الله ولعنها وهي من افنك خلق الله تخرج مع الحاج كل سنة ولا ينتصف منها أحسنها اهـ

(روى القاضي التنوخي) في كتابه أخبار المذاكرة ونشوار المحاضرة عن عبيد الله بن محمد الخفاف قال حدثني أبي قال حدثني صديق لي من أولاد الجند قال كنت مجتازاً يوماً في الكرخ ببغداد فرأيت امرأة لم أر أحسن منها قط فوقفت انظر اليها واذا بها قد ولت واذا بعجوز معها قد جاءتني فما زحتني عنها وقالت تقول لك تجيء في دعوتي فقلت لا يمكنني ان أمضي مع أحد ولكن تجيء في دعوتي أنا فقالت لا بل تجيء أنت فحملني فرط شهوتي لها الى ان حصلنا في طرف من الاطراف ببغداد ووافت الى باب فدقته فقالوا من هذا فقالت أنا صيد فخين قال ذلك وجب قلبي فوليت فقالت الى أين بأتي ما بدالك منا فقلت خير ودخلت البيت فاذا بدار فارغة قليلة الآلات جداً واذا بجارية سوداء قد جاءت بطشت وماء فغسلت وجهي ورجلي واسترحت وجاؤني بطعام غير نظيف فأكلت منه لفرط الجوع وخرجت الجارية واذا هي من أحسن النساء وجهاً وجاؤني بنبيذ فجلست اشرب وهي معي فاهويت اليها فمكنتني من عناقها فلما تجاوزت ذلك قالت اني لا ادخل في حرام واصبر حتى يجيء من يزوجني بك وجاءت للمغرب وصار الوقت بين الصلاتين واذا بالباب يدق فقالت

ويه ويه فقلت لها ما الخبر فقالت قد جاء أخي وغلامه وان رآك لم آمن عليك قم الى ذلك البيت فاختبئ فيه حتى اذا ناموا جئتك فادخلتني بيتاً فلما حصلت فيه زرقت بابه وايقنت انه مقفول ان ذلك لغرض كان في ثيابي ومالي فتبت الى الله من الحرام وعاهدته ان خلصني لأ ادخل في شيء من ذلك قال واقبلت اسمع ما يجري من خلف الباب فاذا بالداخل غلام اسود لم أر قط أهول منه خلقة ولا أعظم وهو يقبل المرأة وهي ترشفه ترشف عاشقة له وجلسا يتحدثان وجاؤه بما اكله وشربه ثم جامعها دفعات وقال لها في خلال ذلك ايش حصل اليوم فقالت ما وقع اليوم غير رجل مخذول لم يكن في كه شيء قال واخرجت ثيابي فسلمتها اليه ففتشها وضربها وقال هذا ايش نحن اردنا صاحب كيس كبير فقالت كما اتفق ولم تزل تقبل رجله وتبكي وتعتذر اليه الى ان رضى عنها وايقنت أنا بالهلاك واقبلت على الدعاء وما زالا يشربان وهو يجامعها في خلال ذلك الى ان عددت انه قد جامعها عشر دفعات وسكر فقالت له قد أخذ النبيذ منك ياسيدي قم فافرغ من هذا المشؤم حتى نخلص منه فتشهدت حينئذ ففتح الباب ودخل الاسود اليّ بسيف مسلول فما زال يضربني مرتعشاً وأنا أصيح فما يسمع أحد صياحي الى ان بردت واقطع صياحي ولم يشك الاسود في موتي فجذبني وطرحني في البئر واذا نحتي فيها اشراف ثلاثة فصرت أنا قريباً من رأسها فوق القوم فخرج ولم يغلق الباب فقالت له ما عملت قال فرغت منه وانا اسمع فنام الى جانبها وقامت العجوز

وجلتهم ولم يكن في الدار غيرهم فلما كان بعد نصف الليل حلتني حلاوة الحياة على طلب الخلاص فقمت فاذا البئر الى صدرى واذا أنا قوى فتسلقت وخرجت منها الى البيت ووقفت اتسمع فلم اسمع لهم حسا الا غطيطا يدل على نومهم نخرجت قليلا قليلا حتى فتحت الباب وخرجت من الدار وما شعروا بى فجئت الى بيتي قبل طلوع الشمس فقالوا ما دهاك فقلت كنت البارحة عند صديق لي وبكرت من عنده فلقيني لص يستقفيني فنعت ثيابي فاخذها وعملي في هذا فاقت شهوراً أعالج الى ان عوفيت فلما خرجت وتصرفت لم يكن لي هم الا طلب المرأة فى الطريق والاسواق فاجتزت يوماً بالكرخ فرأيتها فلم اكلها وعدت الى منزلي وكنت قد غيرت زي وطولت لحيتي حتى تغيرت لحيتي عليها ومشيت ويدى مكتوفة الى ظهري على مذهب الخراسانية فاتبعت الجارية بالهلاك وجئت اطلبها فصادفتها في الموضع فين رأتي العجوز أقبلت علىّ وبدأتي بالكلام فاجبتها بالفارسية وعلمت انها لم تعرفني وجئت معها فخماتني الى الدار بعينها وجرت القصة على الرسم الاول الى ان قالت قد جاء أخي وغلامه قم لا يراك فاقامتني الى البيت بعينه فدخلته وأغلقت علىّ ووقفت اسمع وكان تحت ثيابي سيف لطيف ماض فقال لها الاسود بعد ان وطئها خمسة عشر مرة ايش جئت اليوم قالت بطة سمينة خراساني معه هميان ملآن قال فاين هو قالت في وسطه فقال قاية فلخرجت أنا السيف ووقفت خلف الباب أنتظره فاكل وشرب حتى سكر وجاء فدخلى

فخالفت طريقه ومضى لبريد صدر البيت فصرت خلفه وضربته في ساقه ضربة محكمة اجلسته منها وثنيتها باخرى فما قدر ان ينهض ووالیت ضربه حتى قطعته فلما برد تقدمت لجززت رأسه وفصلته عن بدنه لتزول عني الشبهة في امره ووقفت موضعي فلما ابطأ خروجه على الجارية قالت العجوز قومي انظري ايش خبره فقامت العجوز المسماة صيد تطلبه وجاءت الى البيت وتقول ياسيدي لم ليس تخرج أين انت فما تكلمت فدخلت الى البيت فضربتها في ساقها أيضاً فقعدت زمنة فحين جلست جررت برجلها فاخرجتها الى برا وقلت مرحبا باسيد الى كم تصطادين ولا تصادين وقتلتها وخرجت الى الدار وتكلمت بلسان فصيح وقد كنت اكلمهم بلسان الخراسانية فأيقنت الجارية بالهلاك ثم قلت لها انا الرجل الذى فعلت بي كذا وكذا قالت فأين الاسود فقلت قتلته وهذا رأسه قالت سألتك بالله الا قتلتني بعده فلا حاجة لى فى الحياة فقلت ليس تحتاجين الى مسألتي في هذا فاني أفعله ولكن اين الاموال والا عذبتك ولم اقتلك واخرجك الى السلطان فحصلت في العقوبات فقالت افتح ذلك البيت وذلك البيت ففتحت أبواباً تخرج على منها أمر عظيم فقلت الاموال وما زلت أقررها وكلما امتنعت ضربتها بالسيف الى أن عرفتني مواضع الدفائن وأوقفتني على جميع ما عندها من الذخائر فقتلتها حينئذ وخرجت سحراً وقد قلعت الدفائن وأخذت منها ما الحقت حمله من فاخر ما وجدته ولم اقرب الناحية الى الآن ولا أدرى الى اى شئ انتهى خبر القتلى والاسود والدار

فكان ما وصل الى من ذلك ما قيمته الوف دنانير كثيرة اه

(وحكي ان هند بنة النعمان) كانت من أحسن اهل زمانهـا فوصف للحجاج حسنها فانفذ اليها يخطبها وابزل لها مالاجزيلاوتزوج بها وشرط لها بعد الصداق مائتى الف درهم ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة أدبية واقام بها الحجاج فى المعرة مدة طويلة ثم دخل بها الى العراق فأقامت معه ماشـاء الله ثم دخل عليها فى بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول شعرا

وما هند الا مهرة عربية سلالة افراس تحللها بغل

فان ولدت فحلا فلله درها وان ولدت بغلافقدجاء بهالبغل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليهـا ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فأرسل اليها عبدالله بن طاهر وقال طلقها بكلمتين ولا تزد عليها فدخل عبدالله بن طاهر على هند وقال لها يقول لك ابو محمد الحجاج كنتى فبلق وهذه المائتا الف درهم التى كانت لك عنده قالت اعلم يا ابن طاهر انا كنا والله ما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المائتا الف درهم بشارة لك بخلاصى من كلب ثقيف ثم بلغ عبد الملك بن مروان خبرها ووصف جمالها له فأرسل اليها يخطبها فأرسلت اليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين ان الاناء ولغ فيه الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب فى إناء احدكم فاغسلوه سبعا وعفروه الثامنة بالتراب فاغسـلى الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة

وكتبت اليه بعد الثناء عليه تقول والله يا أمير المؤمنين لااحل العقد الا بشرط وهو ان يقود الحجـاج محملي من المعرة الى بلدك التى انت فيها ويكون ماشياً حافياً بحالته التى كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك ضحك ضحكا شديداً وانفذ الى الحجاج يأمره بذلك فاجاب ولم يخالف وامتثل الامر وانفذ الى هند يأمرها بالتجهيز فتجهزت فسار الحجاج فى موكبه حتى وصل بلد هند فركبت هند فى المحمل وركب حولها جواريها وخدمها وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير فجعلت هند تتواعد عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت للهيفاء يادايتي اكشفيلي المحمل فكشفته فوقع وجهها فى وجه الحجاج فضحكت عليه فانشأ يقول

فان تضحكي منى فياطول ليلة   تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته تقول

وما نبالى اذا أرواحنا سلمت   اذ النفوس وقاها الله من عطب
فالمال مكتسب والعز مرتجع   يا عدمنا من مال ومن حسب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى ان قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض فنادت ياجمال انه قد سقط منا درهم فارفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال انما هو دينار فقالت بل هو درهم فقال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله عنه بدينار فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جواباً ثم دخل بها على عبد الملك فتزوج بها فكان من أمرها ما كان انتهى والله أعلم

﴿ الباب الثالث عشر في حكايات ﴾

(العشاق وكل صب مشتاق)

ذ ز محمد بن واسع الازدي ان عبد الملك بن مروان بعث كتاباً الى الحجاج بن يوسف الثقفي يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف أما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلاث جوار مولدات ابكار يكون المنتهى في الجمال واكتب اليّ بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها فلما ورد الكتاب على الحجاج أمر النخاسين بما أمر به عبد الملك وأمرهم ان يسيروا الى أقصا البلاد حتى يقعوا بالغرض ثم أعطاهم المال وأمرهم وكتب لهم كتاباً الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد عبد الملك ولم يزالوا من بلد الى بلد ومن أقليم الى أقليم حتى وقعوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلاث جوار مولدات ليس لهن مثل قال وكان الحجاج فصيحاً فجعل ينظر في كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فوجدهن لا يقام لهن بقيمة وان ثمنهن ثمن واحدة منهن ثم كتب كتاباً الى عبد الملك يقول فيه بعد الثناء الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين متعني الله ببقائه يذكر فيه ان أشتري له ثلاث جوار مولدات ابكار وان اكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى فانها غليظة السوالف • عظيمة الروادف • كحلاء العينين • حلوة الوجنتين قد انهد نهداها • والتف فخذاها • كأنه

ذهب قد شيب بفضة فهي كما قيل

بيضاء فيها اذ استقبلتها دعج كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها ثلاثون الف درهم ٠٠ وأما الجارية الثانية فانها فائقة الجمال ٠ معتدلة القد والكمال ٠ يشفي السقيم ٠ كلامها الرخيم ٠ وثمنها ستون الف درهم ٠٠ وأما الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف ٠ عظيمة الردف شاكرة للقليل ٠ مساعدة للخليل ٠ بديعة الجمال ٠ كأنها خشف غزال ٠ وثمنها ثمانون الف درهم ٠ ثم أطنب في الشكر والثناء عليه وطوى الكتاب وختمه ودعا النخاسين ٠ فقال لهم تجهزوا للسفر بهذه الجواري لامير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الامير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتأذن لي قال نعم فتجهزوا وخرجوا إلى مسيرهم نزلوا منزلا يوماً ليستريحوا في بعض الاماكن فنامت الجوارى فهبت ريح فانكشف بطن احداهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شاباً جميلا فتعلق بها لساعته فأتاها على غفلة من اصحابه وقال

امكتوم عيني ما تمل من البكا وقلبي باسهام الهوى يترشق

أمكتوم كم من عاشق قتله الهوى وقلبيَ رهين ليت لا أتمشق

فاجابته تقول

لو كان حقاً ما تقول لزرتنا ليلا اذا هجعت عيون الحسد

قال فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها قائمة تنتظر قدومه فاخذها وأراد ان يهرب بها ففطن به

اصحابه فاخذوه واوثقوه بالحديد ولم يزل مأسوراً معهم الى ان قدموا على عبد الملك فلما مثلت الجواري بين يديه وأخذ الكتاب وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنتين من الجواري ولم توافق الثالثة وهي الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها ما ذكره الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانحال فقالوا يا أمير المؤمنين تقول ولنا الامان فقال اصدقوا أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يديه بكى بكاء شديداً وأيقن بالعذاب وانشأ يقول

أمير المؤمنين أتيت رغماً وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وسوء فعلي ولست بما رميت به بريا
فان تقتل فقوق القتل ذنبي وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يافتى ما حملك على ما صنعت استخفافاً بنا أم هوى للجارية فقال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظم قدرك ما هو الاهوي للجارية فقال هي لك بما أعد لها فأخذها الغلام بكل ما أعد لها من الحلى والعقيان وسار بها فرحاً مسروراً نحو أهله حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا وتعانقا وناما فلما أصبح الصباح وأراد الناس السير نبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما في الطريق ومضى خبرهما الى عبد الملك فبكى عليهما وتعجب من ذلك عجباً كثيراً

(كان المستعين بالله سليمان بن الحكم) أحد خلفاء المغرب من

خلفاء بني أمية شغف بثلاث جوار لم ير قبلهن ولا بعدهن أجمل منهن وفيهن يقول

عجباً يهاب الليث حد سناني ‍‍‍ واهاب لحظ فواتر الاجفان
واقارع الاهوال لا متهيبا ‍‍‍ منهم سوي الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدما ‍‍‍ زهر الوجوه نواعم الابدان
ككواكب الظلماء لحن لناظرى ‍‍‍ من فوق أغصان على كثبان
هذا الهلال وتلك بنت المشترى ‍‍‍ حسنا وهذى اخت غصن البان
حاكمت فيهن السلو الى الهوى ‍‍‍ فقضى بسلطان على سلطان
ان لم اطع فيهن سلطان الهوى ‍‍‍ كلفا بهن فلست من مروان
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى ‍‍‍ ذل الهوى قدر وملك ثان

(وكان هارون الرشيد العباسي) شغف أيضاً بثلاث جوار وفيهن يقول

ملك الثلاث الآنسات عنانى ‍‍‍ وحللن من قلبي بكل مكان
مالى تطاوعني البرية كلها ‍‍‍ واطيعهن وهن في عصيان
ما ذاك الا ان سلطان الهوى ‍‍‍ وبه قوين أعز من سلطان

(وكان عبدالله المأمون بن هارون الرشيد) شغف بجارية وفيها يقول

انا المأمون والملك الهمام ‍‍‍ ولكنى بحبك مستهام
بحقى عليك فلا تقتليني ‍‍‍ فيبقى الناس ليس لهم امام

(ويحكي ان يزيد بن عبد الملك بن مروان) اشترى جارية فائقة الجمال بارعة الغناء كاملة اديبة فأعجب بكلامها وادبها وأخذت

مجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك أما لك قرابة او احد تحبين أن اصطنعه واسدى اليه معروفاً فقالت اما قرابة فلا ولكن في المدينة ثلاثة نفر كانوا اصدقاء لمولاي وأحب أن ينالهم من خير ماصرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة في احضارهم اليه وان يدفع لكل واحد منهم عشرة آلاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استؤذن لهم عليه فأذن لهم واكرمهم غاية الاكرام وسألهم عن حوائجهم فاما الاثنان فذكروا حوائجهم فقضاها وأما الثالث فسأله عن حاجته فقال يا أمير المؤمنين مالى حاجة قال ويحك الست اقدر على حوائجك قال بلى يا أمير المؤمنين ولكن حاجتي ما أظنك تقضيها قال ويحك اسألني فانك لاتسألني حاجة أقدر عليها الا قضيتها قل على الامان قال نعم قل قال ان رأيت ان تأمر جاريتك فلانة التي اكرمتنا بها بين يديها تغني ثلاث أصوات اشرب عليها ثلاث ارطال فافعل قال فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه ودخل على الجارية واعلمها فقالت وما عليك يا أمير المؤمنين فأمر بالفتى فأحضر ثلاث كراسي من ذهب فنصبوا وقعد يزيد على احدها والجارية على الآخر والفتى على الثالث ثم دعا بصنوف من الرياحين والطيب فوضعت ثم أمر بثلاثة ارطال فملئت ثم قال الفتى سل حاجتك فقال تأمرها يا أمير المؤمنين ان تغني

لا استطيع سلوا عن مودتها ويصنع الحب بي فوق الذي صنعا

ادعو الى هجرها قلبي فيسعدني حتى اذا قلت هذا صادق بدعا

فأمرها فغنت فشرب يزيد والفتى والجارية ثم أمر بالارطال فملئت وقال

سل حاجتك قال تأمرها أن تغني

تخبرت عن نعمان عود اراكة لهند ولكن من يبلغه هندا

الا عرجا بي بارك الله فيكما وان لم يكن هند لارضكما قصدا

فأمرها فغنت فشرب كذلك ثم امر بالارطال فملئت وقال الفتى سل حاجتك قال تأمرها أن تغني

مني الوصال ومنكم الهجر حتى يفرق بيننا الدهر

والله لا أسلوكم أبداً مالاح بدر أو بدا فجر

قال فلم تتم الابيات حتى خر الفتى مغشياً عليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت لا ابكيه وانت حي فقال لها ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى يزيد وامر بالفتى فجهز ودفن واما الجارية فلم تمكث بعده الا أياماً قلائل وماتت اه

(وحكى عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب) انه قدم على عبدالله ابن مروان فجلس ذات ليلة يسامره فتذاكروا الغناء والجواري والمغنيات والعشق فقال عبدالملك حدثني بأعجب مامر بك قال نعم يا اميرالمؤمنين اشتريت جارية مولدة بعشرة آلاف درهم وكانت جميلة مطبوعة فرفعت ليزيد بن معاوية وكتب الي يقول اما ان تهديها أو تبيعها بحكمك فكتبت اليه انها والله لا تخرج عن ملكي ببيع ولا هبة فبينما أنا ذات يوم اذا أتتنا عجوز من عجائزنا فذكرت لي ان بعض اعراب المدينة يحبها وتحبه ويراها وتراه وانه يجيء كل ليلة متنكراً فيقف بالباب ويسمع غناها شغفاً بحبها فراعيت ذلك الوقت الذي قالت العجوز فاذا به قد أقبل

مقنعاً رأسه حتى قعد محتبياً فلم أدع بها تلك الليلة وجعلت اتأمل وضعها وموضعه فاذا به تكلمه ويكلمها ولم أر بينهما الا عبثاً فلم تزل كذلك حتى اسفر الصباح فدعوت بها وقلت لقيمة الجواري اصلحي فلانة بما يمكنك فاصلحتها وزينتها فلما جاءت بها قبضت يدها وفتحت الباب وخرجت وجئت الى الفتى فحركته فانتبه مذعوراً فقلت لا بأس عليك ولا خوف هي هبة مني اليك فدهش الفتى لما رآها ولم يجبني فدنوت الى أذنه وقلت اظفرك الله ببغيتك فقم وانصرف بها الى منزلك فلم يرد جواباً فحركته فاذا هو ميت فلم أر شيئاً قط أعجب من أمره فقال عبد الملك والله لقد حدثت بعجيب فا صنعت الجارية قلت ماتت بعده بايام بعد تحول عظيم وتعليل ماتت كمداً ووجداً على الغلام انتهى

(ويحكى ان ابراهيم بن المهدي) في هربه من المأمون اختفى عند عمته زينب بنت أبي جعفر المنصور فوكلت بخدمته جارية اسمها ملكة وكانت واحدة زمانها في الحسن والادب طلبت منها بخمسمائة الف درهم فأبت فعشقها ابراهيم وكره ان يطلبها ففي ذات يوماً وهي قائمة على رأسه أنشد

يا غزالاً من اليه ٭ شافع من مقلتيه
أنا ضيف وجزاء ٭ الضيف احسان اليه

ففهمت الجارية ما أراد فحكت لمولاتها فقالت اذهبي اليه فاعلميه اني قد وهبتك له فعادت اليه فلما رآها اعاد الابيات فانكبت عليه فقال

كنى فلست بخائن فقالت وهبتني لك مولاي وأنا الرسول فقال أما الآن فنعم

(ويحكي انه كان ببغداد) جارية تسمى دلال وكانت من أحسن الناس وهي لبعض الامراء فلما سمع الخليفة بها التمس حضورها فلم يقدر على ذلك فقال لبعض ندمائه انهض بنا نمش الى منزل الامير صاحب الجارية ونسمع صوتها فلما وصلوا الى منزله وهم متنكرون طرقوا الباب فقال لهم غلامه من بالباب فقالوا ضيوف فاذن لهم فلما دخلوا أكرمهم فلما غنت الجارية وسمعها الخليفة أعجبته فطلب شراءها فقال له صاحبها انها معتوقة فما زال الساقي يميل الى صاحب المنزل حتى اسكره وأخذ الخليفة أحضر من أخذها الى قصر الخلافة فلما أصبح الصباح وأفاق مولاها طلبها فاخبر ان ضيوفك البارحة كان الخليفة ونديمه فلان وقد بعث من حملها الى منزله فحين سمع الكلام ضاقت عليه الدنيا وأقام مهموماً مغموماً فلم يلبث الا قليلا حتى وصل اليه رسول الخليفة يستدعيه فأحضر زورقاً صغيراً فلما أتى عنده أخرج جاريته فغنت فلما مضى صاحب الجارية امر له علىء المركب دراهم فكان ملؤها عشرين الف الف فقبضها صاحب الجارية ثم انه في بعض الايام احضر الخليفة الجارية وأمرها بالغنى فغنت وذكرت ما مر عليها من فراق سيدها الاول ومن قبلها اليه فغنت ثانياً تقول

السن تضحك والاحشاء تحترق   وانما ضحكها زور ومختلق
لولا مراقبة الاعداء لاستبقت   مني الدموع كما في السر تستبق

قرب بك بقلب غير ذي حزن ووب ضاحك سن مابه رمق
ليت الذين رأوني ضاحكا زعموا رأوا بكاى اذا ما اظلم الافق

قالوا فلما فرغت الصوت رمت العود من يدها وبكت بكاء شديداً وبكي الخليفة وندماؤه ومن كان معها لبكائها وقال لها الخليفة ياجارية الى الآن قلبك معاق مع صاحبك الاول قالت نعم يا أمير المؤمنين فارجعها بجميع ما معها الى صاحبها الاول

(حكي عمر ابن سعدة) قال كان أبو عيسى أخو المأمون عاشقاً لقرة العين جارية على بن هشام وكانت هي له أيضاً كذلك وكان لايرى ان يبوح بذلك ولا يشكو الى أحد ويطلعه على سره لانه كان يأنف الشكوى ويستقبح اذاعتها من قلبه واجتهد على ابتياعها منه فلم يقدر على ذلك فلما عيل صبره واشتد وجد واعوزته الحيلة فيها دخل على المأمون فى يوم نوروز بعد انصراف الناس من عنده وقال له يا أمير المؤمنين انك لو امتحنت قوآدك فى هذا اليوم على حين غفلة منهم لتعرف أهل المروآت من غيرهم وعلى كل رجل منهم على قدر همته وكان قصد أبى عيسى ان يتوصل بذلك الى الجلوس مع قرة العين فى دار على بن هشام فقال له المأمون جواب ذلك قدموا الطيارة فركب المامون وأبو عيسي ومعه جماعة من خواصه فاول قصرورودوا عليه قصر حميد الطوسي فدخلوا عليه فى القصر على غفلة منه فوجدوه جالساً فى مجلس له وبين يديه المغنون بعيدان وطنابير فجلس المأمون ساعة وتأمل السقف ثم نظر الى جوانب المجلس والى الفرش ثم

أحضر بين يديه طعاماً من لحوم الدواب فلم يلتفت المأمون الى شيء من ذلك ثم قال قم بنا يا أبا عيسى فقاموا ونزلوا فى الطيارة حتى انتهوا الى قصر على ابن هشام فدخلوا عليه على غفلة منه فاذا هو جالس وحوله قواده وخواصه فحين رآى المأمون قام اليه واستقبله وقال الى مجلس يليق بك وهو معد لك يا أمير المؤمنين فدخلوا الى مجلس أرضه من الرخام الملون وسقفه من الساج المصفح بالذهب وأرضه مفروشة بالحصر السندسية وعليها فرش بصرية وفيه مروحة متخذة على طول البيت وعرضه ثم جلس ساعة ثم تأمل السقف والبيت والفرش ثم قال اطعمنا شيئاً فقدم اليه من وقته قريباً من مائة لون من الدجاج سوى ما معها من المزائد والقلائد والبوارد فلما أكل قال اسقنا يا على شيئاً فاحضر نبيذاً مثلثاً مطبوخاً بالفواكه والابازير الطيبة فى أوانى الذهب والبلور واقبل غلمان له عليهم الثياب المنسوجة بالذهب وعلى صدورهم بواطيء البلور وفيها ماء الورد المسك ومعهم ذراقات ذهب يذرقون فيها حافتي المروحة فتحمل المسك والماورد فتروح الحاضرين وتمطر المسك والماورد مع الترويح قال فعجب المأمون من ذلك عجباً شديداً ولما رأى من مروءته وكرمه على حين غفلة منه فقال يا أبا الحسن ولم يكن كناه قبل ذلك الوقت فوثب الى البساط فقبله ووقف بين يديه وقال لبيك يا أمير المؤمنين فقال اسمعنا شيئاً فاقبل على الخادم وقال علىّ بالجواري فواقاه الخدم بعشرة كراسى فنصبوها وجاءت عشر وصائف كأنهن البدور عليهن الديباج وعلى رؤسهن تيجان الذهب

فجلسن على الكراسى فنظر الى وصيفة منهن تفتن بدلالها وقال لها
ما اسمك ياجارية قالت شجاع قال غنى ياشجاع فغنت وقالت

أقبلت أمشي على خوف مخاتلة ... مشي المذل رأى شبلين قد وردا
سيفي ردائي وقلبي مشفق وجل ... أخشى العيون من الاعداء والرصدا
حتى دخلت على خود منعمة ... كمصلتة الدعص لما تسلم الولدا

فقال أحسنت ياجارية لمن الشعر فقالت لعمرو بن معدى كرب والغنى
لمعبد فشرب المأمون وأبو عيسى وانصرفن الجواري وجاءت عشرة
أخرى عليهن الوشى اليمانى فجلسن على الكراسى فنظر الى واحدة
منهن كأنها غصن بان فقال ما اسمك ياجارية فقالت ظبية فقال غنى
ياظبية فغنت وقالت

حور حرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الحديث زوانيا ... ويصدهن عن الزنا الاسلام

فقال لله درك لمن الشعر فقالت لجرير والغنا لسريج فشرب المأمون
وأبو عيسى وعلي بن هشام ثم انصرفن وجاءت عشرة أخرى كأنهن
اليواقيت عليهن الديباج الاحمر ومناطق الذهب مكشوفات الرؤس
فجلسن على الكراسى فنظر الى وصيفة منهن وقال لها ما اسمك ياجارية
قالت فاتن قال غنى يافاتن فغنت

بنات كرام لم يرعن بنظرة ... ويلبسن وشياً بالحرير موادعا
يسارقن بالابصار طرفاً مفتراً ... ويبدين من فتق الستور الاصابعا

قال أحسنت ياجارية لمن الشعر فقالت لعدى بن زيد والغنى قديم

فشرب المأمون وأبو عيسى وعلي بن هشام واصرفن وجاءت عشرة أخرى عليهن الوشي الملوح بمناطق الذهب فجلسن على الكراسي فنظر الى واحدة منهن كأنها غصن بان فقال لها ما اسمك يا جارية قالت رشا قال غني يا رشا فغنت

واحور كالغصن يثنى الجوا ويحكي الغزال اذا مارنى
شربت المدام على وجهه ونازعته الكأس حتى انثنى
فبات ضجيعي وبتنا معاً وقلت لنفسى هــذا المنى

فقال أحسنت يا جارية زيدينا فغنت شعراً

خرجت تشهد الزقاق رويداً فى قيص مضمخ بعبير
قلت من انت ياخلوب فقالت أنا من جن بيتك المعمور

فطرب المأمون لذلك وهي تردد الصوت ثم قال قدموا لنا الطيارة حتى نركب فقام علي بن هشام وقال يا أمير المؤمنين جارية اشتريتها باربعة آلاف دينار وقد كانت أخذت بمجامع قلبي وأريد أعرضها على أمير المؤمنين ان رضيها والا سمع منها قال هاتها فخرجت جارية كأنها قضيب ياقوت لها عينان فتانتان وحاجبان كأنهما قوسان أحسن من سكت وافتن من نطق عليها ثياب مضاعفة وعلى رأسها تاج من الذهب تحته عصابة مكتوب عليها بماء الفضة شعراً

جنية لها جن يعلمها ترمى القلوب بقوس ماله وتر

قال فجاءت كأنها النشوان فجلست على الكرسي وبهت الناس اليها وجعل أبو عيسى يتوجع من فؤاده واصفر لونه وتغير حاله وأخذه

التلق فالتفت اليه المأمون وقال مالك قال علة تعتريني في بعض الاوقات قال أتعرف هذه قبل اليوم قال نم يا أمير المؤمنين وهل يخفى القمر فقال لها المأمون ما اسمك ياجارية فقالت قرة العين فقال غنينا ياقرة العين فغنت .

بكر الاحبة عنك بالادلاج وغدوا بها سحراً مع الحجاج
نصبوا خيام البذل حول قبابهم وتستروا بأكلة الديباج

فقال لله درك لمن الشعر قالت لدعبل الخزاعي قال فنظر اليها أبو عيسى وخنقته العبرة حتى فطن به أهل المجلس وتأوه ساعة ثم فاضت عيناه فالتفتت الجارية الى المأمون وقالت يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام قال قولي فغنت

ولا خير فيمن وده بلسانه ويظهر في المكنون منه القدرا
ويظهر بالدمع السكوب لالفه وفاء له والقلب مشعر غدرا

فقال أبو عيسى أتأذن لي يا أمير المؤمنين في جوابها قال نم قل ما شئت فانشد يقول

سكت ولم أقل أني محب وأخفيت المحبة في ضميري
فانظهر الهوى في العين مني فما ذنبي الى القمر المنير

ثم جعل يتعجب ويبكي ورفع رأسه اليها وأنشد يقول

نحت ثيابي بدن ناحل وفي فؤادي شغل شاغل
ولي فؤاد داؤه لازم ومقلة مدمعها هاطل
وكلما سألني عاذل تم لجيني في الهوى عاذل

يارب لا أقوى على كل ذا   موت والا فرج عاجل

فوثب علي بن هشام الى رجل ابى عيسى وقبلها وقال ياسيدي قد استجاب الله دعاءك وسمع نجواك واجابك الى أخذها ان لم يكن لامير المؤمنين فيها رأى فقال المأمون ولو كان ذلك لآثرنا أبا عيسى على نفوسنا واخذ قرة العين والصرف بها قرير العين اه

(وحكي أبو القاسم احمد بن الحسين عن الاصمعي) قال دخلت البصرة وأنا اريد بادية بني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله فدخلت عليه ذات يوم فرأيت قوماً متعلقين بشاب ذي جمال وكمال وادب ظاهر ووجه زاهر وعليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسأل عن قصته فقالوا هذا لص أصبناه البارحة في منزلنا فنظر خالد الى الفتى فأعجبه حسن هيئته ولطافته فقال لهم خلوا عنه ثم أدناه منه وسأله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر مثل ما الذي ذكروه فقال له ما حملك على ذلك وأنت في هيئة جميلة وصورة حسنة قال حملني عليه الشره في الدنيا وكذا قضى الله تعالى قال له ثكلتك امك أماكان لك في كمال عقلك وحسن ادبك زاجراً عن السرقة فقال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما أمرك به الله فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد مفكراً في أمره ساعة ثم ادناه منه وقال ان اعترافك بالسرقة على رؤوس الملا رابني وما أظنك سارقاً وان لك قضية غير السرقة فاخبرني بها فقال الفتى ايها الامير لايقع في نفسك شيء غير ما اعترفت به عندك وليس عندي قصة أشرحها لك الا اني دخلت دار

هؤلاء القوم فسرقت منها مالا فادركوني فاخذوه مني وحملوني اليك فأمر الخادم بحبسه وأمر منادٍ ينادي من احب ان ينظر الى عقوبة الشاب فلان اللص فليحضر من الغداة فلما استقر الفتى في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعداء وانشا يقول

هددني خالد بقطع يدي ان لم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان أبوح بما تضمن القلب من محبتها
قطع يدي بالذي اعترفت به اشهى الى القلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون به واخبروا بذلك خالدا فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر امر له بطعام فأكل وتحدثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان وحضر الناس وسألتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبهة تدرأ عنك القطع ثم أمر به فاعيد الى الحبس فلما أصبح جاء الناس ولم يبق بالبصرة رجل ولا امرأة الا حضروا ليروا عقوبة ذلك الفتى وركب خالد ومعه وجوه أهل البصرة وغيرهم فالخاصة عن يمينه والعامة عن يساره وبقيت الناس بين يديه ثم دعا بالقضاة والفقهاء وامروا باحضار الفتى فاقبل يحجل في قيوده فما بقي أحد من الناس الا بكى عليه حين عاينوه فامر بتسكين الناس ثم قال له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت مالهم قال صدقوا أيها الامير دخلت دارهم وسرقت مالهم فقال له خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت نصاباً كاملاً قال لعلك أخذته من غير حرز قال بل أخذته من حرز قال

فلملك شريك القوم في شيء منه قال بل هو جميعه لهم ولا حق لي فيه فغضب خالد وضرب وجهه بالسوط وقال

يريد المبدان يعطي مناه ويأبى الله الا ما يشاء

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر وأخرج السكين ومدّ يده واشرف عليها بالسكين فبادرت جارية من صف النساء عليها ازار وسخ فصرخت ورمت بنفسها عليه واسفرت عن وجه اضوء من الشمس فارتفعت للناس ضجة عظيمة كاد ان تقع منها فتنة ثم نادت باعلى صوتها أيها الامير لا تعجل عليه حتى تقرأ هذه الرقعة ثم دفعت اليه الرقعة ففضها خالد فاذا فيها مكتوب

أخالد هـذا مستهام متيم ومنه لحاظ عن قسى الحالق

فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه حليف الجوى من دائه غير فائق

أقر بما لم يقترفه لانه رأى ذاك خيراً من فضيحة عاشق

فهلا على الصب الكئيب فانه كريم السجايا في الورى غير سارق

فانت الذى لا يرتجى اليوم غيره لرفع ملمات الخطوب الطوارق

فلما قرأ الابيات تنحى عن الناس واحضر المرأة وسألها عن القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه أرادها وأراد ان يعلمها بمكانه فرمي حجرا الى الدار فسمع أبوها وأخوتها صوت الحجر فصعدوا وهو في الحجرة فلما أحس بهم جمع اثاث البيت كـكرة وحمله على قفاه فاخذوه وقالوا هذا لص وأتوا به اليك فاعترف بالسرقة وأصر على ذلك حتى لا يفضحني بين اخوتي وقد هان عليه قطع يده

لكي يسترني كل ذلك لغزارة مروءته وكرمه فقال خالد انه لخليق به ثم دعا به وقبله بين عينيه وأمر باحضار أبي الجارية فقال له ياشيخ اناكنا قد عزمنا على انفاذ الحكم في هذا الفتى بقطع اليد الا ان الله تعالى عصمه من ذلك وقد امرت له بعشرة آلاف دينار لبذله يده حفظاً لعرضك وعرض ابنتك وصيانة لكما من الفضيحة وقد امرت لابنتك أيضاً بعشرة آلاف دينار وانا اسئلك ان تأذن لي في تزويجها منه فقال له الشيخ قد أذنت لك أيها الامير فأمر باحضار المال ثم خطب وقال للفتى زوجتك هذه الجارية بعشرة آلاف دينار فقال قبلت التزويج وامر بحمل المال الى دار الفتى وانصرف الناس مسرورين ولم يبق أحد في اسواق البصرة الا نثر عليهم اللوز والسكر والدراهم قال الاصمعي فما رأيت أعجب من ذلك أوله بكاء وقرح وآخره سرور وفرح (وحكى عن الاصمعي انه قال) بينما أنا أسير بالبادية اذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت المفرد

ألا معشر العشاق بالله خبروا   اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته

يداوي هواه ثم يكتم سره   ويخشع في كل الامور ويخضع

ثم غدوت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته

وكيف يداوي والهوى قاتل الفتى   وفي كل يوم روحه تتقطع

فكتبت تحته

اذا لم يجد صبراً لكتمان سره   فليس له شيء سوى الموت انفع

وفي بعض الروايات انه كتب هذا البيت

سمعنا اطعنا ثم متنا فبلغوا   رسالتنا لمن كان بالوصل يمنع

ثم عدت فى اليوم الثالث فوجدت شاباً مكبّي تحت ذلك الحجر ميتاً (ويحكى انه كان بالبصرة) فتى من ابناء النعم ففقدوه زمانه وكان له جارية حسناء محسنة فى الغنا والادب بارعة بالجمال فضاق بهما الحال فى عدم مايتقوتون به فقال لها ما ترين فيما قد نزل بنا وما صرنا اليه من هذا الحال السيء والله العظيم لموتي وأنت معي لاهون مما اذكره لك فيسوءني ان أراك على غير الحال التي تسرني فيك ونهاية الامر بنا ان يموت أحدنا فيقتل الآخر نفسه عليه فان رأيت ان أبيعك لمن يحسن اليك فيفصل عنك ما انت فيه من الضر وانتفع انا بما لعله يصير اليّ من الثمن لعلك تحصلين اليّ عنده من تتوصلين الي نفعي معه فقالت والله لموتي على هذه الحالة معك آثر عندي من انتقالي الى غيرك ولو كان ملكاً لكن أصنع ما بدالك فخرج وعرضها على النخاس للبيع فاشار عليه بعض اصدقائه ممن له رأى ان يحملها الى ابن معمر أميراً كان بالبصرة قال فحملها اليه صحبة النخاس فاعرضت عليه فاستحسنها وقال لمولاها كم شراؤها عليك قال مائة الف درهم فقال قد أمرنا لك بمائة الف درهم وعشرة أسقاط من الثياب وعشرة رؤس من الخيل وعشرة من الرقيق أرضيت قال نعم ارضى الله الامير فامر بالمال فاحضر وامر بتسليم المال اليّ وأمر بادخال الجارية الى دار الحرم فحين قال لها انهضي الى دار الامير قامت وأمسكت جانب الستر

وبكت والشأت تقول

هنيئاً لك المال قد افدته ولم يبق في كفي غير التفكري

اقول لنفسي وهي في ضيق كربها اقلي بقربان الحبيب أو اكثري

اذا لم يكن للأمر عندك حيلة ولم تر بدأ من الصبر فاصبري

فاجابها مولاها بقوله

فلولا قعود الدهر لي لم يكن اذا لفرقتنا شيء سوى الموت فاعذري

اروح واني من فراقك موجع اناجي به قلباً قليل التصبري

عليك سلام لا زيارة بيننا ولاوصل الا ان يشاء ابن معمري

فقال ابن معمر قدشئت بارك الله لك فيها وما صار اليك منا وأخذها وأخذ المال والرقيق والثياب والخيل وعاد الى منزله وقد أثرى وحسلت أحواله واستغنى اه

(قال الجاحظ) انحدرت مع محمد بن سليمان الهاشمي فلما صرنا في وسط الرحلة دعي بالطعام فأكلنا ثم دعا بالشراب فشربنا فخول الى الخزانة جاريتين عوادة وطنبورية فغنت الطنبورية

وارحمة للعاشقين ما أن اري لهم معينا

كم يهجرون ويبعدون ويطردون فيغضبون

فتراهم مما بهم بين البرية خاضعين

فقالت لها العوادة فيصنعون ماذا قالت يصنعون هكذا وهتكت الستارة والقت نفسها في الدجلة وكان على رأس محمد بن سليمان غلام يضاهيها في الحسن والجمال وبيده مذبة فلما رآها صنعت ذلك رمى

بالمدية وقال

انت التى أغرقتنى بعد القضا لو تعلمينا
لاخير بعدك فى الحيا ة ولا بقيناً ان بقينا

ثم التى نفسه بعدها فغطس ثم صَعِدا متعانقين ثم غطسا فكان آخر العهد بهما فاشتد ذلك على محمد بن سليمان وقال ياجاحظ ان لم تحدثنى بما يسلينى عن فعل هذين الغريقين والا الحقتك بهما وليكن ما تحدثنى به من أعجب ما رأيت واطرف مالقيت فقلت أجل مخوف تقول وتفعل تخفته على نفسى فقلت يا ابن عم أمير المؤمنين خرجت يوماً من الايام فسرت حتي ادركنى المساء فوصلت الى واع يرعي غنما فسلمت عليه فرد علىّ السلام فقلت هل من قرى فقال انزل فنزلت فأخذ راحلتى فقيدها وطرح لها علفا وعمد الى شاة من ذلك الغنم فذبحها وكشط جلدها عن لحمها واضرم ناراً عظيمة وجعل يشوي ويلقى بين يدي ثم بعد ذلك اتانى بتمر وزبد ولبن فأكلت حتى انتهيت ثم اضطجعت وانا بين النائم واليقظان اذا سمعت شيئاً له حس فاذا جارية قد أقبلت تفضح البدر حسناً وجمالا فسلمت وسلم عليها وجعل يحدثها فقلت فى نفسى رجل اعرابي ولعلها حرمته فتناومت وما فى من نوم وهما فى أحسن حديث ولذة فلما قرب طلوع الفجر اردت الانصراف فنعنى واقسم علىّ وقال اقم عندنا وكنت معاق القلب بهما فاقمت عنده احدثه وأوانسه حتى دنا الليل فأحسن ضيافتى فبينما انا كذلك نائم كما كنت فى الليلة الماضية اذ اتانى الرجل فحركنى فقال أنائم أنت

فقلت وما تريد فقال الم تر الجارية التى كانت عندى فى الليلة الماضية فانكرت ان اقول رأيت شيئاً خوفاً من غيرته فقلت لا فقال بلى تلك ابنة عمي واحب الناس اليَّ وانا من اشرف بني عذرة وكنت خطبتها الى أبيها فابى عليَّ لقلة ذات يدى وخطبها رجل غريب فزوجها منه رغبة فى ماله وارتحل بها الى دار قومه فلما عيل صبري تنكرت حتى صرت لزوجها راعياً لكي اري ابنة عمى وترانى وقد أبطأت الليلة عن وقتها التى كانت تجيء فيه وأخاف أن يكون الأسد قد اعترض لها وانشأ يقول

ما بال ميــة لاتأتى كعادتها	اعاقها عائق ام صـدها عذل
مسكن قلبي لم يشتغله غيركم	الى الممات وما بي غيركم شغل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم	لما اعتللت ولا طالت بك العلل
نفسى فـداك لقد احللت بي سقما	تكاد من حره الاعضاء تنفصل
لو حمل العشر من وجدي بهم جبل	لانهد وانذك من اركانه الجبل

﴿ الباب الرابع عشر فى الحكايات ﴾

ومن غريب مايحكى عن المعتضد بالله احمد أبو العباس ابن ولى العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد العباسى ما ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبـدون ان أحمد وزرائه كان قد بنا بناء عالياً مشرفاً على منازل جيرانه فلم يعارضه أحد فيه لمكانه من سلطانه وعزه فكان يجلس كثيراً في ذلك البناء فرأى يوماً من الايام فى دار من دور جيرانه جارية بارعة الجمال فولع بهـا

فسأل عنها فاخبر انها بنت أحد التجار فارسل الى والدها خاطباً فقال له أبوها وكان من أهل اليسار لست أزوجها الا من تاجر مثلى فانه ان زوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على النصفة منه وان ظلمتها أنت لم أقدر على ذلك فلم يزل يرومه فى ذلك بكل مرام ويوسط له الاكابر والاماثل من الناس وهو مع ذلك ممتنع فلما عيل صبره ويئس من أن يجيبه شكا ذلك الى أحد خواصه فقال له الف مثقال يقوم لك هذا فقال أنى وكيف واقه لو علمت انى أنفق عليها مائة الف وأنالها لفعلت فقال له لا عليك تحضرنى الف دينار فامر باحضارها فمشى بها ذلك الرجل الى عشرة كانوا عدولا عند القاضى فى شهاداتهم وذكر لهم الامر وقال هذا شئ ليس عليكم من الله فيه تبعة فانه يصدقها كذا وكذا الف وأغلى لهم المهر ثم انكم تحيون نفسا قد أشرفت على الهلاك ويكون لكم مع هذا عنده من الجاه ما ترغبون فيه وأبوها انما هو عاضل لها فى الزواج والا فانه يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره ومكانه من أمره وقد أعطاه صداقاً لا يعطى الا لبنت ملك ثم هو مع هذا يتأبى هل هذا الا عضل بين ولكن لكم مائة مثقال لكل واحد منكم وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اذا علم أبوها انكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا إذ ليس فيه الا الخير والعز فاخذ الشهود كل واحد منهم مائة مثقال وشهدوا بان أباها زوجها على صداق مبلغه كذا وكذا ووفوا قدر الصداق الى غاية ما يرفع اليه صداق الملوك فلما علم أبوها بذلك زاد

نفوراً وتأبياً فمشى الوزير وذلك القائد الى القاضي وقال له اني تزوجت ابنة فلان على هذا الصداق وهؤلاء الشهود عليه وقد ناكرني وانكر الشهود وقد أردت ان أدفع له حق ابنته وأخذها فأمر القاضي باحضار الشهود فشهدوا في الصداق وأحضر الرجل مال النقد بين يدي القاضي والرجل على انكاره متماد فيه فأمر القاضي بامضاء الحكم عليه وان تؤخذ ابنته منه احب أم كره وأمر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية الى الوزير لم يزل أبوها يروم الوصول الى المعتضد وكان المعتضد غليظ الحجاب لا يصل أحد اليه غير الخاصة فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة من النهار على بنيان يبني له بقصره فان استطعت ان تكون في جملة رجال الخدمة للبناء فافعل تصل اليه وتكلمه بما أردت ففعل الرجل ذلك وغير شكله ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما كان في ذلك الوقت الذي كانت عادة المعتضد يقف على ذلك البناء خرج فترامى الرجل على الارض وجعل ينثر التراب على رأسه ويستغيث به فسأله عن شأنه فقص عليه القصة فأرسل المعتضد في ذلك المقام الى ذلك الوزير واغلظ عليه في القول فحمله هيبته وقلة اقدامه على الكذب عليه ان وصف له الصورة على ما كانت عليه وهو يطمع ان يعذر في ذلك ان جعل من الصداق ما هو فوق قيمة قدرها وامر باحضار الشهود فاعترفوا مثل ما اعترف الوزير وذلك كله رهبة له واجلالا ان يخاطبوه بكذب على تخيليهم انه يتجافى لهم عن هذه الذلة اذ قد ارادوا بها احياء نفس ذلك الوزير وأيضاً فقد دفع له بين يدي

القاضى غدا لا يكون الا فى صـداقات بنات الملوك وقد جعل لها معلوماً على نفسه اضعاف ذلك فكأنه قد أخذها بحقها او بأكثر من حقها فلما تحقق عنده جلية خبرهم امر أن يصلب كل شاهد منهم على باب داره وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور طري السلخ ويضرب بالمزراب حتى يختلط عظمه ولحمه بدمه ثم أمر به لما صـنع به ذلك ان يفرغ بين يدى نمور كانت عنده فلما لحقت تلك النمور الدم امر الرجل ابا البنت ان يأخذ ابنته ويأخذ لها كلما ذكر ذلك الوزير فى صداقها من مال وعقار اه

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء عن ابن الحسن عن أبيه قال بلغنى عن المعتضـد بالله أحد انه كان يوماً جالساً في بيت يبنى له يشاهد الصناع فرآى فى جملتهم غلاماً اسود منكر الخلقة يصـعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعف مايحملوه فانكر أمره فأحضره وسأله عن سبب ذلك فلجلج فقال ابن حمدون وكان حاضراً اي شئ يقع لك فى أمره فقال ومن هذا حتى قد صرفت فكرك اليه ولعله لا عيال له فهو خال القلب قال ويحك قد خمنت فى أمره تخميناً ما احسبه باطلا اما ان يكون معه دنانير قد ظفر بهـا دفعة من غير وجهها او ان يكون لصاً يسـتتر بالعمل في الطين فلاحاه ابن حمـدون في ذلك فقال عليَّ بالاسـود فاحضر فقال اعطوه مقارع فضربه مائة مقرعة وقرره وحلف انه ان لم يصدقه ضرب عنقه فأحضر السيف والنطع

فقال الاسود الامان فقال لك الامان الا ما يجب عليك من حد فلم يفهم ما قال وظن انه قد امنه فقال انا كنت اعمل في أتاتين الآجر سنين وكنت منذ شهور هناك جالساً فاجتاز بي رجل في وسطه هميان فتبعته فجاء الى بعض الاتاتين فجلس وهو لا يعلم مكاني فحل الهميان واخرج منه دنانير فتأملته فاذا كله دنانير فثاورته وكتفته وشددت فاه واخذت الهميان وحملته على كتفي وطرحته في قترة الاتون وطينته فلما كان بعد ذلك أخرجت عظامه فطرحتها في الدجلة والدنانير معي يقوى بها قلبي فانفذ المعتضد من احضر الدنانير من منزله واذا على الهميان مكتوب فلان بن فلان فنودي في البلدة باسمه فجاءت امرأة فقالت هذا زوجي ولي منه هذا الطفل خرج وقت كذا ومعه هميان فيه الف دينار فغاب الى الآن فسلم الدنانير اليها وامرها ان تعتد وضرب عنق الاسود وأمر ان تحمل جثته الى ذلك الاتون اه

﴿ ومن المقول عنه أيضاً ﴾

قال المحسن بلغنا عن المعتضد بالله احد ان خادماً من خدمه جاء يوماً فأخبره انه كان قائماً على شاطئ الدجلة في دار الخليفة فرأى صياداً وقد طرح شبكته فثقلت فجذبها واخرجها فاذا فيها جراب وأنه قدره مالا فأخذه وفتحه واذا به أجزاء وبين الاجزاء كف مخضوبة بحناء قال فاحضر الجراب والكف والرجل فهال المعتضد ذلك وقال قل للصياد يعاود طرح الشبكة فوق الموضع واسفله وما قاربه قال ففعل فخرج جراب آخر فيه رجل قال فطلبوا أيضاً فلم يخرج شيء فقال مر في

البلد من يقتل انساناً ويقطع اعضاءه ويفرقه ولا أعلم به ما هذا الا ملك قال وأقام يومه كله ما طعم طعاماً فلما كان من الغد احضرتة له واعطاه الجراب فارغاً وقال طف به على كل من يعمل الجرب ببغـداد فان عرفه رجل منهم فاسأله على من باعه فاذا دلك عليه فسل المشترى من اشـتراه منه وتجسس على خبره أبداً قال فغاب وجاء بعد ثلاثة أيام فزعم انه لم يزل يتلطف فى الدباغين واصحـاب الجرب الى ان عرف صانعه وسأله عنه فذكر انه باعه على عطار بسوق يحيى وانه مضي الى العطار وعرضه عليه فقال ويحك كيف وقع هذا الجراب في يدك فقلت او تعرفه فقال نعم اشتري مني فلان الهاشمي منـذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا ادرى لأى شئ أرادها هذا منها فقلت ومن فلان الهاشمي هذا قال رجـل من ولد على ابن رابطة من ولد المهدي يقال فلان عظيم الا انه شر الناس واظلمهم وأفسـدهم لحرم المسلمين واشـدهم تسرعا الى مكائدهم وليس فى الدنيا من ينهي خبره الى المعتضد خوفاً من شره ولفرط تمكنه من الدولة والمـال ولم يزل يحدثني وأنا اسمع باحاديث له قبيحة الى ان قال فحسبك انه كان يعشق فلانة المغنية وكانت كالدينار المنقوش وكالقمر الطالع في غاية حسن الغنا فساوم مولاتها فيها فلم تقاربه فلما كان منذ أيام بلغه أن سيدتها تريد بيعها على مشترى قد حضر يبذل فيها الف دينار فدفع اليها أقل فلم تبعها فارسلها يطلبها منها ليراها فانفذتها اليه بعد أن أنفذ اليها جذوها لثلاثة أيام فلما انقضت الايام الثلاثة غصبها عليها وغيبها عنها فما نعرف لها خبراً

وادعى أنها هربت من داره وقال الجيران انه قتلها وقال قوم لا بل هى عنده وقد أقامت سيدتها عليها المآتم وجاءت وضجت على بابه وسودت وجهها فلم ينفعها شئ فلما سمع المعتضد سجد شكراً لله تعالى على انكشاف الامر له وبعث في الحال من كبس على الهاشمي واحضر المغنية وأخرج اليد والرجل الى الهاشمى فلما رآها انتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف فامر المعتضد بدفع ثمن الجارية الى مولاتها من بيت المال وصرفها ثم حبس الهاشمي فيقال انه قتله ويقال انه مات فى الحبس انتهى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

روى أن أبا محمد عبد الله بن حمدون قال كنت عند المعتضد بالله احمد فقال وقد قدم له العشاء لقمنى وكان الذى قدم لى فراريج ودراريج فلقمته من صدر فروج فقال لا لقمني من فخذه فلقمته ثم قال هات من الدراريج فلقمته من أفخاذها فقال ويلك هات من صدرها فقلت يامولاى ركبت القياس فضحك فقلت الى كم أضحكك ولا تضحكنى قال شيل المطرح وخذ ما تحته قال فشلته فاذاً تحته دينار واحد قلت آخذ هذا قال نعم قلت ياأمير المؤمنين خليفة يجيز نديمه بدينار فقال ويلك لا أجد لك في بيت المال حقاً اكثر من هذا ولا تسمح نفسي أن أعطيك من مالي شيئاً ولكن أحتال لك بحيلة فتأخذ فيها خمسة آلاف دينار فقبلت يده فقال اذا كان غداً وجاءني القاسم أعنى ابن عبيد الله اسارك حين تقع عينه عليه سراراً طويلاً والتفت

اليه كالمغضب وانظر انت اليه فى خلال ذلك كالخالس لى نظر المترشح
له فاذا انقطع السرار تخرج ولا تبرح من الدهليز حتى يخرج فاذا
خرج خاطبك بخطاب جميل وأخذك الى دعوته وسألك فاشك
الفقر والخلة وقلة حظك منى وثقل ظهرك بالدين والعيال وخذ
ما يعطيك والطلب كلما تقع عينك عليه فانه لا يمنعك حتى تستوفى
الخمسة آلاف دينار فاذا أخذتها فيسألك عما جرى بيننا فاصدقه واياك
ان تكذبه وعرفه ان ذلك حيلة منى عليه وحدثه بالحديث كله لكن
أخبارك اياه بذلك بعد امتناع شديد واحلاف منه بالطلاق والعتاق
بعد ان يخرج من داره كلما يعطيك اياه ويجعله فى بيتك فلما كان من
الغد حضر القاسم فحين رآه بدأ يسارنى وجرت القصة على ما وضعنى
عليه فخرجت فاذا القاسم فى الدهليز ينتظرنى فقال ياأبا محمد ما هذا
الجفا لا تجيئنى ولا تزورنى ولا تسئلنى حاجة فاعتذرت اليه باتصال
الخدمة علىّ فقال ما يقنعنى الا ان تزورنى اليوم فقلت أنا خادم الوزير
فاخذنه الى طيارة وجعل يسئلنى عن حالى وأخبارى وأشكوا اليه
القلة والفاقة والدين والبنات وجفاء الخليفة وامساك يده فيتوجع
ويقول ياهذا مالى لك ولن يضيق عليك ما يتسع علىّ أو يتجاوزك
نعمة حصلت لى ولو عرفتنى لعاونتك على ازالة هذا كله فشكرته
وبلغنا داره فصعد ولم ينظر فى شئ وقال هذا يوم احتاج ان أختص
فيه بالسرور بابى محمد فلا يقطعنى عنه قاطع وأمر كتابه بالتشاغل بالاعمال
وخلا بى فى دار الخلوة فجعل يحادثنى ويبسطنى وقدمت الفاكهة فجعل

يلقمني بيده وجاء الطعام فكان هذا سبيله فلما جلس الشرب وقع لي بثلاثة آلاف دينار فأخذتها في الوقت واحضر لي ثياباً وطيباً ومركوباً فاخذت ذلك وكان بين يدي صيلية فضة فطلبتها منه فاعطاني اياها واقبلت كلما رأيت شيئاً حسناً له قيمة وافرة اطلبه وحمل الي فرشاً نفيساً وقال هذا البنات فلما تقوض اهل المجلس خلا بي وقال ياأبامحمد انت عالم بحقوق أبي عليك ومودتي لك فقلت أنا خادم الوزير فقال أريد ان اسألك عن شيء وحلف لي انك تصدقني منه فقلت السمع والطاعة فاحلفني بالله والطلاق والعتاق على الصدق ثم قال لي باي شيء ساررك الخليفة اليوم في امري فصدقته في كل ما جرى حرفاً بحرف فقال فرجت عني وليكون هذا هكذا مع سلامة نيته لي أسهل عليّ فشكرته وانصرفت الى منزلي فلما كان من الغد باكرت المعتضد فقال هات حديثك فسقته عليه فقال احفظ الدنانير ولا يقع لك اني اعمل معك مثلها بسرعة انتهى

﴿ ومن المنقول عنه أيضاً ﴾

قال ابن حمدون كنت حلفت وعاهدت الله أن لا أعقد مالاً من القمار وانه لا يقع في يدي منه شيء الا صرفته في ثمن شمع يحترق ونبيذ يشرب أو اجر مغنية فجلست يوماً ألاعب المعتضد فقمرته سبعين الف درهم فنهض المعتضد يصلي قبل العصر ركعات من قبل أن يأمر لي بها فجلست أفكر وأندم على ما حلفت عليه وقلت كم أشتري من هذه السبعين الف درهم شمعاً وشراباً وما كانت هذه

العجلة فى اليمين ولولم أكن حلفت لكنت الآن اشتريت بها ضيعة وكانت اليمين بالطلاق والعتاق فلم سلم من الصلاة قال لى فى أى شىء تفكرت فقلت خير فقال بحياتى اصدقنى فصدقته فقال وعندك انى أريد أن أعطيك سبعين الفاً فى القمار فقلت له قتصعوا قال ثم قد سفوت قم ولا تفكر فى هذا قال ودخل فى صلاة الفرض فلحقنى غم أكثر من الاول وندم على فوت المال وجعلت ألوم نفسى لم صدقته فلما فرغ من صلاته قال يا أبا عبد الله بحياتى اصدقنى عن هذا الفكر الثانى فصدقته فقال أما القمار فقد قلت أنى سفوت ولكن أهب لك سبعين الفاً من مالى ولا يكون على اثم فى دفعها ولا عليك اثم فى أخذها وتخرج على يمينك فتشترى بها ضيعة حلالا فقبلت يده وأخذت المال فاعتقلت به ضيعة

﴿ ومن المنقول عن عضد الدولة ﴾

روى أن بعض التجار قدم من خراسان ليحج فتأهب للحج وبقى معه من ماله الف دينار لا يحتاج اليها فقال ان حملتها خاطرت بها وان أودعتها خفت جحد المودع فمضى الى الصحراء فرأى شجرة خروع فحفر تحتها ودفنها ولم يره أحد ثم خرج الى الحج وعاد فحفر المكان فلم يجد شيئاً فجعل يلطم ويبكى فاذا سئل عن حاله قال الارض سرقت مالى فلما كثر ذلك منه قيل له لو قصدت عضد الدولة فان له فطنة فقال أو يعلم الغيب قيل له لا بأس بقصده فقصده فاخبره بقصته فجمع الاطباء فقال هل داويتم فى هذه السنة أحداً بعروق الخروع

فقال أحدهم أنا داويت فلاناً وهو من خواصك فقال عليّ به فجاء فقال له هل داويت في هذه السنة بعروق الخروع قال نعم قال من جاءك به قال فلان الفراش فقال عليّ به فلما جاء قال من أين أخذت عروق الخروع قال من المكان الفلاني فقال اذهب بهذا معك وأره المكان الذي أخذت منه فذهب معه صاحب المال الى تلك الشجرة وقال من هنا أخذت فقال الرجل ها هنا والله تركت مالي فرجعا الى عضد الدولة فاخبره فقال للفراش هلم بالمال الذي وجدته تحت شجرة الخروع فاعاد الالف دينار بعينها انتهى

﴿ ومن المنقول عن جلال الدولة ﴾

ذكر جلال في تاريخه قال حدثني بعض التجار قال كنت في العسكر واتفق ان ركب السلطان جلال الدولة يوماً الى الصيد على عادته فلقيه سوادي يبكي فقال مالك فقال لقيني ثلاثة غلمان أخذوا حمل بطيخ كان معي وهو بضاعتي فقال امض الى العسكر فهناك قبة حمراء فاقعد عندها ولا تبرح الى آخر النهار فانا ارجع واعطيك ما يغنيك فلما عاد السلطان قال لشرابيه قد اشتهيت بطيخاً ففتش العسكر وخيمهم على شئ منه ففعل واحضر البطيخ فقال عند من رأيتم وه فقيل في خيمة فلان الحاجب فقال احضروه فاحضروه فقال له من أين هذا البطيخ فقال الغلمان جاؤا به فقال أريدهم الساعة فمضى وقد أحس بالشر فهرب الغلمان خوفاً من أن يقتلهم فعاد وقال قد هربوا لما علموا بطلب السلطان لهم فقال احضروا السوادي فقال له هذا بطيخك الذي اخذ منك قال نعم

فقال خذه وهذا الحاجب مملوك لي وقد سلمته اليك ووهبته لك حين لم يحضر الذين أخذوه منك ووالله لئن خليته لاضربن عنقك فاخذ السوادي بيد الحاجب فاخرجه فاشترى الحاجب نفسه منه بثلاث مائة دينار فعاد السوادي الى السلطان فقال ياسلطان قد بعت المملوك الذي وهبته لي بثلاثمائة دينار فقال ورضيت بذلك قال نعم قال اقبضها وامض مصاحباً اه

﴿ ومن المنقول عن جلال الدولة أيضاً ﴾

قال الصابي حكي لي من كان حاضراً باصفهان قال جاء اليه تركماني قد لزم بيد تركماني فلما دخلا اليه قال قد وجدته ابني يأتي وأريد ان اقتله بعد اعلامك قال لا بل تزوجها به وتعطي المهر من خزانتنا فقال لا اقنع الا بقتله فقال هاتوا السيف فجيء به فسلمه وقال للاب تعال فلما قرب منه أعطاه السيف وامسك بيده الجفن وأمره ان يعيد السيف الى الجفن فلما رام الرجل ذلك قلب السلطان الجفن ولم يمكنه من ادخال السيف فقال يا سلطان ماتدعني فقال كذاك ابنتك لو لم ترد ما فعل بها هذا فان كنت تريد قتله لاجل فعله فاقتلهما جميعاً ثم احضر من زوجه بها هذا وأعطاه المهر من خزانته

(وذكر محمد ابن عبدالملك الهمداني) ان احمد بن طولون جلس يوماً في متنزه له يأكل فرآى سائلا في ثوب خلق فوضع بيده في رغيف ودجاجة وقطعة لحم وقطعة فالوزج وامر بعض الغلمان بمناولته فرجع الغلام وذكر انه ماهش له فقال ابن طالون للغلام جئني به فتمثل

بين يديه فاستنطقه فاحسن الجواب ولم يضطرب من هيبته فقال له احضرني الكتب الذي معك واحضرني من بعث بك فقد صح عندي انك صاحب خبر فاحضر السياط فاعترف له بذلك فقال بعض من حضر هذا والله السحر فقال احمد ماهو بسحر ولكنه قياس صحيح رأيت سوء حال هذا فوجهت اليه بطعام يشره الى اكله الشبعان فا هش له ولا مد يده اليه فاحضرته فتلقاني بقوة جاش فلما رأيت رثاثة حاله وقوة جاشه علمت انه صاحب خبر

(ورأى ابن طالون) يوماً حمالا يحمل صناً وهو يضطرب تحته فقال لو كان هذا الاضطراب من ثقل المحمول لغاصت عنق الحمال وانا أرى عنقه بارزة وما هذا الامن خوف ما يحمل فأمر بحط الصن فوجد فيه جارية قد قتلت وقطعت فقال اصدقني عن حالها فقال أربعة نفر في الدار الفلانية اعطونى هذه الدنانير وامروني بحمل هذه المقتولة فضرب الحمال مائتي صوت وأمر بقتل الاربعة اه

(وكان ابن طولون) يتكر ويخرج فيسمع قراءة الائمة في المحاريب فدعى بعض اصحابه يوماً وقال امض الى المسجد الفلاني واعط امامه هذه الدنانير قال فمضيت وجلست مع الامام وباسطته حتى شكى الي ان زوجته ضربها الطلق ولم يكن معه ما يصلح به شأنها وانه صلى فغلط مراراً في القراءة فعدت الى ابن طالون واخبرته فقال صدق لقد وقفت امس قرأيته يغلط كثيراً فعلمت انه شغل قلبه

(حكى) ان غلامين اخوين كانا لبعض الملوك فمضى احدهما الي

وزير الملك يطلب منه شيئاً فلم يعطه فقال لاخيه لأزيلن الوزير عن ملكه فقال له أخوه من أنت حتى تقدر على هذا قال سترى فلما جاء الليل جلس عند الملك يغمز رجليه فلما قارب النوم قال لاخيه يااخي علمت اني رأيت البارحة الوزير خارجا من عند الملك داخلا الى عند نسائه فلحقته فقلت الى اين فقال غلطت ولم ادر اين آخذ فعلمت انه لم يسلك تلك الطريق الا وقد تعود ذلك فلما اصبح الملك قبض على وزيره استأصله فمر به الوصيف يوماً وقال يافلان ايما كان خيرا لك تعطيني ما طلبت أو هذه الحال قال والك لصاحبي قال نعم قال الله حسيبك قال فما تقول تعطيني ما طلبت حتى أعيدك قال كيف لك بذلك قال جرب فاستقرض له الوزير ما طلب ثم انصرف الى أخيه المملوك فحدثه فقال كيف لك بان تصلح ما أفسدت قال دعني والامر فلما كان الليل وقارب الملك النوم قال الوصيف لاخيه وددت لو كنا لرجل من السوقة قال ولم قال ان السوقة اذا غضبت علينا وجدنا من ينصفنا أو يشفع الينا والملك اذا سخط لم يكن في سخطه الا العطب قال وما ذاك قال الوزير قد عرفت امانته ونصيحته وما آل اليه ولم أعرف لحاله سبباً فاستوى الملك جالساً وقال ألست أنت سببه قال وكيف قال ألست حدثت انه دخل النساء قال أيها الملك وانما هذا لنداك قال نعم قال انما كانت مناماً رأيته فندم الملك على ما صنع فلما أصبح أعاده الى مكانه (ويشبه هذا) ما حكي أن مزيداً كان يدخل على بعض ولاة المدينة قابطاً عليه ذات يوم ثم جاء فقال ما ابطأ بك

مني قال جارة لي كنت أهواها منذ حين فظفرت بها ليلتي وتمكنت منها فغضب الوالي وقال والله لآخذنك باقرارك فلما رأى مزيد الجد منه قال فاسمع تمام حديثي قال وما هو قال فلما أصبحت خرجت اطلب مفسراً يفسر لي رؤياي فلم أقدر عليه الى الساعة قال ويلك أفي المنام رأيت هذا قال نعم فسكن غضبه

(روى ان رجلا من تميم) يقال له حنظلة وكان له ولد يسمى مرة وكان الولد معطياً لابيه حتى اذا كان شاباً عصاه وخالفه فقال له أبوه انك لمر يامرة • فقال اعجبتني حلاوتك ياحنظلة• قال انك لخبيث كاسمك قال اخبث مني من سماني به • قال ما احوجك الى الأدب - قال الذي نشأت على يديه احوج مني اليه - قال عقمت ام ولدتك • قال نعم اذا لقحت منك قال انك لمشؤم على اخوتك اذ دفنتهم وبقيت قال قـد اعجبتني كثرت عمومتي يا مبارك • قال ما اراك من الناس • قال اجل لاني اشبهت والدي • قال قد حرمت عليك جهدي • قال ما أتيت الا من عجزك • قال لادعون الله عليك بالجزاء • قال الذي تدعوه عالم بك • قال امان الله ماجرأك على هذا الكلام أحد غيري• قال فنفسك اذا فلم لاستقلن من أمري ما كنت مصنعاً لاردنيدبك الا الخيبة • قال انك لكثير العيوب • قال الا ما فضلك الله به يا أبت قال ما أرى أحداً اعرف بك مني • قال فكيف ترى معرفتي بك اذا• قال لقد كنت آمناً ان تجاوبني بمثل هذه • قال ما كلامك في كلام من يخاف الجواب • قال انك لشبيه بامك • قال ما كنت باشر من زوجها•

قال اراحني الله منك • قال ذلك اليك • قال ومن لي بذلك • قال اختنق حتى تموت وتستريح مني • قال ما يزداد كلامك علىّ الا غيظاً • قال فهل يجنى من الشوك العنب • قال امان الله انى لعارف بك آنفاً • قال وانا والله ما أنكرك • قال ما اجد لك خيراً من السكوت • قال اجد لك خيرا من السكوت • قال فاراك لاتترك اذاك • قال ومن يمنعني من ذلك • قال سوء خلقك يمنعك من السكوت • قال لقد آيست من فلاحك • قال كيف يفلح من أنت أبوه • قال لئن قمت اليك لاوجعنك ضربا • قال لقد تقدم الى من هو أشد منك ضربا وبطشاً • قال لقد هممت أن آخذ نصف هذه الاجرة فاضرب بها رأسك • قال فاصنع بنصفها الآخر • قال لا جازاك الله خيراً • قال لست مستجاب الدعوة • قال وما اكثر ما أعرف من مساويك • قال ما عرف الله منك اكثر • قال ما يعرف مني الا خيراً • قال مادح نفسه يقرئك السلام • قال لأشكونك الى القاضي • قال القاضي بك أعرف • قال ما يعرف مني • قال حيث لايجيز شهادتك • قال سود الله وجهك • قال بيض الله عينيك • قال الم الله بك البلاء • قال واحل بك الفناء • قال ولد الناس أولادا وولدت شيطاناً • قال العصا من العصية ولا تلد الحية الا حية انتهى

(ومن النوادر الغريبة) ما حكاه بعض الكتاب قال اجتزت يوماً بسوق الرقيق وانا اذ ذاك شاب وكنت لهجاً بالغلمان فرأيت غلاماً أمرد في نهاية الحسن والجمال والملاحة ينادى عليه بنيف وخمسين

ديناراً وهو يساوى على حسن وجهه ثلاثمائة دينار فقلت للنخاس أتبيع هذا الغلام فقال انه طباخ شرابي حاسب كاتب يحسن كل صنعة حسنة كامل من غلمان الملوك الا ان له عيباً قد نقص في ثمنه وليس يخليه عنده أحد فقلت وما عيبه قال يطنز بمولاه قلت هل غير هذا شئ قال لا قلت لايكون هذا الامن افراط البطر وخفة الروح وأنا أرضى ان يطنز بي ألف لون من الطنز وأتمتع به وحدث له في قلبي عشق شديد فقلت له يا غلام ما عندك فيما قال النخاس قال يامولاي الذى عرفك من صناعتي صحيح وأنا أحسن اكثر منه ولكن عيبي قد سمعته قلت فمن أى جنس تطنز بمواليك قال هذا لايكون له جنس ولكن لا أزيد على ان اطنز بك وبكل ما يمكنني على مرة من النهار ولا ازيد على ذلك فقلت قد رضيت بهذا العيب قال فاستخرالله فابتعته بستين ديناراً وحملته الى دارى فما بان منه بقية نهاره شئ فلما كان من الغد حضرت وضيفى من الطعام وعدت نصف النهار وقد جعل دارى كافورة بالكنس والغسل والفرش وحضر فرشي وآلات الشراب والفاكهة واصلح مشموماً لم أر مثله قط وبخر الدار والآلات وأقام الدنيا على ساق باحسن خدمة فى الدنيا فاحتوى على مجامع قلبي فلما قدمت وجلسنا نأكل رأيت مائدة ما رأيت لنفسى أحسن منها تعبية ولبس هو ثياباً نظافا ووقف يكرر ما على رأسي وأنا آكل الى أن قدمت اسفيدباجة فاحسست بشئ ينزل في مرقها فيطلع على وجهي وقماشى ويرشش فى وجهي واوجه الحاضرين فتصير ثيابنا بالمرق شهرة

فرفعت وأسى أنظر ما هو فاذا الغلام بيــده كف حمص يرميه الي المرق فيرشش المرق علينا فقلت ما هذا وبلك قال الشرط أما هذا من الطنز الذى برى" اليك منه النخاس قلت فى عزمك ان تطنز اليوم غير هذا قال لاقفمت وسهل على حمل ذلك القدر منه وغسلت يدي واللحية وغيرت قماشي ودخلت الى مرقدي ودخل معي فكبسني اطيب تكبيس وخدمنى أحسن خدمة يومى وليلى وصار كل يوم يستعمل معى شيئاً من الطنز جارياً هذا المجرى وكله يسهل على ومحله يقوى في نفسى ومحبته تمكن من قلبي ومضيت أياماً وكنت قريب عهد بزفاف فدعاني صديقاً لى فى دعوة فضيت اليه فلما حصلت عنده قلت الغلام خذ قماشى فارددُه وجئنى بمنديل واذا كان وقت المغرب فدع الغلام يحمل شمعة واحضر الى بداية لانصرف الى منزلى فمضى وغاب الي ان انتصف النهار وعاد وأنا أغسل يدى واريد الشرب وهو مستعجل بصيح ياسيدي ياسيدى فارتعدت وقلت له مالك فقال ليس يصلح ان احدثك بحضرة الجماعة فقمت وقلت مالك فقال سق لما ركبت ادخلت الى البيت عشيقا لها فعطن الجيران وانكروا عليها فشتمتهم فكبسوا الدار واخرجوا الرجل وجاء أبوها واخوها وصاحب الشرطة وارتج الشارع بخبرهم قال فدخل قلبي أمر عظيم لانها امرأة قريبـة عهد بنقلة ولا علم لي بها ولم أظن ان هـذا مما يبلغه طنزه اليه فخرجت من عند صاحبى امشي فى الشمس حتي جئت فوجدت السكة منقلبـة على الحقيقة فحين جئت بدأني الاب وقال يا عدو الله هبـك لم تشفق

على محلك وصناعتك وعلى ما بيننا من المصاهرة ما حفت الله تمضي وتحصل في بيت قواد مع قحبة حتى تكبس بالشرط حتى بلغنا خبرك وخرجت أهلك حاسرات في طلبك وشاع مثل هذا في جيرانك فقلت يافاعل ياصانع ابنتك انت ادخلت رجلا الى داري حتى كبسها الجيران وأنت تنسب الى مثل هذا فقالت الجماعة شه عليك أف عليك هذا الكلام وتردد الكلام فانكشف بطلان ما بلغني وما بلغهم واذا الغلام أخبرني بهذا على امرأتي وأخبر امرأتي عني اني في منزل قواد واني كبست بالشرطة وقال لزوجتي قومي فاخرجي انت واهلك خلفه وامضي الى الحبس واغرموا عنه وخلصوه فلما انكسرت سورة الغضب تأملت ما جرى واذا أقل ما في القضية الى الطلاق امرأتي وأتعجل سوء السمعة لي ولاهلي فبادرت لاوقع بالغلام فوجدته قائماً يضحك فقلت ما هذا ويلك قال من الطنز الذي برئ اليك منه النخاس فلمعظم ما كان في قلبي في محبته وجعت بالندم على نفسي وعملت على بيعه ولم يرض القوم مني الا بذلك أيضاً فقلت يوم السبت أنادي عليه وأبيعه وقلت في نفسي اتمتع به الى يوم السبت فلعل ان يخف ما بقلبي منه ثم أبيعه وداويت أهلي ووهبت لهم داوهم وثياباً واعتذرت من أبيها وأخيها فلما كان من الغد وكبت واستقبلني رجل من وجوه القضاة وكانت بيننا مودة فوقف يحادثني وقال لي الى اين عزمت فقلت الى دار الوزير فقال نتصاحب جميعاً فتسايرنا وتحدثنا واستقبلنا صديق لنا فوقفنا نحدثه ساعة ثم فارقنا وأردنا نسير فلم نقدر

ومالت دابتي على دابته ودابته على دابتي فكدنا نسقط وسقطت اقللسوة القاضي وطيلسانه وتشوش ودابته ترع دابتي وصرنا حكاية فلوبت وجهي أتأمل السبب فاذا ذنب الدابتين قد ربطا ربطاً محكماً كل واحد منهما بالآخر فكلما همت الدابة بالمسير فلم تقدر وترع الاخرى فنزلت من على دابتي وقلت للقاضي ازل فنعل وجاء الغلمان الى الدابتين فحلوهما وطلبت الغلام فاذا هو مستند الى حائط يضحك فعدت الى منزلي وخلوت بالغلام وقلت باهذا انى عاشق لك وعجب فيك فيجب ان لا تفارقني وقد كنت تستعمل معي ضروباً مثل حديث الحمص والمرقة فاحتملته وقد حالت الفريضة فانك سعيت بالامس على خراب منزلي وطلاق زوجتي وجعلتني واياها فضيحة وأني كان بالملا فالاعداء لا يكذبونه واليوم سعيت على دمي وعلى دم قاض من قضاة المسلمين وهذا خارج عن الطنز فهل يمكنك ترك هذه الافاعيل وأنا أعطيك مائة دينار وأعطيك من الثياب كذا وأجرى عليك في كل شهر كذا وأوسعت له المواعيد فقال يامولاي ما ظننت عقلك هكذا فقلت كيف فقال كم أساوي على حسن وجهي لو لم أحسن الصنائع التي شاهدتها قلت ثلاثمائة دينار فقال وعلى هذه الصنائع فلت ضعف الثمن فقال لو علمت انى أقدر على مفارقة هذه الاخلاق لوجدت ألف قائد ووزير وحاجب وأمير وصاحب ديوان اكون عنده في السماء لا تقدر انت ولا نظراؤك على رؤيتي الا من بعيد فضلا عن ملكي وهو نقص نحي حتى أتضع عليّ ولى تقدرانت على شرائي

الا بهذه العيوب حتى صار ملك يشتريني وكم حبست وضربت وقيدت وعوقبت والبست الصوف وبت في الكنيف ولم اقدر فرفق بي وأحسن اليّ وخلع عليّ ووهب لي الذهب لادع هذه الخصال فما قدرت وهل ببغداد رئيس لا يعرفني أو قد ملكني يوماً لفرط عشقهم لي وشغفهم بي لحين ابتدي معهم بشيءٍ من هذا الخبر يعاقبوني أو يتوعدوني أو يعجلون ذلك اليّ وأنا لا أقدر على ترك هذا وما كان من عجبي الا من صبرك على اليوم شهراً فانه منذ حدثت اليّ هذه العيوب ما صبر أحد على ملكي أكثر منك قلت فاعتمد من الطنز ما يخف ولا يبلغ الى خراب البيوت وذهاب الاموال والجاه والخوف على النفوس واضعف لك ما وعدتك فقال يامولاي هذا طويل واحتاج الى كاتب ومشير يعزلني ما احمله من الطنز مما لا أعمله وليس الى الاشغال من ذلك سبيل فان صبرت والا فالسوق فاخرجته الى النخاسين وقد استطال مكثه عندي فبعته بنيف واربعين ديناراً انتهى

(يحكى ان رجلاً) كان في جوار أبي عمر القاضي وقد ظهر في يده مال جزيل بعد مضايقة شديدة فسأله القاضي عن سبب ذلك فقال له الرجل اني قد ورثت مالاً كثيراً من أبي فاسرفت فيه واتلفته جميعه حتى احتجت الى بيع سقوف البيت وأبوابه ولم يبق لي في البيت حيلة وبقيت لي مدة لاقوت لي الا من بيع امي من ثمن الغزل وتطعمني واياها منه فتمنيت الموت كي استريح فمت ليلة من الليالي .فرأيت في منامي كان قائلا يقول لي غناك بمصر أخرج اليها فبكرت بالخروج

اليها فلما وصلت الى مصر سد الله على الوجوه ولم أظفر باحدبطعمني كسرة خبز فبقيت متحيراً فنك في نفسي بعد المساء أدور في السوق لعل الله يرزقني بانسان يطعمني فما زلت أمشي بعد المساء الى ان مضى من الليل ثلثه فلقيني العسس وأنا دائر جيعان حيران تعبان عريان فقبض عليّ واحد فانكر حالتي فسألني فقلت غريب ضعيف فلم يصدقني وبطحني وضربني فصحت من شدة حرقان الضرب فقلت أصدقك قال هات فقصصت عليه قصتي من أولها الى آخرها وحديث المنام فقال ما رأيت رجلاً أحمق منك والله لقد رأيت أنا منذ كذا كذا سنة في النوم قائلاً يقول لي غناك ببغداد في الشارع الفلاني في المحلة الفلانية في دار فلان فذكر شارعي ومحلتي وداري فسكت وأتم الشرطي الحديث الى ان قال في بستان في الدار سدرة وتحتها مدفون ثلاثون الف دينار فامضي فخذها فما فكرت في هذا المنام ولا التفت اليه وانت رجل احمق فارقت وطنك وأهلك وجئت الى مصر بسبب حلم فقوى قلبي بذلك وأطلقني الطائف فبت في مسجد وخرجت من غد من مصر فقدمت بغداد ودخلت الدار فقلعت السدرة وحفرت مكانها فوجدت فيها قمقماً نحاساً فيه ثلاثون الف دينار فاخذتها وأمسكت يدي ودبرت أمري والآن أعيش في تلك الدنانير واحمد الله تعالى على هذه الحالة انتهى

(روى العماد الكاتب) في كتابه روضة المحبين عن المدائني قال امتدح ربيعة الرقي العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس

ابن عبد المطلب بقصيدة نادرة جيدة مختارة عند الشعراء لم يسبق اليها أحسن منها قوله

لو قيل للعباس يا ابن محمد	قل لا وانت مخلد ما قالها
ما ان اعد من المكارم خصلة	الا وجدتك عمها او خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة	كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة	حتى حللت براحتيك عقالها

قال فبعث اليه العباس بدينارين .وكان ربيعة قد أن يعطيه الغنى فلما نظر الى الدينارين كاد ان يجن وقال للرسول خذ الدينارين وهما لك وعلى ان ترد الورقة من حيث لا يدرى العباس فاخذ الرسول الدينارين ورد الورقة من حيث لا يدرى العباس فاخذ الرسول الدينارين ورد الورقة اليه فاخذها ربيعة وكتب فى ظهرها هذه الابيات

مدحتك مدح السيف المحلا	لتجرى فى الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً	كذبت عليك فيها وافتريت
فانت المرء ليس له وفاء	كأنى إذ مدحتك قد زنيت

ثم دفع الرقعة الى الرسول وقال له ضعها فى الموضع الذي أخذتها منه فاخذها الرسول وردها الى موضعها فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها فاذا فيها الابيات الاخيرات فغضب من ذلك وسأل عن حضرها فلم يقع على خبره فاتى الرشيد وكان أحد عمومته وكان أثيراً عنده يجله ويعظمه ويكرمه وقد كان هم ان يخطب منه ابنته فرأى الكراهة فى وجهه فقال له الرشيد ما شأنك وما خبرك قال هجانى

ربيعة الرقي فقال الرشيد عليّ بابن الخنا أيهجو أحدعمومتي وأعزهم عندي فاحضروه بين يديه فقال له ياابن الخنا تهجوا أحد عمومتي والله لقد هممت ان اضرب عنقك فقال يا أمير المؤمنين والله لقد مدحته بقصيدة ما لاحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ولقد بالغت في الثناء واكثرت من الوصف فان رأي أمير المؤمنين ان يأمر باحضارها فلما سمع الرشيد ذلك سكن غضبه وأحب ان ينظر في القصيدة فامر العباس بن محمد باحضارها فتلكا عليه العباس فقال الرشيد سألتك بحق أمير المؤمنين الا ما أمرت باحضارها فعلم العباس انه قد اخطأ على نفسه وغلط فاحضرت فاخذها الرشيد فاذا فيها هذه الابيات لو قيل للعباس يا ابن محمد حتى أتي على الابيات فاعجب بها وقال لقد صدق ربيعة الرقي في قوله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ثم قال للعباس كم اثبته عليها فسكت العباس حياء من الحاضرين فقال ربيعة أثابني عليها دينارين يا أمير المؤمنين فتوهم الرشيد انه يقول ذلك من الوجدة فقال ويحك يارقي كم اثابك على هذه واصدق قال وحياة رأس أمير المؤمنين ما اثابني عليها سوى دينارين فغضب الرشيد لذلك ونظر في وجه العباس وقال سوءة لك فضحت آباءك واجدادك وفضحت نفسك بين الناس فنكس العباس رأسه حياء من الخليفة والحاضرين ولم يجد جواباً فقال الرشيد ياغلام أعط ربيعة الرقي ثلاثين الف درهم فلماهم ربيعة الرقي بالرواح قال له الرشيد يارقي لا تذكره في شعرك بعدها وفترت همة الرشيد عما

كان به من التزويج وابعده وأقصاه انتهى

(روى عن الاصمعي) أنه قال ما شعرت في بعض الايام الا وقد جاءني أربعة رجال ادباء شعراء حداد وقصار وخباز وطبيب وقالوا جئناك لتحكم بيننا وتنظر في اشعارنا فقد ضمن كل واحد منا صناعته في ابيات من الشعر فقلت هاتوا فانشأ الحداد يقول

مطارق الشوق في قلبي لها أثر يطرق سندان قلب حشوه فكر

ونار كير الهوى في القلب مضرمة ومبرد الشوق لا يبقي ولا يذر

كيف احتيالي فتى لاقى على أمضض في لوعة الشوق ما لم يلقه بشر

قد جلت كلبة التجرار مقلته لان ثقل الهوى عن بابها عسر

قال الاصمعي فاستحسنت ما قاله ثم انشأ القصار يقول

غسلت بصابون الهوى شقة الوصل وأخلقها بالدق والجد والهزل

وأغلقت اشنان القطيعة والجفا لانقى أثواب السماحة والبذل

ومن بعـد ذا يضرب ذاباً فؤادي يكرد بن الصبابة والمطل

لئن دام هذا منك لا شك انني سأبسط اثواب السلو على حبل

قال الاصمعي فاستحسنت قوله ثم انشأ الخباز يقول

عجنت دقيق الوصل في جفنة الود وخمرته ماء الغرام على عهد

والقيت شوك البين في خبز الهوى واتعبت فيه من بلاء ومن جهد

فكرهته والشوق يخلو من يشاء ليجمعه تحت الرغيف على نَد

فلما تداني قامه وضاجـه تساقط في الشور من شدة الوجد

قال الاصمعي فأعجبني ما قال ثم انشأ الطبيب يقول

شربت فكم في القلب من كرب شربة لتعلق بها ناري وتهد وساوسي

بعناب بين سيسبان لسلوة وآجاص مجر ان مع ترنداسي

وصفيته حتى اذا عمل الدوا طرحه هوا كم بين خس مجالس

فقال لهم الاصمعي امرأة من يحكم بينكم طالق كلكم والله لقد أجاد في شعره

(قال الاصمعي) بينا أنا في بعض أسفاري اذ رأيت اعرابياً في أيام البرد الشديد وقد أوقد ناراً وهو يصطلي بها وعليه عباءة مخرقة وهو شيخ كبير وهو ينشد ويقول

اذا الله أعطاني قيصاً وجبة أصلي له حتى أغيب في القبر

وان لم يكن الا بقايا عباءة مخرقة مالي على البرد من صبر

ايحسب ربي ان اصلي عارياً ويكسو غيري كسوة البرد والحر

فوالله لا صليت لله مغربا ولا أخت الاخري ولا مطلع الفجر

ولا الظهر الا يوم شمس دفية فان غيمت فالويل للظهر والعصر

فقال الاصمعي فقلت يا أخا العرب فان كساك الله تصلي قال أي ورب الكعبة قال فاعطيته فضل كساء كان عليّ فأخذه ولبسه وتيمم والماء بين يديه فقلت ياهذا لايجوز لك التيمم والماء قريب منك فقال أنا أعلم منك بهذا ثم توجه يصلي قاعداً فقلت ياهذا لايجوز لك أيضاً أن تصلي قاعدا وانت تقدر على القيام قال بلى فاني أجد الاعتذار الى ربي ثم كبر وقال بسم الله الرحمن الرحيم وجعل يقول في صلاته

اليك اعتذاري في صلاتي قاعداً على غير طهر موميا نحو قبلتي

فمالي ببرد الماء يارب طاقة ورجلي لاتقوى على حل ركبتي
ولكنني أحصى صلاتي قاعدا واقضيكها يارب في وقت صحتي
فان أَلْمُ أفعل فأنت محكم بصفعك رأسي ثم نتفك لحيتي

قال الاصمعي فضحكت ثم قلت ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا

(قال بعض العطارين) جاءنا أبو العتاهية الى دكاننا فتحدث وكتب الناس عنه ثم تناول دفترا وكتب على ظهره

أيا عجبا كيف يعصى الاله أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد
وفي كل شئ له آية تدل على انه الواحد

ثم مضى وجاء أبو نواس فنظر الى الدفتر وقال من كتب هذين البيتين قلنا أبو العتاهية فقال والله لوددت انهالي بجميع ماقلت ثم تناول الدفتر وكتب على ظهره

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين فساقه من قدر الى قرار مكين
يحول شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

ثم مضى وخلفه أبو العتاهية فقال من كتب هذه الابيات قلنا أبو نواس قال والله لوددت انهالي بجميع ماقلت

(قيل لما قدم أبو نواس مصر) كان يجلس في الجامع والناس حوله وهو ينشدهم الاشعار وهم يكتبون عنه وكان بمصر رجل يعرف بالحسن بن عمر الاجبري يقول الشعر الضعيف وكان ناقص العقل فقيل له ان أردت أن يعلو شأنك في الشعر فاهج ابا نواس فاتاه وهو جالس

في المسجد والناس عنده فأنشده

الا قل للنواسي * الضعيف الحال والقدر

خبرنا منك احوالا * فلم نحمدك في الخبر

وما ان زعت بالمنظر * ولكن زعت بالذكر

قال وكان هذا الشاعر أوحش الناس صورة فنظر اليه أبو نواس فقال بماذا أهجوك وأي شيء أصفك وقد سبقني الله تعالى الى توحيش منظرك وتقبيح مخبرك وهل أكون ان قلت شيئاً الا سارقاً من ربي ومتكلفا ما قد كفاني فقال له بعض من معه على كل حال لا يقول هذا أنه الحمك فقال في وزن شعره

بما أهجوك لا أدري * لساني فيك لا يجري

اذا فكرت في هجوك * ابقيت على شعري

قال فقاموا الى أبي نواس فقبلوا رأسه وضعفوا الاجهري

﴿ ودخل الجامع مرة يطوف فيه ﴾ فانتهى الى رجل فقيل له لم سميت السماء سماء قال لانها سمت فعلت فصارت سماء قال والارض قال لانها أرضت فأرضت فعادت أرضاً ثم قام وعدل عنه الى مجلس يتناشد فيه الشعر وبين القوم رجلان فقال لاكبرهما ما اسمك قال اسمي عمرو وكنيتي ابو النجم واسم صاحبي دل .وهو شاعر مصر فقال له كيف بصرك بالنحو قال مني يؤخذ هذا العلم فقال كيف تقول اكلت خردلاً فقال اكلت خردلا باهذا قال فثنيه قال اكلت خردلين قال فاجمعه قال اكلت خرادل قال وما الذي دعاك الى اكل خرا صاحبك

فقطن لما قال وقام عنه خجلا

(قيل خرج أبو نواس يوماً) من دار الرشيد فتفاه الرقاشى فتبعه فقال ابشر ابو على بولاية ولاكها أمير المؤمنين فى هذه الساعة قال وما هي قال ولاك على القردة والخنازير فقال له أبو نواس فاسمع الآن وأطع فانك من رعيتي

(ومر بابي نواس) عثمان بن حفص الثقفي وهو ناقه من علة قد صفرت لونه فقال مالى أراك مصفرا يا أبا على قال لما رأيتك ذكرت ذنوبي فقال ولماذا تذكر ذنوبك عند رؤيتي قال خشية أن يعاقبني الله فيمسخني مثلك

(قيل أتى أبو العتاهية) الحسن بن هانى فقال له أنت الذي لاتقول الشعر حتى تؤتي بالرياحين والزهر فتوضع بين يديك فقال وما ينبغي للشعر أن يقال الا على هكذا فقال أما أنافلا أقوله الا على الكنيف قال وكيف يوجد فيه الرائحة

(حدث النفرى عن على بن يوسف) قال كنا ندور مع أبي نواس بالليل فى شهر رمضان فانتهينا ليلة الى مسجد السلولى فاذا ابنه يؤم بهم كأنه الشمس الطالعة له غرة كغرة القمر ليلة البدر وهو يريد أن يختم القرآن وقد ابتدى عند انتهائه اليه فى سورة أرأيت فقال أبو نواس قراءته والله أحسن من وجهه وان كان لا يعـدل وجهه شئ حسنا ثم قال على البديهة شعرا

وقرأ معلنا ليصدع قلبي   والهوى يصدع الفؤاد السليم

أرأيت الذي يكذب بالد ين فذلك الذي يدع اليتيم

(قال ابراهيم ابن جرير) الكوفي اخبرني ابن الداية ان أبانواس اجتمع يوماً مع صريع الغواني والخليع والرقاشي في مجلس بعض الرؤساء فاقترح صاحب المجلس عليهم شعرا تضمن القرآن فقال أبو نواس

وفتية في مجلس وجوههم ريحانهم قد عدموا المثيلا
دانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا

فبلغ خبر المجلس دعبلا فتكلف سلوك طريق أبي نواس فقال

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين

ومن شعر أبي نواس قوله

لولا تأنيك ما اغتربت ولا حط ركابي بأرض مغترب
ولا تخطيت في الصلاة الى قراءة تبت يدا أبي لهب

وهذه ارجوزة أبي بها عام حجه

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك
والسابحات في الفلك على مجاري المنسلك
والليل لما ان حلك الهنا ما أعدلك
مليك كل من ملك وكل من أهل لك
ما خاب عبد سالك يا خاطئاً ما أغفلك
اعمل وبادر أجلك واختم بخير عملك
لبيك قد لبيت لك لبيك ان الحمد لك

(قيل خرج أبو نواس يوما) مخمورا بنسيم الصبا فانتهى الى

الكناسة فلقاه اعرابي ومعه غنم يسوقها فناداه أبو نواس

ايا صاحب الذود اللواتي يسوقها بكم ذاك الكبش الذي قد تقدما

فقال الاعرابي

ابيعكه ان كنت تبغي ابتياعه ولم تك مزاحا بعشرين درهما

فقال أبو نواس

اجدت هداك الله رد جوابنا فاحسن الينا ان اردت تكرما

فقال الاعرابي

احط من العشرين خمسا فانني اراك ظريفا فاحملنها مسلما

فاعجب أبا نواس الاعرابي فقال ممن أنت قال من باهلة فانشأ أبو نواس

وباهلي من الأعراب منتخب جادت بداه بوافي القرن والذنب

فان يكن باهليا عند نسبته فعمله قرشي كامل النسب

﴿الباب الخامس عشر في النوادر﴾

صعد بعض الولاة المنبر ليخطب يوم جمعة فحمد الله ثم قال أتدرون ما أريد أن أقول لكم قالوا لا قال فاذا لم تدرون فلماذا أتعب نفسي ، نزل وصعد في الجمعة الثانية فقال أتدرون ما أريد ان أقوله لكم قالوا نعم قال فاذا كنتم تدرون فلماذا أوذي نفسي فلما كانت الجمعة الثالثة صعد فقال أتدرون ماذا أريد أن اقول لكم فقال بعضهم نعم وقال بعضهم لا قال فليقل من يعلم لمن لا يعلم ونزل انتهى

(اختصم رجلان فى شاة) وكل منهم قد أخذ باذنها فجاء رجل فقالوا قد رضينا بحكم هذا فقال ان رضيتما بحكمى فليحلف كل منكما بالطلاق ان لا اراجع فيما احكم به فحلفا فقال خلياها فخلياها فاخذ باذنها وساقها فجعلا ينظران اليه ولا يقدران على كلامه انتهى

(نادرة) وقف اعرابي على قوم فسألهم عن اسمائهم فقال أحدهم اسمى وثيق وقال الآخر اسمى منيع وقال الآخر اسمى ثابت وقال الآخر اسمى شديد فقال الاعرابي ما أظن الاقفال عملت الا من اسمائكم انتهى

(نادرة) قال أبو بكر الخطاط كان رجل فقيه خطه في غاية الرداءة وكان الفقهاء يعيبونه بخطه ويقولون لا يمكن ان يكون خطاً أرداً من خطك فضجر من عيبهم اياه فرأى يوماً مجلداً يباع فيه خط أردأ من خطه فبالغ في ثمنه فاشتراه بدينار وقيراط وجاء به ليحتج عليهم اذا قرؤه فلما حضر معهم أخذوا يذكرون قبح خطه فقال لهم قد وجدت أقبح من خطي بالغت فى ثمنه حتى أتخلص من عيبكم فاخرجه فتصفحوه واذا في آخره اسمه وانه كتبه في شبابه فخجل من ذلك

(نادرة) روى الاصمعي عن أبيه قال أتى عبد الملك بن مروان برجل كان مع بعض من خرج عليه فقال اضربوا عنقه فقال يا أمير المؤمنين ما هو جزائى منك قال وماجزاؤك قال والله ما خرجت مع فلان الا بالنظر لك وذلك أنى رجل مشؤم ما كنت مع رجل قط

الا وغلب وهزم فقد بانت لك صحة ما أدعيت وكنت لك خيراً من مائة ألف معك فضحك وخلى سبيله

(نادرة) قال رجل لهشام بن عمرو الفرطى كم تعد قال من واحد الى ألف ألف وأكثر قال لم أرد هذا قال فما أردت قال كم تعد من السن قال اثنين وثلاثين سنة عشر من أعلا وستة عشر من أسفل قال لم أرد هذا قال فما أدرى قال كم لك من السنين قال مالى منها شئ كلها لله عز وجل قال فما سنك قال عظم قال فابن كم أنت قال ابن اثنين أب وأم قال فكم أتى عليك قال لو أتى على شئ لقتلنى قال فكيف أقول قال قل كم مضى من عمرك

(نظيرها) قال خالد بن الوليد رضي الله عنه لعبد المسيح بن عمرو الغسانى وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة من أين أقضيت قال من صلب أبي قال من أين خرجت قال من بطن أمي قال فعلام انت قال على الارض قال ففيم انت قال فى ثيابي قال أتعقل قال أي والله وأقيد قال ابن كم انت قال ابن رجل واحد قال فما سنك قال عظم قال فما تريد في مسئلتك الا عيا قال ما اجبتك الا عن مسألتك

(نادرة) قال أبو العباس المبرد ضاف رجل قوماً فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا ان نعلم مقدار مقامه فقالت ألق بيننا شراً حتى نتحاكم اليه ففعلا فقالت للضيف بالذى يبارك لك فى غدوك غداً أينا أظلم فقال الضيف والذى يبارك لى فى مقامي عندكم شهراً لا أعلم

(نادرة) حكي أن رجلا اضاف رجلا فانتبه صاحب الدار بالليل فسمع ضحك الرجل من الغرفة فصاح به فلان قال لبيك قال أنت كنت في الدار فا الذي رفعك الى الغرفة قال تدحرجت فقال الناس يتدحرجون من فوق الى أسفل فكيف تدحرجت أنت الى فوق فقال من هذا اضحك

(نادرة) وصف لشاعر طيب خراسان فلما سافر اليها لم تعجبه فقال في شأنها

تمنينا خراسان زماناً　　فلم نعط المنى والصبر عنها
فلما ان أتيناها سراعاً　　وجدناها بحذف النصف منها

(ونظيرها) لجعفر بن زبيد الكاتب

وكم قائل لي سافر الى　　بلاد العراق تقع في الرخا
لعمري لقد صدقوا في الرخا　　وقعت ولكن بتقديم خا

(نادرة) قيل ان بعض السؤال وقف على باب نحوي فقرعه فقال النحوي من بالباب ينصرف قال اسمى احمد فقال النحوي لغلامه اعط سيبويه كسرة

(نادرة) يحكي أن بعضهم صحب رجلا نحوياً في بعض الطريق فرض النحوي وأراد الرجل ان يفارقه فقال له ما أقول لأهلك اذا قدمت عليهم قال قل صدعه رأسه • وأوجعته اضراسه • ووهنت يداه • وتورمت قدماه • واصابه ثقل في بدنه ووجع في بطنه • وانحناء في ظهره • وضرب في صدره • وريح بين وركيه ورمد في

عليه • فقال ألست آكل حفظ هذا كله بل اذهب وأقول قد مات والسلام

(نادرة) اكترى نحوى حالا ليحمل له زيرا فلما وصل الى البيت وفيه بركة فقال له النحوى اقفزن فقفز فوقع فانكسر الزير قال النحوي ما هـذا قال لام البركة ساكن والنون في اقفزن ساكنة فالتقى ساكنان وهل يجوز عند التقاء السـاكنين الا الـكسر فقال النحوى أحسنت ياسيبويه الحمالين

(نادرة) حكى أن بعضهم كان اذا لعب الشطرنج ضاربخصمه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألزم اللعب معه وما يحصل يتناضراب فلما أتى به ولعبا قال له في أثناء اللعب شاه استر فقال والله مليح القرنين أنت فقال يا أخى ما الذي قلت لك قال قلت استر ولا يستر الا الجمل والجمل تصحيفه حمل والحمل نجم فى السماء يقارنه الجدى والجدي الكبش والـكبش القرنان هو الذي يقود فقال يا أخي ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير الا أنت

(نادرة) سأل بعض الاكابر انسانا فقال له هل تعرف تلعب الشطرنج فقال لا يامولانا ولكن لي أخ اسمه عز الدولة كان حصـل بيني وبينه خصومة فسافر من مدة عشرة أعوام وسكن مدينة قوص وبلغنى أنه فتح دكان عطارة والى الآن ماورد على الملوك منـه كتاب وهو أيضا ما يعرف يلعب الشطرنج

(نادرة) قيل اتفق أن أبا الحسين الجزار قام مرة الى بيت

الخلا فناوله السراج الاوراق شمعة فقال الجزار ما عادتي اقضي الشغل الا على السراج

(نادرة) يحكي ان بعض السحاقات راودها رجل عن نفسها فقالت أنا ما افضل الصحابي على النبي تريد بذلك قول الشاعر

وليس عليّ في هذا ملام اذ اخترت النبي على الصحابي

فارادت بالنبي اسحاق تشير به الى السحق وتريد بالصحابي الزبير تشير به الى الزبرة الذكر والاير

(نادرة) روي ان النملة التي خاطبت سليمان عليه السلام اهدت له نبقة فوضعها في كفه وأنشأت تقول

ألم ترنا نهدي الى الله ماله وان كان عنه ذا غني فهو قابله

ولو كان يهدى للجليل بقدره لقصرعنه البحر حين يساحله

ولكننا نهـدي الى من نحبه فيرضى به عنا ويشكر فاعله

وما ذاك الا من كريم فعاله والا فما في ملكنا ما يشاكله

فقال عليه السلام بارك الله فيكم فهم بتلك الدعوة اكثر خلق الله

(نادرة) حكي القزويني ان الهدهد قال لسليمان عليه السلام أريد أن تكون في ضيافتي قال أنا وحدي قال لا أنت وعسكرك في جزيرة كذا في يوم كذا فحضر سليمان بجنوده وطار الهدهد فاصطاد جرادة وخنقها ورمى بها في البحر وقال كلوا يا نبي الله من فاته اللحم ناله المرق فضحك سليمان وجنوده حولا كاملا وقال الشاعر

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة اهدت اليه جرادا كان في فيها

وأنشـدت بلسان الحال قائلة ان الهدايا على قدر مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته لكان قيمتك الدنيا وما فيها

(نادرة) يروى انه كان للحارث بن صعصعة ندماء لايفارقهم فخرج في بعض متنزهاته ومعه ندماؤه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلا وشربا واضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الى منزله وجدهما قتيلين فعرف الامر وأنشأ يقول

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ويحفظ عرسي والخليل يخون
فياعجبا للخل يهتـك حرمتي ويا عجبا للكلب كيف يصون

يقال من طبيع الكلب انه يكرم أهـل الوجاهة من الناس ولا ينبحهم وينبح أهل الرثاثة واليه أشار الشاعر

يمشى الفقير وكل شئ ضده والخلق تغلق دونه أبوابها
وتراه ممقوتاً وليس بمذنب ويرى العداوة لايرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذابزة هشت اليه ولوحت أذنابها
واذا رأت يوما فقيرا معدما ونبت اليه وكشرت أنيابها

(نادرة) سئل بعض القصاص عن لوط عليه السلام فقال كان رجلا لوطيا نعوذ بالله من فعـله فلما انصرف عنه لامه بعض أصحابه وأعلمه ان لوطا كان مرسلا الى قوم وكان ذلك القوم فعلهم هذا وان لوطا نهاهم عنه فندم على ما قاله فلما كان في مجلس آخر سئل عن فرعون فقال دعونا من حديث الانبياء واسـئلوا الله العافية قوم لا رأيناهم ولا رأينا كيف نتكلم في أعراضهم

(نادرة) روي ان قاصا كان يتكلم فاقبل عليه جماعة من المرد فقال هاهو قد جاءنا العدو أمنوا وجعل يقول اللهم امنحنا اكتافهم وكبهم على وجوههم اولنا أدبارهم واكشف لنا عن عوراتهم ومكن رماحنا من ظهورهم والناس يؤمنون ولا يدرون

(ومن نوادر نوح أبي الغصن المعروف بجحى) بكسر الجيم وفتح الحاء المهملة قال الجاحظ انه أربى على المائة وفيه يقول عمر بن أبي ربيعة

ذهلت عقلي ولعبت بي حتى كأني من جنوني جحى

ثم أدرك ابا جعفر ونزل الكوفة (فنها) قيل له يوما تعلمت الحساب قال نعم ولم يشكل عليّ منه شئ قيل له اقسم أربعة دراهم على ثلاثة أنفس فقال لكل رجل منهم درهمن وليس للثالث شئ

(وأراد المهدي) أن يعبث به فدعي بالنطع والسيف فلما أقعد في النطع وقام السياس على رأسه وهز السيف فرفع رأسه وقال انظر لا تصيب محاجمي بالسيف فاني قد احتجمت فضحك المهدي وأجازه

(وماتت) لابيه جارية حبشية فبعثه الى السوق ليشترى لها كفنا فأبطأ عليه حتى اتخذ غيره فحملت جنازتها فجاء جحى فوجدها حملت فجعل يعدو الى المقابر ويقول هل رأيتم جنازة جارية حبشية وكفنها معي

(وحمحت) به بغلته يوما فأخذت به في غير الطريق الذى أراده فلقيه صديق له فقال له الى أين عزمت يا أبا الغصن فقال في حاجة البغلة

(وحمل) مرة جرة خضراء الى السوق يبيعها فقيل له أنها مثقوبة فقال لا أنها كان فيها قطن لامي وما سال منه شئ

(ونظر) يوماً الى رجل مقيد وهو مغتم فقال ما غمك اذا نزع عنك قسمته فيه ولبسه رخ

(وتجر) يوماً فاحترقت ثيابه فقال والله لا اتجر الاعرياناً

(وعجن) في منزله فطلبوا منه حطبا فقال ان لم تجدوا حطبا فاخبزوه فطيرا

(وأكل يوماً) مع أناس رؤساء فلما فرغ قال اطعمكم الله من رؤوس أهل الجنة

(وقيل) له يوماً مالوجهك يرى مستطيلا قال ولدت في الصيف ولولا أن الشتاء ادركه لسال وجهي

(وخرج يوماً) بقمقم يستقي فيه من ماء النهر فسقط من يده وغرق فقعد على شاطئ النهر فمر به صاحب له فقال له مايقعدك هاهنا فقال غرق لي هاهنا قمقم وأنا أنتظر ان ينفتح ويطفو

(واشترى يوماً) نقانق فانقض عليه عقاب فاختطفه فقال له يامسكين من أين لك خردل تأكله .

(نادرة) قدم بعض المغفلين ولده الى القاضي وقال يا مولانا ان ابني يشرب الخمر ولا يصلي فاحجر عليه فقال له القاضي ماتقول ياغلام فقال انه يدعي عليّ باطلا اني أصلي ولا اشرب الخمر فقال أبوه اعز الله القاضي أتكون صلاة بغير قراءة فقال القاضي ياغلام اقرأ شيئاً من

القرآن قال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الربابا بعد ماشابت وشابا

ان دين الله حق لا أري فيه ارتيابا

فقال أبوه ياموﻻي والله ما تعلم هذه الآيات الا البارحة فانه سرق مصحفاًمن بيوت الجيران فحفظها فضحك القاضي وحجر على الاب والابن

(نادرة) قال الاصمعي مررت باعرابي يصلي بالناس فصليت خلفه فقرأ والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها كلمة بلغت منتهاها لن يدخل النار ولن يراها عبد نهى النفس عن هواها فقلت انه ليس من كلام الله تعالى فقال علمني فعلمته الحمد لله وسورة الاخلاص ومضيت الى حال سبيلي ثم مررت به بعد ايام فرأيت يقرأ الحمد لله وحدها فقلت وأين السورة الاخرى أنسيتها قال لا ولكن لي ابن عم طلبها مني والكريم لا يرجع في هبته

(نادرة) أم رجل من الظرفاء بقوم وكانوا من التغفل بمكان فكانوا يطعمونه الخبز والكامخ ولا يزيدون عليه فصلى بهم يوماً الصبح فقرأ في الركعة الاولى بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولا تطعموا أئمتكم كامخاً بل لحماً فان لم تجدوا لحماً فشحماً فان لم تجدوا شحماً فبيضاً فان لم تجدوا بيضاً فسمكا فان لم تجدوا سمكاً قلينا ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالا بعيداً وخسر خسراناً مبيناً وقرأ في الركعة الثانية بعد الفاتحة يا أيها الذين آمنوا اطبخوا سكباجاً ولا تحمضوا حيضاً ومن يفعل ذلك فقد افترى اثماً عظيماً فلما فرغ من صلاته

جاؤه واعتذروا اليه من التقصير فى حقه وانهم لم يكن عندهم علم بان الله أنزل فى ذلك قرآناً وسألوه فى أي سورة هـذه الآيات فقال فى سورة المائدة

(نادرة) حكى ان عامل منصور بن النعمان كتب اليه من البصرة انى اصبت لصاً سرق نصاباً من حرز فما أصنع به فكتب اليه اقطع رجله عقوبة ودعه يكد بيديه على عياله فاجابه ان الناس ينكرون هذا لقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فكتب اليه القرآن نزل من السماء ونحن فى الارض والشاهد يرى ما لا يرى الغائب

(ومن النكت الهزلية) ان فقيراً وقف يسأل على باب بعض الفقهاء وكان ظريفاً فقال يا جارية اعطى هـذا الفقير رغيفاً قالت ما نجد شيئاً قال اعطه قدح دقيق قالت مفتاح الطبقة مع ستى قال فاعطه صدقة عنك وعنى وكان الفقير يسمع فقال بالله ياسيدي قل لها من وراء لئلا تقول على العيض

(نادرة) تقدم رجلان الى بعض القضاة فقال أحدهما هذا باعنى ثوباً ووجدت فيه عيباً وسألته ان يقيلنى فبى فالتفت القاضى الى الخصم وقال أقله عافاك الله فان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قيلوا فان الشياطين لا تقيل

(نادرة) تقدم جماعة الى قراقوش وكان عاملا على مصر من جهة السلطان صلاح الدين بن أيوب ومعهم قتيل وثور ورجل مكتوف

فقال أيها الامير ان هذا الثور مال على هذا الرجل فقتله وهذا مالكه وهو الملاقة فتفكر ساعة ثم أمر بالثور ان يشنق ويطلق صاحبه فقالوا ما هذا حكم الشريعة فقال لو جرى هذا في زمن فرعون ما فعل غير هذا فلا بد من شنق الثور وهو القاتل ولا يحل أن اقتل غير القاتل

(نادرة) روى ان نصر بن مقبل كان عاملا لهارون الرشيد على الرقة فأتى برجل من الظرفاء وجدوه ينكح شاة فقال له أيها الامير انها والله ملك يميني وقد قال الله تعالى وما ملكت ايمانكم فاطلقه وأمر بجلد الشاة الحد فان ماتت والا تصلب قالوا انها بهيمة قال وان كانت بهيمة فان الحدود لا تتعطل وان عطلتها فبئس الوالي أنا فانتهى خبره الى الرشيد ولم يكن رآه قبل ذلك فدعي به فلما حضر بين يديه قال له من انت قال مولى الكلب فضحك الرشيد ثم قال له كيف بصرك بالحكم قال يا أمير المؤمنين البهائم عندي فيه والناس سواء ولو وجب على بهيمة حد وكانت أمي لحددتها ولم تأخذني في الله لومة لائم فأمر الرشيد ان لا يستعان به في عمل ولم يزل معطلا الى أن مات

(نادرة) يحكى ان بعضهم مر بامرأة من بعض احياء العرب فقال لها ممن المرأة قالت من بني فلان وكانوا يكسرون أول المضارع فاراد العبث بها فقال اتكتنون فقالت نعم تكتني فقال لها معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت فاجابته على الفور وقالت له دع هذا أتعرف العروض قال نعم قالت قطع لي قول الشاعر

حولوا عنا كنيستكم ... يابني حمالة الحطب

فأخذ يقطعه فقال حولوا عن فاعلا تن فاكى فاعلن فقلت له من هو الفاعل ولـكن الباغي مصرع

(نادرة) حكى ان بعضهم كان يكتب كتاباً والى جانبه آخر فكتب عمرا بغير واو فقال له يامولانا زدها واو للفرق فقال له والله لقد تعضل مولانا بزيادة الواو يعنى أنه لقوط

(ونظيرها) مايحكى ان رجلا قال لسعيد بن عبد الملك تأمرنا بشئ قال بم بتقوى الله عزّ وجل واسقاط هذه الالف (نادرة) قيل ان رجلا رمى عصفورا فاخطأه فقال له آخر احسنت فغضب وقال أتهزأ بي قال لا انما قلت احسنت الى العصفور

(نادرة) قيل انبعضهم كان واقفاً بعرفة فرأى انسانا يتضرع وينتحب ويبالغ في الدعاء ويقول بحرق ويتوجع اللهم اغفرلى فقال له يا أخي ان الله قد تصدق على عباده في هذا اليوم وقد غفرلاهل عرفة فقال يا أخي دعنى فان ذنبي عظيم قال هل قتلت أحداً والديك قال لا فقال هل وطئت أحداً من محارمك قال لا فقال هل كفرت قال لا قال فهل دللت على سرية من سرايا المسلمين قال لا وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب وهو يقول لا قال فما الذى فعلت قال نكت خنزيرة فقال الأمر سهل ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولـكن اخبرني كيف وقفت لك حتى فعلت قال كانت ميتة قال فكيف قام عليك قال فمصمصت لسانها قال له لا غفر الله لك ولا تجاوز عنك ولا سامحك يا أخس العالم

(نادرة) سأل بعضهم شيخاً من أهل الفسوق قال بت البارحة

في مجلس قوم وفيهم امرد مثل القمر فلما ناموا حاولت اليت عليه لم أصل اليه وأصبحنا فلما لم يتفق لى نيكه فقال الشيخ لك نيتك فقد حسبت لك فسقه (ومن هذا قول النور الاشعري)

ولى صاحب قال نلت التى بى هو دون الورى منبق
فقلت أنى زائراً قال لا ولكن جلدت ولى نيق

(قيل ان بعضهم كان) نائماً في مجلس قوم فما شعر بنفسه الاوقد دخل فيه شئ كذراع البكر فقام اليه متكراً وقال ما هذا فقال الدباب يا أخي لك المعذرة فانه قام على ولم يكن الى جانبي غيرك فقال يا أحمق كنت جلدت فقال والله ما يسعه خفى فكيف يسعه كنى فقال أبهذا الزب تريد ان تدب

(نادرة) حكي ان أبا نواس كان في يوم شديد البرد وعليه فروة فمر به بعض السؤال فطلب منه ما يلبسه فقال ما أملك غير هذه الفروة فقال له السائل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو نواس هذه الآية أنزلها الله في الحجاز في شهر تموز فيما يؤكل ولم ينزلها في شهر كانون في الرها فيما يلبس

(نادرة) سأل بعض السؤال من آخر فقال يفتح الله فالح في السؤال ولم يحصل له منه شئ فقال أين الذين كانوا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال ذهبوا مع الذين لا يسئلون الناس الحافا

(نادرة) وحكي ان بعضهم رأى امرأة حسناء في طاقة فاحبها ولازم الوقوف ببابها والمرور تحت طاقتها وصل الى ان أعيا وقل صبره وحصل

على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليـه فدفع اليها صحفة وقال دعي سيدتك تبل في هذه فبالت له في الصحفة وقالت للجارية اتبعيه وانظري ما يصنع بذلك فلم يزل الى أن وصل بعض الخرابات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يامشوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرق

(نادرة) ادخل مخنث على العريان بن الهيثم وهو أمير الكوفة فقال عدو الله كيف تخنث وأنت شيخ فقال مكذوب عليّ كما كذب على الامير أعزه الله فاستوى الامير جالساً وقال وما قيل فيّ قال يسمونك العريان وأنت صاحب عشرين جبة فضحك وخلاه

(نادرة) دخل بعض شعراء الهند على أمير فدحه فقال له الامير تقدم يازوج القحبة وقال هذا بلغة العرب كناية عن من له قدر جليل ومحل كبير ومال ودواب وجمال وغلمان وقدر ومنزلة فقال أنت أيها الامير اكبر زوج قحبة في الدنيا فخجل وعلم ان مزاحه جر الى شتمه

(نادرة) حكي عن احمد بن المدبر انه كان اذا مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه أمض الى المسجد ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم خله فتحاماه الشعراء الا المجيدين منهم فجاء الحسين بن عبد السلام المصرى فاستأذنه في النشيد فقال له اعترفت الشرط قال نعم وانشأ يقول

أردنا من أبي حسن مديحاً كما بالمدح تنتجع الولاة

فقلنا أكرم الثقلين طراً — ومن كفيه دجلة والفرات
فقالوا يقبل المدحات لكن — جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي — عيالي انما تغني الزكاة
فاما اذا ابي الا صلاتي — وعاقتني الهموم الشاغلات
فيأمر لي بكسر الصاد منها — لعلي ان تنشطني الصلاة
فيصلح لي على هذا حياتي — ويصلح لي على هذا المات

(نادرة) دخل بعض الظرفاء على بعض الاكابر وعلى رأسه غلام جميل الصورة فاطال المتظرف النظر اليه فقال له مالك اطلت النظر الى هذا الغلام فقال يعجبني حسنه فقال عينك فى استك فقال لا والله بل عينى فى استه

(نادرة) سئل أبو نواس عن العباس بن الحسن فقال هو أرق من الوهم وأحسن من الفهم وأمضى من السهم وسئل العباس عنه فقال هو أحسن من وفاء بعد غدر ووصل بعد هجر

(نادرة) قال بعضهم بت عند رجل من أهل الكوفة من المؤسرين المعروفين بحبس الكلب وله صبيان فيام بحيث أراهم فرأيته فى الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب فلما أصبحنا قلت رأيتك البارحة تفعل كيت وكيت قال نعم هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار فيصبحون جياعاً فانا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا ينهضم ما أكلوه سريعاً

(نادرة) قال بعض الحكماء البخلاء بمنزلة البغال والحمير تحمل

الذهب والفضة وتأكل التبن والشعير (وسئل) الحسن البصري رحمة الله عليه عن البخل ما هو فقال هو ان يرى الرجل ما أنفقه سرفاً وما أمسكه شرفاً (وقال) رجل ما جن لصديق له بخيل لم لا تدعوني الى طعامك فقال لانك شديد المضغ سريع البلع اذا أكلت لقمة هيئت لك أخرى فقال له جعلت فداك تريد اذا اكلت لقمة اصلي ركعتين ثم أعود الى ما بعدها (قيل) لبخيل من اشجع الناس فقال من يسمع وقع اضراس الناس على طعامه ولا تنشق مرارته (وكان) المزيزي شديد البخل جداً فمن ظريف ما حكي عنه انه ركب يوماً دابته لهم له فلما بعد عن منزله نسى رأس دابته وعاد يطرد الدابة الى منزله فقدر غلامه انه نسى كيساً أو شيئاً خاف عليه فلما دخل منزله الطلعت الجارية فقال تمن قال أنا قولي لستك انى اكلت قبل ركوبي وطرحت السنور لقمة فان اكلت هي فلا تطعم السنور شيئاً لئلا تحقق وظيفتنا وتفسد عادة السنور علينا فقال الغلام الطلاق لازم له ثلاثاً ان أقت عندك أبداً

(نادرة) قال جحظة البرمكي أخذني بعض المخنثين فقال ياأبا الحسن وفي الدنيا مثل المخنثين قلت كيف قال ان حدثوا ضحكتم وان غنوا طربتم وان ناموا قمتم

(نادرة) قيل لرجل يكثر اللحن في كلامه لو كنت اذا شككت في اعراب كلمة عبرت عن معناها بكلمة أخرى لاسترحت فان الكلام واسع فقال الرجل افعل ذلك فاتى رجلا كان مشهوراً بالادب فأراد

ان يسئله عن أخيه فقال له أخوك أخيك أخاك ها هنا فقال له الاديب لا • لو • لي • ما هو حاضر (وقال) أبو العنبرى رأيت رجلا يعرج فقلت له مالك فقال غداً تريد ان تدخل فى رجلى شوكة

(نادرة) أحدث امام فى الصلاة فتأخر وقدم رجلا وذهب يجدد الوضوء فقدر الامام الثانى انه لا يجوز له أن يصلى فوقف ينتظر صاحبه فلما طال قيامه تنحنحوا من خلفه فالتفت اليهم وقال مالكم انما قدمني رجل لأحفظ مكانه الى ان يرجع

(نادرة) قرأ امام فى الصلاة القارعة فلما بلغ قوله خفت موازينه فأمه هاوية قال فأمه زانية فقطع القوم صلاتهم وانكروا عليه فقال ياقوم لم تمتمونى أنى أشتم الكفار (رأى) أبو حنيفة رجلا يصلى ولا يركع فقال ياهذا لا صلاة لك يعنى بغير ركوع فقال انى رجل عظيم البطن فاذا ركعت ضرطت فصلاتى قائماً بلا ركوع خير من صلاة مع ركوع بضراط (وقال) بعضهم رأيت شيخاً طويل اللحية وقد احتاز بقرض وهو يقول بحرجه ولا يكاد يسيغه فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه

(رأى ابن خلف) الهمدانى امرأته وقد أخذها الطلق فدخل على القابلة وقال بالله أخرجيه ابناً وانا أعطيك دينارا ولا احتاج أوصيك (ورث) بعضهم نصف دار فقال يوماً قد عزمت على بيع نصف الدار الذى لى واشترى به النصف الآخر لتصير كلها لى (ركب) بعضهم مركبا وفي يده ثلاثة عشر درهما فرأى على ثوب شخص

جالس برغوثاً فاخذه بالسبابة والابهام من اليد التي فيها الدراهم ثم مد يده الى الماء ليرمي فيه البرغوث فرمى بالدراهم وبقي البرغوث فالتفت الى أصحابه وقال هل رأيتم مثل هذا البرغوث يقوم علي بثلاثة عشر درهما (أخرج صبي)رأسه من منظرة والمطر نازل فوقعت بردة فاوجعته فظن أن أحداً رماه فشتم من رمي فاطلع أبوه من الطاق لينظر من رمى ابنه فرأى البرد نازلا من السماء فقال ارم ياسيدي ما عرفك الصبي (وعظ) مغفل آخر فقال له الزم السنة فانك ان لازمت السنة دخلت الجنة فقال له الآخر وما السنة قال حب أبي بكر بن أبي قحافة وعمر بن أبي طالب وعثمان بن سفيان واستاذهم كلهم معاوية قال ومن معاوية هذا قال ويلك لا تعرفه هذا كان من حملة العرش فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته عائشة (قال) بعض الممتحنين من ظرائف المحن انني مرت بي أني بت ليلة عند قوم وحركتني الطبيعة في بعض الليل ولم أعرف طريق الخلاء فقمت أدور في البيت فوجدت بيتاً فيه مهد وفيه صبي نائم وليس عنده أحد نائم فعمدت الى الصبي فاخرجته من المهد وجعلته في حجري وضممت ثيابي وحولت استي الى المهد وخرجت وذهبت أرد الصبي الى مهده فاذا به قد خرى في حجري أضعاف ما خريت في مهده فبقيت متحيراً لا أدري ما أعمل وعلموا بحالي وكدت أموت خجلا

(نادرة) قيل لابرويز بن شيرويه بن كسرى انوشروان وكان حكيما ما شهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام

قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الابكار قيل فما شهوة الأبد قال اما في الدنيا فمجالسة الاخوان وأما في الاخرة فنعيم الجنة (ونظر الى قذاة في طعام قدمه الطباخ فقال ما هذا قال حاولته بالليل وقت لم يكن فيه ماء معين فأمر بضرب عنقه فغضب الطباخ وقال يا ابن الاستور بان تضيره يا ابن سائس الدواب فعفى عنه وقال أنا معاشر الملوك نعاقب على الصغيرة ونعفوا عن الكبيرة

(نادرة) قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه رأيت باليمن أربع عجائب جدة بنت احدى وعشرين سنة أي حجره ورأيت شيخا كبيراً يدورعلى بيوت القيان يعلمهم الغنا فاذا حضرت الصلاة صلى جالسا ورأيت رجلا فلسه القاضي في مدين من النوى ورأيت رجلا يكتب بالشمال أسرع ممن يكتب باليمين

﴿ نادرة ﴾ ذكر ان الامام فخر الدين الرازي رحمه الله كان في بعض متنزهاته في الري وبين يديه طلبته وخدمه واذا بحمامة سقطت في حجره من بازي كان يقصدها فحماها الشيخ من ذلك البازي فانشد في ذلك بعض من حضر

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف
من علم الورقاء ان حماكم حرم وفيه ملجأ للخائف

قال فأمر الشيخ أن يملأ فم القائل درا ففعل به ذلك (وقد عن لي ان) اختم هذا الباب الذي بتمامه يتم الكتاب بذكر

نبذة من كلام الفضلاء الاجلاء في التحذير من الاصدقاء والاخلاء ومن الاشعار الجيدة المتضمنة في الحث على الوحدة (قال جعفر الصادق) رحمه الله لبعض الاخوان اقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم وان كان ذلك مائة صديق فاطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد منهم على حذر

﴿ روي ﴾ عن محمد بن يوسف أنه قال استشرت سفيان الثوري في سكنى العراق فقال لاأراها لك لانها بلاد فتنة ولكن ان صح جسمك فعليك بالسواحل ثم استفد مائة صديق ثم أطرح منهم تسعة وتسعين وكن من الواحد في شك واعلم انه لم يكن في الارض غير ولدي آدم فقتل أحدهما على الآخر فقتله (وقال) سفيان الثورى للحسن البصري رحمهما الله تعالى دلني على من أجلس اليه قال تلك ضالة لاتوجد (وقال) ذو النون المصري الا أنس بالله نور ساطع والانس بالخلق غم واقع (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم صومعة المؤمن بيته يكف فيها نفسه وبصره ولسانه وفرجه (وقال) الجنيد لسرى أوصني قال لا تكن مصاحب الاشرار ولا تشتغل عن الله بالاخيار

(روى) ان مالك بن دينار لقي راهباً في عبادته تاركا لدنياه فقال له أوصني فقال الراهب ان استطعت ان يكون بينك وبين أهل الدنيا حائط من حديد فافعل قال زدني ويحك قال أقل من معرفة الناس قال زدني ويحك قال اقطع طمعك من المخلوقين تسكن ملكوت

السماء (ويقال) العزلة عن الناس توفي العرض وتبقي الجلالة وتسر الغابة وترفع مؤن المكافآت في الحقوق اللازمة والوجوه (وكان) مكحول يقول ان كان الفضل في الجماعة فان السلامة في العزلة (وروى) عن سفيان الثوري انه قال قال لي جعفر بن محمد الصادق يا سفيان فسد الزمان وقل الاخوان وتقلبت الاحيان فاتخذ الوحدة أمعك شيء يكتب فيه فقلت لم فقال

لا تجزعن لوحده وتفرد ومن التفرد في زمانك فازدد

ذهب الاخاء فليس ثم اخوة الا التملق باللسان واليد

فاذا كشفت ضميره عن قلبه وافيت منه نقيع سم الاسود

(ومن أمثال العرب) الوحدة خير من جليس السوء في كتاب المبهج من لازم الخلوة ربه كان في الامن والحصن الامنع قال الشاعر

كن بقعر البيت حالسا وأرض بالوحدة انسا

لست بالوحدة خلا أو ترد اليوم أمسا

ومن أحسن ماقيل في هذا الباب قول منصور ابن اسماعيل الفقيه

الناس بحر عميق والبعد عنهم سفينه

وقد نصحتك فانظر لنفسك المسكينه

ولله در أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني

انا لم أدر لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا

اي شيء الذ عندي من العلـ ـم فما ابتغي سواه أنيسا

انما الذل في مخالطة النا س فدعهم وعش عزيزا رئيسا

وأنشأ أبو الفتح البستي لابي سليمان الخطابي

وقد اولع الناس بالتلاق والمرء صب الى مناه
وان ما منهم صديقه من لايراني ولا اراه

ومن احسن ماقيل في الانفراد قول ابي هفان

ان امس منفردا فالليث منفرد والبدر منفرد والسيف منفرد

(ولابن وطواط)

ان كنت تسمع نصحي يا أخا ثقة فاقبل كلامي بلا شك ولا ريب
خف من أمنت ولاتركن الى أحد فما نصحتك الا بعد تجريب

(آخر في المعنى)

اذا طلبت أخا مخلصا فهيهات منك الذي تطلب
فكن بانفرادك ذا غبطة فما في زمانك من يصحب

(وفيه أيضاً)

خليلي لقد صاحبت في الناس صاحباً فما نالني منه سوى الهم والعنا
وجربت أهلا للزمان فلم أجد فتى منهم عند المضيق ولا أنا

(وفيه أيضاً للمنازي)

وصاحب خلته خليلا وما جرى غدره ببالي
لم يحص الا القبيح مني كأنه كاتب الشمالي

(وفيه أيضاً)

سألت الناس عن خل وفي فقالوا لا ترم ولا يرام
خليلك أنت لا من قلت خل وان كثر التجمل والسلام

(ولبعضهم)

سألت الناس عن خل وفي · فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بذيل حر · فان الحر في الدنيا قليل

(وفيه أيضاً)

لما رأيت بني الزمان وما بهم · خل وفي للشد ثم أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة · الغول والعنقاء والخل الوفي

(الشهاب الخفاجي)

ان ترد ان تعيش في دعة · في حياة الى العلى ترتقي
فاعتزل سائر الأنام وكن · في غنى عن جميع ما تلتقي
لا تكن ممسكا حبال رجاء · فالاماني بضائع الحمقى

(وله أيضاً)

تجنب جميع الناس واحذر اذا هم · وتمسك اكرم عن أمور تضيمها
وما كانت الحياة يوماً تقطعت · لتجعل في الترياق لولا سمومها

(وله أيضاً)

تجنب جميع الناس واحذر وجاههم · ورجاءك غير الله سوف يخيب
فمن اسقمته النائبات بجرحه · فليس له غير الممات طبيب

(وله أيضاً)

انى تركت ترددي · للناس عن رأى مصيب
فانا الذي في بيته · كالسر في صدر الحبيب

وفي القصيدة الزينبية بيتان في المعنى وهما

كن ما استطعت عن الانام بمعزل ... ان القليل من الورى من يصحب
واحذر مصاحبة اللئيم فانه ... يعدي كما يعدي الصحيح الاجرب

وفي قصيدة أبي الفتح البستي بيتان في المعنى وهما

من عاشر الناس لاقى منهم نصباً ... لان سوسهم بغي وعدوان
ومن يفتش عن الاخوان يلقهم ... أجل اخوان هذا الدهر خوان

(ولبعضهم من قصيدة)

وجانب الناس لا تركن الى أحد ... من البرية واحذر من تودده
ما في البسيطة الا من تودده ... وقت الرخاء وعند الضيق فاقده
من كان ذا ثروة فالناس طامعة ... فيما لديه وخير الناس حاسده
ومن يكن معسرا جلت نوائبه ... فلا معين ولا خل يساعده

(فتح الدين بن سيد الناس)

صرفت الناس عن بالي ... لخبل ودادهم بالي
وحبل الله معتصم ... به علقت آمالي
وأهملت الوري طرا ... فاني عنهم سالي
فلا وجهي لذي جاه ... ولا ميلي لذي مالي

(بشار بن برد من قصيدة)

توق الناس يا ابن وأمي ... بهم تبع الخفقة والرجاء
ألم تر مظهرين على عتبا ... وكانوا اخوتي عند الصفاء
بليت بنكبة فغدوا وراحوا ... على أشد أسباب البلاء
أبت أفكارهم أن ينصروني ... بمال أو بجاه أو براء

وخافوا ان يقالهم خدلتم صديقاً فادعوا قدم الجفاء

(وله در القائل)

لنا ء أكثر من تلقاه أوزار فلا تبالي أصعدوا عنك أوزار
أخلاقهم لحيهم أو عار وفعلهم مأثم للمرء أو عار
لهم لديك اذ جاؤك أوطار فان قضوها تولوا عنك أوطار
اوضار اخلاقهم تعدي معاشرهم فلا يروك فقدمامن رؤاضار

(أبو الجوائز الواسطي)

دع الناس طرا واصرف الود عنهم اذا كنت في أخلاقهم لا تسمح
ولا تبغ من دهر تظاهر رفقه صفاء بنيه فالطباع جوامح
وشيئآ ن معدومان في الارض درهم حلال وخل في الحقيقة ناصح

(المعتصم بن سماح)

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحب بعد صاحب
فلم ترني الايام خلا يسرني بواديه الا ساءني في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة من الدهر الا كان احدى المصائب

(وله در القائل)

ليس الخمول بعار على امرء ذي خلال
فليلة القدر تخفي وتلك خير الليالي

(احمد بن العريق الهاشمي)

ظهر اللؤم في الانام لهذا صلت نفسي عن البرية طرا
ورأيت الخمول أنفس شيء ولزوم البيوت أولى وأحرى

(أبو اسحاق بن مسعود)

نخف أبناء جنسك واخش منهم | ولا تخش الضراغم والسبنتا
وخالطهم وزائلهم حذارا | وكن كالسامري اذا لمستا

(أبي العتاهية)

وحدة الانسان خير | من جلوس السوء عنده
وجلوس الخير خير | من جلوس المرء وحده

(ولبعضهم)

قد كنت حراً والهوى مالكي | فصرت عبداً والهوى خادمي
وصرت بالعزلة مستأنساً | من شر أنواع بني آدم
ما في اختلاط الناس خير ولا | ذو الجهل بالاشياء كالعالم
يالائمي في تركهم جاهلا | عذري منقوش على خاتمي

فنظر الى نقش خاتمه فاذا مكتوب عليه وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم فاسقين (وقال الاسوانى الشاعر)

أرى كل من تصفته الود مقبلا | عليّ بوجه وهو في القلب معرض
حذار أمن الاخوان المرء راحة | فقرب بني الدنيا لمن صح ممرض
بلوت كثيراً من أناس صحبتهم | فما منهم الا حسود ومبغض
فقلبي على ما يدخر الطرف منطو | وطرفي على ما يحزن القلب مغمض

(لبعضهم)

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً | سوى الهذيان من قيل وقال
فاقلل من لقاء الناس الا | لأخذ العلم أو اصلاح حال

(غيره)

اسمع مقالة ناصح جمع النصيحة والمقه

اياك واحذران تكون من الثقات على ثقه

(لبعض شعراء اليمن)

طوبى لمن عاش بعض يوم ونفسه فيه مطمئنة

وماله في الورى عدو ولا لمخلوق عليه منه

(الحسن بن شارد)

لا تثق من أدمي في وداد وصفا

كيف ترج منه صفوا وهو من طين وما

(لبعضهم)

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام والشراب

(غيره)

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وقد نهجوا الزمان بغير ذنب ولو نطق الزمان بنا هجانا

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

(ولقد اجاد فيما قاله العماد)

يا الاهي انت الكريم وقد جئتك لا ارتجي سواك كريماً

فاعف عني بآل طه وياسين وكن لي يوم الحساب رحيما

ما لضعف سواك ياغافر الذ نب فذنبي أراه ذنباً عظيما

(لصاحب)

الهى لاتعذبني فانى مقر بالذي قد كان منى
فكم من زلة لى فى الخطايا وأنت علىّ ذو فضل ومن
يظن الناس بى خيرا وانى اشر الناس ان لم تعف عنى
فما لى حيلة الا رجائى لعفوك ان عفوت وحسن ظني

ثم الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين وكان الفراغ من كتبه يوم السبت اوائل جمادي الآخرة عام ثمانية وثمانين ومائة والف من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

وقد عثرت يدنا على نبذة من الحكايات العجيبة والنوادر الغريبة فاحببنا جملها كالذيل لهذا الكتاب حيث ان موضوعه مما يحسن فيه الاطناب وقد اقتصرنا في ذلك على ما يحوي من الفكاهات اللطيفة والمحاورات الظريفة ليكون نزهة للمجالس وانسا للمجالس وهي هذه

﴿ حكاية مضحكة ﴾

قيل إن سائلا أتى الى باب رجل من أغنياء أصفهان فسأل شيئا فسمعه الرجل فقال لعبده يامبارك قل لقنبر يقول لجوهر وجوهر يقول لياقوت وياقوت يقول لالماس والماس يقول لفيروز وفيروز يقول لمرجان ومرجان يقول لهذا السائل يفتح الله عليك فسمعه السائل فرفع يديه الى السماء وقال يارب قل لجبرائيل يقول لميكائيل وميكائيل يقول لدردائيل ودردائيل يقول لكبكائيل وكبكائيل يقول لاسرافيل واسرافيل يقول لعزرائيل يقبض روح هذا البخيل فخجل التاجر ومضى السائل الى حال سبيله

﴿ غيرها أيضاً ﴾

قيل إن رجلا من الوعاظ يقال له أبو مسلم تعشى عصراً ودخل المسجد ليعظ الناس وقعد في المحراب فتحرك بطنه فخب أن يخرج على نفسه بفسوة وخشي أن يضرط فقال للقوم قولوا لا اله الا الله وارفعوا أصواتكم ففعلوا ففسا فسوة دارت في المحراب وفي جانبه شيخ كبير من أهل صنعاء اليمن ففطن منه واحتمله فتحرك بطنه

ثانية فعمل مثل الاولى فكاد الشيخ أن يقع مغشياً عليه من نتن الرائحة ولكنه صبر ولم يفه بشئ فتحركت بطنه ثالثة فقال قولوا سبحان الله وارفعوا أصواتكم فقال الشيخ لا ترفعوا أصواتكم فانه يريد أن يخزي لا ستره الله تعالى فضحك الناس وتشوش المجلس اه

﴿ غيرها أيضاً ﴾

قيل إنه كان رجلان يسمى احدهما الخف والآخر اسمه المغفل اشتركا في تجارة فبينماهما في بعض الطريق اذ وجدا كيساً فيه الف دينار فلما وجداه بدا لهما الرجوع الى بلدهما فرجعا حتى دنيا من سور المدينة وقعدا للاقتسام فقال المغفل للخف خذ نصف المبلغ واعطنى النصف وكان الخف قد قرر في نفسه أن يأخذ المبلغ جميعه فقال له لانقسم فان الشركة أقرب الى المصافات ولكن يأخذ كل واحدمنا شيئاً ينفعه وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة فهو موضع حريز فاذا احتجنا الى شئ جئت أنا وأنت وأخذنا حاجتنا منه فأخذا يسيراً ودفنا الباقي ومضيا فدخلا البلد ثم إن الخف جاء وحده الى الشجرة فاخذ الدنانير المدفونة وعادالى بيته ثم جاءالى المغفل بعدشهر وقال اخرج بنا الى الشجرة لنأخذ شيئاً من النفقة فانطلقا الى المكان فلما حفرا لم يجدا شيئاً فجعل الخف يلوم المغفل ثم لطم وجهه ونتف شعر لحيته وضرب صدره وقال لايثق أحد بأحد ثم قال للمغفل أنت الذى أخذت الدنانير فجعل المغفل يحلف ويلعن من أخذها والخف في صراخ وحده قائلا أنت أخذت

المال فما شعر به سواك ثم ترافعا الى القاضي واقتصا للقاضي قصتهما فقال للخف الك على دعواك بينة قال الخف لم الشجرة التي كانت الدنانير تحتها تشهد ان المغفل أخذ المبلغ وكان الخف قد أمر أباه أن يذهب فيتوارى بالشجرة وكانت مجوفة حتى اذا جاءه أحد من عند القاضي وسأل الشجرة أجابه فيظن ان الشجرة تنطق فذهب فتوارى فيها ثم قال الخف للقاضي انطلق بنا الى الشجرة فانطلق هو وأصحابه والخف والمغفل معهم حتى وافوا الشجرة فسألها القاضي عن الامر فقال الشيخ في جوفها نعم المغفل أخذ الدنانير فلما سمع القاضي ذلك اشتد تعجبه وجعل يطوف تحت الشجرة فبصر طرف ثوب الشيخ فدعا القاضي بحطب وأمر أن تحرق الشجرة فاضرمت حولها النيران فاستغاث أبو الخف وقد أشرف على الموت فسأله الحاكم فأخبر الشيخ بكل ماجرى فأوقع القاضي بالخف العقاب وأوجعه ضرباً شديداً وأخذ منه الدنانير فأعطاها المغفل وأركب أباه مشهورا مصفوعا اه

﴿ حكاية أيضاً ﴾

حكي علي بن سعيد الكندي قال خرج الرشيد الى الحج فلما سار بظهر الكوفة اذا هو ببهلول المجنون على قصبة وخلفه صبيان وهو يعدو فقال من ذاك قالوا بهلول المجنون فقال كنت أشتهي ان أراه فادعوه غير مروع فقالوا له أجب أمير المؤمنين فعدا على قصبته فقال الرشيد السلام عليك يابهلول فقال وعليك السلام يا أمير المؤمنين فقال

كنت اليك بالاشواق قال لكني لم اشتق اليك قال عظني يا بهلول قال ويم أعظك هذه قصورهم وهذه قبورهم قال زدني فقد أحسنت قال يا أمير المؤمنين من يرزقه الله مالا وجمالا فعف في جماله وواسى من ماله كتب في ديوان الابرار فظن الرشيد انه يريد شيئاً فقال قد أمرنا أن يقضى دينك فقال كلا لا تقض ديناً بدين اردد الحق على أهله واقض دين نفسك من نفسك قال الرشيد فانا قد أمرنا أن يجرى عليك فقال يا أمير المؤمنين ان الله لا يعطيك وينساني ثم ولى هارباً وفي رواية ثم مر وهو يترنم فبعث خلفه من يسمع ما يترنم به فاذاً هو يقول

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع
ولا تجمع من المال فلا تدرى لمن تجمعه
وأمر الرزق مقسوم وسوء الظن لا ينفع
ولا تدرى أفي أرضـ ـك أم في غيرها تصرع
فقير من له حرص غنى كل من يقنع

﴿ غريبة أيضاً ﴾

عما حكي عن أبي معشر البلخي المنجم الامام المصنف صاحب التصانيف المفيدة في علم النجوم قيل إنه كان متصلا بخدمة بعض الملوك وان ذاك الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليعاقبه بسبب جريمة صدرت منه فاستخفى وعلم أن أبا معشر يدل عليه بالطريقة التي يستخرج بها الخبايا والاشياء الكامنة فأراد أن يعمل شيئاً حتى لا يهتدى

اليه ويبعد عنه حديثه فأخذ طستاً وجعل فيه دماً وجعل فى الدم هاونا ثم ذهب وقعد على الهاون اياما فتطلبه الملك وبالغ فى الطلب فلما عجز عنه احضر أبا معشر وطلب اظهاره فعمل المسئلة التى يستخرج بها وسكت زماناً حائراً فقال له الملك ما سبب سكونك وحيرتك فقال أري شيئاً عجيباً فقال وما هوقال أري الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل فى بحر من دم ولا أعلم فى العالم موضعاً على هذه الصفة فقال له اعد نظرك فنعل ثم قال ما أرى الا ما ذكرت وهذا شئ ما وقع لي مثله فلما آيس الملك نادى فى البلد بالامان للرجل ولمن أخفاه فلما اطمأن الرجل ظهر وحظى بين يدى الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فأخبره بما اعتمد عليه فأعجبه حسن احتياله فى اخفاء نفسه وبراعة أبى معشر المنجم فى استخراجه وله غير ذلك من الاصابات

﴿ حكاية أيضاً ﴾

قال بعض أصحاب الاسكندر انه دعاهم فلكي ليلة ليريهم النجوم ويعرفهم خواصها وأحوال سيرها فأدخلهم الى بستان وجعل يمشى معهم ويشير بيده اليها حتى سقط فى بئر هناك فقال من تعاطي علم ما فوقه بلي بجهل ما تحته

﴿ حكاية أيضاً ﴾

حكى أن رجلا انكسرت به السفينة فى البحر فوقع الى جزيرة فعمل شكلا هندسياً على الارض فرآه بعض أهل تلك الجزيرة فذهبوا

به الى الملك فأحسن اليه وأ كرم مثواه وكتب الملك الى سائر ممالكه أيها الناس اغتنموا هذا الرجل فان ما كسرتم فى البحر صار معكم

﴿ حكاية الملك بهرام ﴾

حكي أن الملك بهرام جور خرج يوما للصيد فظهر له حمار وحش فأتبعه حتى خفي عن عسكره فظفر به فمسكه ونزل عن فرسه يريد أن يذبحه فرأى راعياً أقبل من البرية فقال له يا راعي امسك فرسي حتى أذبح هذا الحمار فمسكه ثم تشاغل بذبح الحمار فلاحت منه التفاتة فرأى الراعي يقطع جوهرة فى عذار فرسه فأعرض الملك عنه حتى اخذها وقال إن النظر الى العيب من العيب ثم ركب فرسه ولحق بعسكره فقال له الوزير أيها الملك السعيد أين جوهرة عذار فرسك فتبسم الملك ثم قال أخذها من لايردها وأبصره من لايتم عليه فمن رآها منكم مع أحد فلا يعارضه بشيء

﴿ حكاية أيضاً ﴾

حكى أن فقيراً جاء الى قاض فى يوم عاشوراء وقال له أعز الله القاضي اني رجل فقير وذو عيال وقد جئتك مستشفعاً بهذا اليوم ان تعطيني عشرة أمنان لحماً ودرهمين لأشبع أطفالى فى هذا اليوم ولك الجزاء على الله فوعده الى الظهر فلما جاء الظهر عاد اليه فوعده الى العصر فلما جاء العصر عاد اليه وأولاده ذابت أ كبادهم من الجوع

فوعده الى المغرب فعاد اليه عند الغروب فقال له ما عندى شئ أعطيكه فرجع الفقير منكسر القلب باكى العين خائفاً من أطفاله كيف جوابه لهم فرّ وهو يبكي بنصرانى جالس على بابه فرآه باكياً • فقال له لم بكاؤك يا هــذا فقال له لا تسأل عن حالى • فقال له سألتك بالله ان تعلمنى بحالك • فأخبره بحاله مع القــاضى • فقال له النصرانى ما هذا اليــوم عندكم فقال له هو يوم عاشوراء فرق له النصرانى وأعطاه أكثر مما ذكر من الخبز واللحم وأعطاه عشرين درهما فوق الدرهمين فقال له خذ هذا وهو لك ولعيالك علىّ في كل شهر فذهب به الفقير لاطفاله فرحا مسروراً فلما رآه أطفاله فرحوا فرحاً شديداً ثم نادوا بأعلى أصواتهم اللهم من أدخل علينا السرور فادخل عليه الفرح عاجلا • فلما كان الليل ونام القاضى سمع هاتفاً يقول له ارفع رأسك فرفعــه فاذا هو ينظر قصرين مبنيين لبنــة من ذهب ولبنة من فضة • فقال الهي لمن هــذان القصران • فاجيب أنهما كانا لك لو قضيت حاجة الفقير فلما رددته صار النصرانى فلان • فانتبه القاضى مرعوباً ينــادى بالويل والثبور ثم ســار الى النصرانى وقال له ما فعلت البارحــة من الخير • فقال له ولماذا سؤآلك • فأخبره بمــا رأى • فقال له بعنى هــذا الجميل الذى فعلته البارحة بمائه الف درهم فقال له النصرانى انى لا أبيع ذلك بملء الارض ذهباً فرحم الله ثراه وجعل الجنة مثواه اه

﴿ حكاية الوزير الحاسد ﴾

حكي ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحتل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه * فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاماً واكثر فيه من الثوم فلما اكل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فخلا به وقال يا أمير المؤمنين إن البدوي يقول عنك للناس إن أمير المؤمنين ابخر وهلكت من رائحة فه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فه بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان وأتني بالجواب فامتثل البدوي ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال اتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير في نفسه ان هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك الفي دينار فقال انت

الكبير وانت الحاكم ومهما رأيته من الرأي افعل قال اعطني الكتاب فدفعه اليه واعطاه الوزير الف دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعد أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأنه له أياماً ماظهر وان البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر باحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عني للناس إني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين ان أتحدث بما ليس لي به علم وانما كان ذلك مكراً منه وحسداً واعلمه كيف دخل بيته واطعمه الثوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه وزيراً وراح الوزير بحسده اه

﴿ حكاية المأمون والفقير ﴾

حكي أن المأمون أشرف يوماً على قصره فرأى رجلا يكتب بفحمة على حائط قصره فقال المأمون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ماكتب وأتني به فبادر الخادم الى الرجل مسرعاً وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم   متى يعشش في أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحي   اكون أول من ينعاك مرغوم

ثم إن الخادم قال له أجب أمير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله

لاتذهب بى اليه فقال الخادم لابد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدى أمير المؤمنين واعلم بما كتب • فقال له المأمون ويلك ماحملك على هذا فقال يا أمير المؤمنين انه لايخفى عليك ما حواه قصرك هذا من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفرش والأوانى والامتعة والجوارى والخدم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفى ويعجز عنه فهمى وانى قد مررت عليه الآن وأنا فى غاية من الجوع والفاقة فوقفت مفكراً فى أمرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر عال وأنا جائع ولا فائدة لى فيه فلو كان خراباً ومررت به لم أعدم رخامة أو خشبة أو مسماراً أبيعه وأتقوت بثمنه أو ماعلم أمير المؤمنين رعاه الله قول الشاعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ • نصيب ولاحظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غير انه • يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون يا غلام اعطه الف درهم • ثم قال هى لك فى كل سنة مادام قصرنا عامرا بأهله مسروراً بدولته وأنشدوا فى معنى ذلك

اذا كنت فى أمر فكن فيه محسناً • فعما قليل أنت ماض وتاركه

﴿ الادب يرفع الخامل ﴾

روى ان المأمون لم يكن من خلفاء بنى العباس خليفة أعلم منه فى جميع العلوم وكان له فى كل اسبوع يومان يجلس فيهما لمناظرة العلماء فيجلس المناظرون من الفقهاء والمتكلمون بحضرته على صفاتهم ومراتبهم

فبينما هو جالس معهم اذ دخل في مجلسه رجل غريب وعليه ثياب
بيض رثة فجلس في آخر الناس وقعد من وراء الفقهاء في مكان مجهول
ثم ابتدؤا في الكلام وشرعوا في معضلات المسائل وكان من عادتهم أنهم
يديرون المسئلة على أهل المجلس واحداً بعد واحد فكل من وجد
زيادة لطيفة أو نكتة غريبة ذكرها فدارت المسئلة الى أن وصلت
الى ذلك الرجل الغريب فتكلم وأجاب بجواب احسن من اجوبة
الفقهاء كلهم فاستحسن الخليفة كلامه وأمر أن يرفع من ذلك المكان
الى أعلى منه فلما وصلت اليه المسئلة الثانية أجاب بجواب أحسن من
الجواب الاول فأمر المأمون ان يرفع الى أعلى من تلك المرتبة فلما
دارت المسئلة الثالثة أجاب بجواب أحسن وأصوب من الجوابين
الاولين فأمر المأمون أن يجلس قريباً منه فلما انقضت المناظرة أحضروا
الماء وغسلوا أيديهم وأحضروا الطعام فأكلوا ثم نهض الفقهاء فخرجوا
ومنع المأمون ذلك الشخص من الخروج معهم وأدناه منه ولاطفه ووعده
بالاحسان اليه والانعام عليه ثم تهيأ مجلس الشراب وحضر الندماء الملاح
ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وثب قائماً على قدميه
وقال ان أذن لي أمير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة. قال له قل ماتشاء
فقال فقد علم الرأى العالي زاده الله علواً ان العبد كان اليوم في هذا المجلس
الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس وان أمير المؤمنين قربه وأدناه
بيسير من العقل الذى أبداه وجعله مرفوعاً على درجة غيره وبلغ به الغاية
التى لم تسم اليها همته والآن يريد أن يفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير

من العقل الذي اعزه بعد الذلة وكثره بعد القلة وحاشوكلا أن يحسده أمير المؤمنين على هذا القدر الذي معه من العقل والنباهة والفضل • لان العبد اذا شرب الشراب تباعد عنه العقل وقرب منه الجهل وسلب ادبه وعاد الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان وصار في أعين الناس حقيراً مجهولا • فأرجو من الرأى العالي أن لا يسلب منه هذه الجوهرة بفضله وكرمه وسيادته وحسن شيمته فلما سمع الخليفة المأمون منه القول مدحه وأكرمه وأجلسه في رتبة ووقره • وأمر له بمائة الف درهم وحمله على فرس وأعطاه ثياباً فاخرة وكان في كل مجلس يرفعه ويقربه على جماعة الفقهاء حتى صار أرفع منهم درجة وأعلى مرتبة

﴿ حكاية الهادي والخارجي ﴾

ذكر صاحب السكردان ان الهادي كان يوماً في بستان يتنزه على حمار ولا سلاح معه ويحضرة جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكائد وقد ظفر به بعض القواد • فأمر الهادي بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه • فلما ابصر الخارجي الهادي جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادي ففر كل من كان حوله وبقي وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجي وهم أن يعلوه بالسيف اوماً الى وراء الخارجي وأوهمه أن غلاماً وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجي أن غلاماً وراءه •

فالتفت الخارجي فنزل الهادي مسرعاً عن حماره فقبض على عنق الخارجي وذبحه بالسيف الذي كان معه ثم عاد الى ظهر حماره من فوره والخدم ينظرون اليه ويتسللون عليه وقد ملئوا منه حياءً ورعباً فما عاتبهم ولا خاطبهم في ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم

﴿ حكاية ﴾

يحكي ان اعرابياً استضاف حاتماً فلم يقريه فبات جائعاً مقروراً فلما كان في السحر ركب راحلته وانصرف فتقدمه حاتم فلما خرج من بين البيوت لقيه متنكراً فقال له من كان أبا مثواك البارحة قال حاتم قال فكيف كان مبيتك عنده قال خير مبيت نحر لي ناقة فأطعمني لحماً عبيطاً واسقاني الخمر وعلف راحلتي وسرت من عنده بخير قال فقال له أنا حاتم وانك لاتبرح حتى ترى ما وصفت فرده وقال له ما حملك على الكذب فقال له الاعرابي ان الناس كلهم يثنون عليك بالجود ولو ذكرت شراً كنت أ كذب فرجعت مضطراً الى قولهم ابقاء على نفسي لا عليك اه

﴿ فهرست كتاب تحفة المجالس ﴾

(تمت)